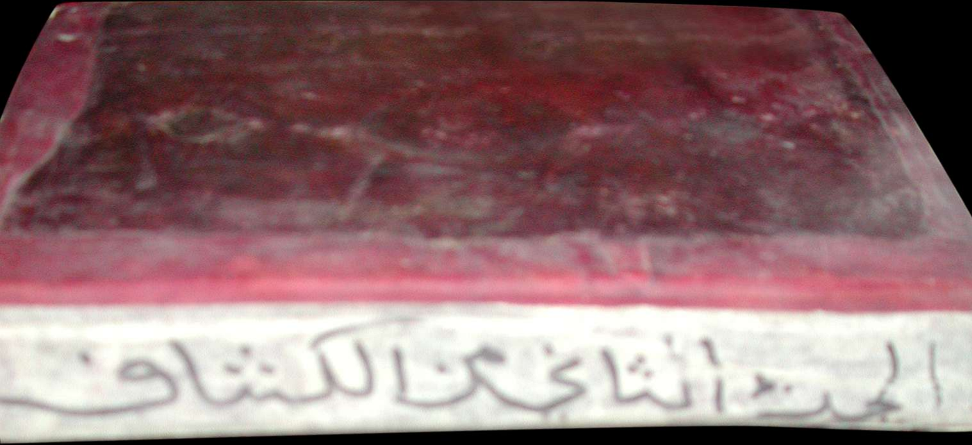

الجلد الثاني من الكشاف

من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم
دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس

اى من السوال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هى منسوخة باية السيف **عشر**
امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ
عشرٌ امثالُها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد
سبع مائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافات السيئات عدل
وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم دينا نصب على البدل من محل
الى صراط لان معناه هدانى صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل
من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف
به ملة ابرهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابراهيم **ان** صلاتى ونسكى وعبادتى وتقربى
كله وقيل ذبحى في الحج والعمرة وجمع بين الصلوة والذبح كما فى قوله فصل لربك وانحر وقيل
صلاتى وحجى من مناسك الحج ومحياى ومماتى وما آتيه فى حياتى واموت عليه من الايمان والعمل
الصالح **لله** رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين
لان اسلام كل نبى متقدم لاسلام امته **اغير** الله ابغى ربا جواب عن دعائهم له الى
عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اى منكرا ابغى ربا غيره وهو رب كل شيء وكل من دونه
مربوب ليس فى الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل افغير الله تامرونى اعبد
ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم جعلكم
خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او جعلهم يخلف
بعضهم بعضا او خلفاء الله فى ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضهم فوق
بعض درجات فى الشرف والرزق ليبلوكم فيما آتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون
تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغنى بالفقير **ان** ربك سريع
العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة
لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه واله انزلت على سورة الانعام جملة واحدة
يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر
له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية عشر ومائتان آيات

واسالهم عن القرية الى واذ نتقنا الجبل وهى ثمان وستة آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب خبر مبتدا محذوف اى هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب
السورة فلا يكن فى صدرك حرج منه اى شك منه كقوله فان كنت فى شك مما انزلنا

الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض
ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم

بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به
وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اوليا قليلا ما تذكرون
وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا

اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر
منفسحه اي لا تشك انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه
وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم وكان يضيق صدره من الاذا ولا ينبسط له
فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم يتعلق قوله لتنذر قلت
بانزل اي انزل اليك لتنذر به وبالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذا اذا
ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه
متكل على عصمته فان قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلث النصب
باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع
عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار
وللذكرى فان قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم
لا ارينك ههنا اتبعوا ما انزل اليكم من القران والسنة ولا تتبعوا من
دونه من دون الله اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الانس والجن فيحملوكم
على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم
باتباعه وعن الحسن رحمه الله يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد رسول الله
والله ما نزلت اية الا وهو يحب ان تعلم فيما انزلت وما معناها وقرا مالك بن دينار ولا
تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل
على ولا تتبعوا من دون الله دين اوليا قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون
غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون
تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة فجاءها فجاء اهلها بياتا مصدر واقع موقع الحال
بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله هم قائلون حال معطوفة على
بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر حذف المضاف الذي هو
الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة
فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قائلون
فان قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون قلت
قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو
فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح
انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو
الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام

الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين فلنقصن
عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون

ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون
ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون

فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى قوله اهلكناها
فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجي الباس قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله
اذا قمتم الى الصلوة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقت
الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل
وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه
من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين
فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله
بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويكون فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم
لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على
ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم له ويجوز العكس
فلنسالن الذين ارسل اليهم ارسل مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسالن
المرسل اليهم وهم الامم يسالهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا
اجبتم المرسلين ولنسالن المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم
الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم
فان قلت اذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه
التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم والوزن يومئذ
الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتدا وخبره يومئذ والحق
صفته اي والوزن يوم يسال الله الامم ورسلهم الوزن الحق اي العدل وقرئ القسط
واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان
ينظر اليه الخلائق تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسالهم والملائكة
والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرونها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضا
السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت
اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق
لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف بما كانوا باياتنا يظلمون
يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا
او ملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة
وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها وما يتوصل به الى ذلك والوجه

عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم

ولقد خلقناكم ثم صورناكم بتخفيف اللام وعن ابن عامر انه قرى على التشبيه بضخايف اي بتخفيف
خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترا الى قوله بعد ذلك ثم قلنا
للملئكة اسجدوا لادم من الساجدين ممن سجد لادم ألا تسجد لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم فان قلت
ما فايدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق
علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك
بالسجود اوجبه عليك ايجابا وحتمه حتما لا بد لك منه فان قلت لم سال عن المانع
من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره
باصله وازدرايه باصل ادم عليه السلام وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه
لما راى ان سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب فان قلت كيف يكون قوله انا خير
منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا قلت استانف قصة اخبر فيها عن
نفسه بالفضل على ادم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل ادم من طين فعلم
منها الجواب وزيادة عليه وهو انكاره للامر واستبعاده ان يكون مثله مامورا بالسجود
لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يومر بما امر به فاهبط
منها من السما التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملئكة الى الارض التي هي مقر
العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج
انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليايه لتكبرك كما تقول
للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار البس
الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله
ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما
استنظر ليفسد في الارض عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلا العباد وفي مخالفته
من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ
والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده فبما اغويتني فبسبب
اغوايك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت
الملئكة مع كونهم افضل منه ومن ادم انفسا ومناصب وعن الاصم امرتني بالسجود
فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوايهم
حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن
يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن قلت تعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبما

اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوايك اقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوايك
لاقعدن وانما اقسم بالاغوا لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله تعالى
لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا
عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقها يرمى بالقدر فجلس اليه فقال
له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس افقه منه
قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على
اضافة القبايح الى الله تعالى ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل
ما للاستفهام كانه قيل باي شي اغويتني ثم ابتدا لاقعدن واثبات الالف اذا ادخل حرف
الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوي الفصيل اذا بشم
والبشم فساد لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض
العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق
الثعلب وتشبيه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن وعن
رسول الله صلى الله عليه ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام
فقال له تدع دين ابايك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتغرب
فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امراتك فعصاه
فقاتل ثم لاتينهم من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم
وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب
عليهم بخيلك ورجلك فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتدا
وعن ايمانهم وعن شمايلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته
الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة
توخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه
وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي
من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير
ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعالى ونحوه من المفعول
به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها
ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدي الرمي منها وكذلك قالوا جلس من
بين يديه ومن خلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل
يقع في بعض الجهتين كما يقول جيته من الليل يريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد

لى الشيطان على اربعة مراصد من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى أما من
بين يدى فيقول لا تخوفن ان الله غفور رحيم فاقرا وانى لغفار لمن تاب وامن وعمل
صالحا وأما من خلفى فيخوفنى الضيعة على مخلفى فاقرا وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها
وأما من قبل يمينى فيأتينى من قبل الثنا فاقرا والعاقبة للمتقين وأما من قبل الشمال فيأتينى
من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون **ولا** تجد اكثرهم شاكرين قاله
تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار
الله لهم **مذءوما** من ذامه اذا ذمه وقرا الزهرى مذوما بالتخفيف مثل مسول فى مسئول
واللام فى لمن تبعك موطئة للقسم ولاملان جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط
منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما فى قوله انكم قوم تجهلون وروى
عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله
لاملان جهنم منكم اجمعين على ان لاملان فى محل الابتدا ولمن تبعك خبره **ويا ادم**
وقلنا يا ادم وقرئ هذى الشجرة والاصل اليا والها بدل منها ويقال وسوس اذا تكلم
كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلى هو فعل غير متعد كولولت المراة ووعوع الذئب
ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له
~~اليه القاها اليه لبدى لهما ليجعل ذلك غايه للسوءهما اذا راياها وارادت سوكلا ووسوس~~
اليه وهو الذى يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه
القاها اليه **ليبدى** جعل ذلك غاية ليسوءهما اذا رايا ما يوثران ستره وان لا يطلع عليه
مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا فى الطباع
مستقبحا فى العقول فان **قلت** ما للواو المضمومة فى ووورى لم تقلب همزة كما فى
أويصل **قلت** لان الثانية مدة كالف وارى وقد جا فى قراءة عبد الله أورى بالقلب
الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملائكة
بالمنظر اعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام كقوله وملك لا
يبلى **من الخالدين** من الذين لا يموتون ويبقون فى الجنة ساكنين وقرئ من سوءاتهما بالتوحيد
وسوّاتهما بالواو المشددة **وقاسمهما** واقسم لهما انى لكما لمن الناصحين فان **قلت**
المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا خالفته وتقاسما تحالفا ومنه
قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه **قلت** كانه قال لهما اقسم لكما انى لكما لمن الناصحين
وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة
واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم

فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة **بغرور** بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة
وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا راى من عبده طاعة وحسن صلاة اعتقه
فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله
انخدعنا له **فلما** ذاقا الشجرة وجدا طعمها اخذين بالاكل منها وقيل الشجرة هى السنبلة
وقيل شجرة الكرم **بدت لهما سوءاتهما** اى تهافت عنهما اللباس وظهرت لهما عوراتهما
وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وعن عائشة رضى الله عنها ما رايت منه
ولا راى منى وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما
نورا يحول بينهما وبين النظر ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرا ابو السمال وطفقا
بالفتح **يخصفان** ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما تخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة
وتوثق بالسيور وقرا الحسن يخصّفان بكسر الخا وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرى
الزهرى يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اى يخصفان انفسهما وقرئ يخصّفان
من خصّف بالتشديد **من ورق الجنة** قيل كان من ورق التين **الم انهكما** عتاب من
الله وتوبيخ وتنبيه على الخطا حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروى انه قال
لادم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن
ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال
العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرا
وطحن وعجن وخبز وسماه ظلمهما انفسهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا **لنكونن
من الخاسرين** على عادة الاولياء والصالحين فى استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم
العظيم من الحسنات **اهبطوا** الخطاب لادم وحوا وابليس **بعضكم لبعض عدو** فى
موضع الحال اى متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه **مستقر** استقرار او موضع استقرار
ومتاع واستمتاع بالعيش **الى حين** الى انقضاء اجالكم وعن ثابت البنانى لما اهبط ادم وحضرته
الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حوا تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربى فانما
اصابنى الذى اصابنى فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته
فى وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه
هذه سنتكم بعده فجعل ما فى الارض منزلا من السماء لانه قضى ثم وكتب ثمه وانزل
لكم من الانعام ثمانية ازواج **وريشا** لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه
لباسه وزينته اى انزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوءاتكم ولباسا يزينكم لان
الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرا عثمان

ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله

وريشا جمع ريش كشعب وشعاب **ولباس التقوى** لباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الاشارة تقرب من الضماير فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدأ ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى وان تكون اشارة الى اللباس المواري للسوأة لأن مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف اي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وأبي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرهما مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا **ذلك من آيات الله** الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليهما اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى **لا يفتننكم الشيطان** لا يمحننكم بأن لا تدخلوا الجنة كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اي أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا في أن نزع عنهما **إنه يراكم هو** تعليل للنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله **وقبيله** وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم أنفسهم ليس من استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة **إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون** اي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول فإن **قلت** علام عطف وقبيله **قلت** على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشأن والحديث وقرئ وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان يعطف على اسم ان وان تكون الواو بمعنى مع واذا عطف على اسم ان وهو الضمير كان راجعا الى ابليس **الفاحشة** ما تبالغ في قبحه من الذنوب اي اذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لأن أحدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله بعث محمدا صلى الله عليه الى العرب وهم

أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون

قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله واذا فعلوا فاحشة **قل إن الله لا يأمر بالفحشاء** لأن فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله **أتقولون على الله ما لا تعلمون** انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة **بالقسط** بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد **وأقيموا وجوهكم** اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها **عند كل مسجد** في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلاة **وادعوه مخلصين له الدين** اي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا **كما بدأكم تعودون** كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة **فريقا هدى** وهم الذين أسلموا اي وفقهم للإيمان **وفريقا حق عليهم الضلالة** اي كلمة الضلالة وعلم انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كأنه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة **إنهم** ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة **اتخذوا الشياطين أولياء** اي تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على ان علم الله لا أثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشيطان دون الله **خذوا زينتكم** اي ريشكم ولباس زينتكم **عند كل مسجد** كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لأنهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فإنا أحق أن نفعل فقيل لهم **كلوا واشربوا ولا تسرفوا** وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه فقال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه الطب في ألفاظ يسيرة فقال وما هي فقال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا **زينة الله** من الثياب

فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله

وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وقيل معنى الاستفهام
في من انكار تحريم هذه الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها
من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين
شركاؤهم فيها خالصة يوم القيامة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل هي
للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وان
الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ
خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر الفواحش ما تفاحش قبحه
اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والاثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم
والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به
سلطانا فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على
الله وان تتقولوا على الله وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل وعيد
لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم
وقال ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال الناس تقول المستعجل لصاحبه
في ساعة يريد اقصر وقت واقربه اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة
لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة فان قلت فما جزاء الشرط
قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم
وقرئ تأتينكم بالتاء فمن أظلم فمن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله
اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى
اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له الى وقت وفاتهم وهي حتى
التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام هاهنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا
يتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة
باين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الالهة الذين
تدعون ضلوا عنا غابوا فلا نراهم ولا نسمع لهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على
شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يجدوه في العاقبة قال ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم
القيامة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته وهم
كفار العرب في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم في غمارهم مصاحبين
لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت
اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا

واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهم الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهم القادة
والرؤس ومعنى لاولاهم لاجلهم لان خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا
مضاعفا لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا
تعلمون وقرئ بالياء والتاء فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول
الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في
استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة او من قول الله لهم جميعا
لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان
كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء والمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا
يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح
المؤمنين وقيل لا ينزل عليهم البركة ولا يغاثون وقرئ لا تفتح
بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل
للآيات وبالياء على ان الفعل لله عز وجل وقرأ ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن
جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن
الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس
ان الله احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم
الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال
اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء به في المضايق المشبهة
باخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير
ان الرجال ليسوا بجزر تراد بهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون
ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن
ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب
معنى آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط
كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع
نجزي المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم
عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه مهاد
فراش غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله
لا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب
ما لا يكتنهه وصف الواصف من الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان

ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن

الواسع عن الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرا الاعمش لا تكلف نفس من كان في قلبه
غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف
وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم **هدانا**
لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح **وما كنا لنهتدي**
اللام لتوكيد النفي يعني وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله
وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى
لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون
ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق
خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة **ان تلكم الجنة**
ان المخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة والهاء ضمير الشان
والحديث او المفسرة بمعنى اي لان المناداة من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة
اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقوله المبطلة **ان**
في ان **قد وجدنا** يحتمل ان تكون المخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة وكذلك التي سبقت انفا
وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب
النار وزيادة في غمهم وليكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم
لعنة الله على الظالمين وهو ملك يامره الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل
النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرا الاعمش ان لعنة الله بكسر ان
على ارادة القول او على اجراء اذن مجرى قال فان **قلت** هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل
ما وعدنا ربنا **قلت** حذف ذلك تخفيفا لدلالة الاول عليه ولقائل ان يقول
اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر
احوال القيامة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم
اهل الجنة لا عذاب لهم فاطلق لذلك **وبينهما حجاب** يعني بين الجنة والنار
او بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور **وعلى الاعراف**
وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف
واستعير من عرف الفرس وعرف الديك **رجال** من المسلمين من اخرهم دخولا في
الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان
ياذن لهم في دخول الجنة **يعرفون كلا** من زمر السعداء والاشقياء **بسيماهم** بعلامتهم
التي اعلمهم الله بها … ذلك او تعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة

واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون

نادوهم بالتسليم عليهم **واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار** ورأوا ما هم فيه من
العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا من رؤوس
الكفرة يقولون لهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل
الجنة الذين كانوا الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم ادخلوا الجنة فقال لاصحاب
الاعراف لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة
يستهينون بهم ويحتقرونهم ادخلوا الجنة فقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك
بعد ان تحبسوا على الاعراف ونظروا الى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما يقولون
وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها وان احدا
لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه فيه وليرغب السامعون
في حال الفريقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك
اليوم بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته
ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله
واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويتعوذوا وقرا
الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرا عكرمة
دخلوا الجنة فان **قلت** كيف لاءم هاتين القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
قلت تاويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون **قلت** لا محل له لانه استئناف كان
سائلا سال عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون لم ييأسوا
ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال **ما اغنى عنكم جمعكم** المال او كثرتكم
واجتماعكم **وما كنتم تستكبرون** واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ
تستكثرون من الكثرة **افيضوا** علينا فيه دليل على ان الجنة فوق النار **او مما**
رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من … ان يراد والقوا علينا
مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون
ذلك مع ياسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن **حرمهما**
على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها منع المحرم على المكلف كقوله
حرام على عيني ان تطعم الكرى وان ترقا حتى القاك يا هند **فاليوم ننساهم**
نفعل بهم فعل الناسي الذي ينسى عبيده من الخير لا يذكرهم به كما نسوا لقاء
يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسي فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به

ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا

فصلناه على علم عالمين كيف نفصل أحكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه
حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه
على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها هدى ورحمة حال من منصوب فصلناه
كما ان على علم حال من مرفوعه الا تأويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه
وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم
جاؤا بالحق نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام
كأنه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما
تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل اخر يعطف عليه ولا تقدر هل يشفع لنا
شافع او نرد وقرأ ابن ابي اسحق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا او يكون او بمعنى حتى
أي الى ان يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل
يغشي الليل النهار وقرئ يغشي الليل بالتشديد اي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل
يحتملهما جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح اليا
ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد
بامره بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن مسخرات جاريات
بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرف فيها سمي ذلك امرا على التشبيه كأنهن
مأمورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر انه خلقهن
مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشياء كلها وهو الذي
صرفها على حسب ارادته تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية
وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهو الذل اي تذللا وتملقا
وقرئ خفية وعن الحسن رحمه الله ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان
الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير
ولا يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزور وما
يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان من عمل على الارض يقدرون على ان يعملوه
في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم
صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا
ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة
السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا
به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء

مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون
في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك
من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ان رحمة الله
قريب من المحسنين كقوله واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على
تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه
بفعيل الذي هو بمعنى مفعول كما شبه ذلك به فقيل قتلاء واسراء او على انه بزنة
المصدر الذي هو النقيض والضغيب او لان تانيث الرحمة غير حقيقي نشرا وهو مصدر
نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منشرات
ونشرا جمع نشير ونشرا تخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات
وبشرا بين يدي رحمته امام نعمته وهو الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا
اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا
سحابا ثقالا لان السحاب ثقال بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو
حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت
لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق
وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم
تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشيء
بعد انشائه والبلد الطيب الارض الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة
التي لا تنبت ما ينتفع باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته
حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والبلد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته اي
يخرجه البلد وينبته وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج
نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى
البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع
الفاعل او يقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد
ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ
والسنة من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد ادم وذريته
منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن من سمع كتاب الله بعقله فوعاه وانتفع
به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل
واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على سبيل الاستطراد

قال الملا من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلاله ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون او عجبتم

كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المومنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرى يصرفها اي يصرفها الله

لقد ارسلنا جواب قسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صالي قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح عليه السلام وهو ابن خمسين سنه وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي صلى الله عليه وقرى غيره بالحركات الثلث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثنا بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا او غير زيد فان قلت فما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان الملا الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نسا في ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الروية روية القلب فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شي من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفا عن الضلالة قلت لكونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفا عن الضلالة وترك ابلغكم بالتعقيب فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغايب قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال انا الذي سمتني امي حيدره كليث غابات كريه المنظره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشاير والنذاير ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبيا قبله من صحف جده ادريس وهي ثلاثون صحيفه ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفه وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة

ان جاكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين

ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسله واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدايه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا امنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه او اراد واعلم من جهة الله اشيا لا علم لكم بها قد اوحي الي بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا في ابايناء الاولين يعنون ارسال البشر ولو شا ربنا لانزل مليكه لينذركم ليحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون ولترجوا الرحمة بالتقوى ان وجدت منكم والذين معه قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراه وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن امن به فان قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجا اي انجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرى عامين والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت والعامي على حادث ونحوه قوله وضايق به صدرك اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم عن رجل منهم افهم واعرف بحاله في صدقه وامانته وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فان قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سوال سايل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملا فان قلت لم وصف الملا بالذين كفروا دون الملا من قوم نوح قلت كان في اشراف قوم هود من امن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مومن ونحوه قوله وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقا الاخرة ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين اخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز اراد انه متمكن فيها غير منفك عنها وفي اجابة الانبيا عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم

والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين

قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم
ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم

به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن
خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله تعالى ذلك
تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم
ناصح أمين أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقي أن أتهم أو أنا لكم ناصح
فيما أدعوكم إليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه **خلفاء** من بعد قوم نوح أي
خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكا في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق
بسطة فيما خلق من أجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان أقصرهم ستين ذراعا
وأطولهم مائة ذراع **فاذكروا** آلاء الله في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما
من عطاياه وواحد الآلاء إلى نحو إنى وآناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب فإن **قلت** إذ في
قوله إذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه **قلت** هو مفعول به وليس بظرف أي اذكروا
وقت استخلافكم أجئتنا لنعبد الله وحده أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده
بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه وإلفا لما صادفوا
آباءهم يتدينون به فإن **قلت** ما معنى المجيء في قوله أجئتنا **قلت** فيه أوجه أن يكون لهود
عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم وأن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا
يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجيء الملائكة
وأن لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض لذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا
يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك
فأتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب قد وقع عليكم أي حق عليكم ووجب أو قد
نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب إليك
بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو
طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة فضمه
إلى صدره وقال له يا بني قد قلت الشعر **والرجس** العذاب من الارتجاس وهو
الاضطراب في أسماء سميتموها في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم
تسمونها آلهة ومعنى الإلهية فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من
دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا وقطع دابرهم
استيصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم أن عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان
وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله إليهم هودا

فقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين

نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله
عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم البلاء طلبوا إلى الله الفرج
منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق
ابن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم
سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم إسلامه فلما قدموا
نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا
أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا
لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما بعثوا له أهمه ذلك وقال قد
هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي أن يكلمهم خيفة
أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا
يدرون من قاله فقال معاوية ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عاد إن عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا
إن قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا
لقومكم فقال مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم وأظهر الإسلام فقالوا
لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا
ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء
وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت
السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها
وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون
معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فإن **قلت** ما فائدة نفي الإيمان عنهم
في قوله وما كانوا مؤمنين مع إثبات التكذيب بآيات الله **قلت** هو تعريض بمن آمن
منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم
ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن أن الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين
وإلى ثمود قرئ وإلى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة وإلى ثمود بالصرف بتأويل الحي أو باعتبار
الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح أخو جديس
وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين
الحجاز والشام إلى وادي القرى **قد** جاءتكم بينة أي آية ظاهرة وشاهد على صحة
نبوتي وكأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال

قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين

فلما جاءهم هود قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا

يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله

والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها آية ولكم
بيان لمن هي له آية وتوجيه عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس
اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله
تعظيما لها وتفخيما لشأنها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته
كما يقول آية الله وروي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض
وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في
حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا
في الارض وعبدوا الاوثان فارسل الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم
نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية
فقال لهم اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة تدعو
الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا
فقال صالح نعم فخرج معهم فدعوا اوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال
سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج
لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت
صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن
ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن
ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم
نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم
ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان
يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا
حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت
مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر
الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة
ام غنم وصدقة ... لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها
واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان
صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا وانفجت الصخرة
بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم

واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين

محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان
يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا
بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فذروها تأكل في ارض الله
اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في ارض ربها وليست الارض لكم
ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها
بشيء من الاذى اكراما لآية الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه حين مر بالحجر في غزوة تبوك
قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا عليهم الا
ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه يا علي اتدري من اشقى
الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح وقال صلى الله عليه اتدري من اشقى
الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرأ ابو جعفر في رواية تأكل في ارض الله وهو موضع
الحال بمعنى آكلة وبوأكم وانزلكم والمباءة المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز
والشام تتخذون من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص
واللبن والآجر وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله
ينباع من ذفرى ... فان قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط
هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال
النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول
في الصيف والجبال في الشتاء للذين استضعفوا للذين استضعفوهم رؤساء الكفار
واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا فان قلت الضمير في منهم راجع
الى ماذا قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في
اختلاف المعنى قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا
لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى الذين
استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين
وكافرين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما
تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به
مؤمنون جوابا عنه قلت سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا
مسلما لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به مما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله
لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب
الكفرة انا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون

قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي

معلومًا واحدًا وسمّاه فعقروا الناقة أسند العقر إلى جميعهم لأنه كان برضاهم وإن
لم يباشره إلا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة أنتم فعلتم كذا وما فعله إلا واحد منهم وعتوا
عن أمر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح
من قوله فذروها تأكل في أرض الله أو شأن ربهم وهو دينه ويجوز أن يكون المعنى وصدر
عتوهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن
أمري ائتنا بما تعدنا أرادوا من العذاب وإنما جاز الإطلاق لأنه كان معلومًا واستعجالهم
له لتكذيبهم به ولذلك علّقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين الرجفة الصيحة
التي زلزلت بها الأرض واضطربوا لها في دارهم في بلادهم أو في مساكنهم جاثمين هامدين لا
يتحركون موتى يقال الناس جثم أي قعود لا حراك بهم ولا يتكلمون نبسة ومنه المجثمة التي
جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه لما مر بالحجر
قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم إلا رجل واحد كان
في حرم الله قالوا من هو قال ذاك أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروي
أن صالحًا كان بعثه إلى قوم في كفارة وروي أنه مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون من هذا
قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبي رغال وأنه دفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه
وبحثوا عليه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر أنه كان مشاهدًا لما جرى
عليهم وأنه تولى عنهم بعد ما أبصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من إيمانهم يتحزن لهم
ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدًا في إبلاغكم والنصيحة لكم ولكن
لا تحبون الناصحين ويجوز أن يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لإصرارهم حين رأى العلامات
قبل نزول العذاب وروي أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت
وروي أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعًا فعلم
أنهم قد هلكوا وكانوا ألفًا وخمسمائة دار وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم
فإن قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل
لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه ولم يسمع منه حتى ألقى بنفسه في التهلكة يا أخي كم نصحتك وكم
قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا
وأرسلنا لوطا وإذ ظرف لأرسلنا أو واذكر لوطا وإذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال
لقومه أتأتون الفاحشة أتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها
قبلكم والباء للتعدية من قوله سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة
من أحد من العالمين من الأولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض

فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستأنفة أنكر عليهم أولًا بقوله
أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها أو على أنه جواب لسؤال مقدر كأنهم
قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به إنكم لتأتون الرجال
بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في أتأتون للإنكار والتعظيم وقرئ إنكم على
الإخبار المستأنف لتأتون الرجال أتى المرأة إذا غشيها شهوة مفعول له أي للاشتهاء لا
حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم أعظم منه لأنه وصفهم بالبهيمية
وأنه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين
للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة بل أنتم قوم مسرفون أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم
بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف
وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير
المعتاد ونحوه بل أنتم قوم عادون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا يعني ما أجابوه
بما يكون جوابًا عما كلمهم به لوط من إنكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة
الإسراف الذي هو أصل الشر كله ولكنهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر
بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرًا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم
وقولهم إنهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارًا بما كانوا فيه من
القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا
من هذا المتزهد وأهله ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين من الغابرين
من الذين غبروا في ديارهم أي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة
موالية لأهل سدوم وروي أنها التفتت فأصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن
وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف
بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم
وروي أن تاجرًا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر أربعين يومًا حتى قضى تجارته وخرج من
الحرم فوقع عليه فإن قلت أي فرق بين مطر وأمطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد
ممطور وفي نوابغ الكلم حرى غير ممطور حري أن يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم
أصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال أمطرت عليهم كذا
بمعنى أرسلته عليهم إرسال المطر فأمطر علينا حجارة من السماء من سجيل ومعنى وأمطرنا عليهم
مطرًا وأرسلنا عليهم نوعًا من المطر عجيبًا يعني الحجارة ألا ترى إلى قوله فساء مطر المنذرين
كان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين

قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مومنين ولا تقعدوا بكل صراط

قد جاتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما امركم به والانتها عما انهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان **قلت** ما كانت معجزته **قلت** قد وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاتكم بينة من ربكم ولانه لابد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم يصح دعواه وكان متنبيا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر في القران كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا ادم عليه السلام على يده في المرات السبع وغير ذلك من الايات لان هذه كانت قبل ان يستنبا موسى عليه السلام وكانت معجزات لشعيب فان **قلت** كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود **قلت** اريد بالكيل اله الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر وقيل بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقا وهي باخس وقيل اشياهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شي في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون شيا الا مكسوه كما يفعل امرا الحرمين وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا **بعد** اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعدما اصلح فيها الصالحون من الانبيا واتباعهم العاملين بشرايعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفا بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض او الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والتسوية **ان** كنتم مومنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم **ولا** تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي لا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا فان **قلت** صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط **قلت** صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا احدا يشرع في

توعدون وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان

شي منها اوعدوه وصدوه فان **قلت** الام يرجع الضمير في من امن به **قلت** الى كل صراط تقديره توعدون من امن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن يمر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين **و**تبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج **و**اذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنما فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقرا فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد **عاقبة** المفسدين اخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب الموتفكة فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون او هو عظة للمومنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المومنون على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوهم من ايمان من امن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب **وهو** خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف اي لنكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر فان **قلت** كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبيا لا يجوز عليهم من الصغاير الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكباير فضلا عن الكفر **قلت** لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عايدين جميعا اجرا للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريا من ذلك اجرا لكلامه على حكم التغليب فان **قلت** ما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله ربنا والله تعالى متعال ان يشا ردة المومنين وعودهم في الكفر **قلت** معناه الا ان يشا الله خذلاننا ومنعنا الالطاف

طايفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يومنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ۝ قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين

وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا
كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا

لعلمه انها لا تنفع فيها وتكون عبثا والعبث قبيح والله تعالى لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول قلوبهم وكيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان **على الله توكلنا** في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في العود لان مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة **أولو كنا كارهين** الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين **ربنا افتح بيننا** احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل **وانت خير الفاتحين** كقوله وهو خير الحاكمين فان **قلت** كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم **قلت** هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما متضمنا لمعنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا **وقال الملا الذين كفروا من قومه** اي اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية فان **قلت** ما جواب القسم الذي وطاته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط **قلت** قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كان لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملا لاشياعهم وتسفيه لرايهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم الاسى شدة الحزن قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط الاسى وكيف ... اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على

كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف اسى على قوم كافرين وما ارسلنا في قرية من نبي

الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
حتى عفوا وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون

قوم ليسوا باهل للحزن لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه لا ياسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وقرا يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة **الا اخذنا اهلها بالباساء** بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة **ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة** اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستاسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم **وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء** يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم ينتفعوا بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا انا اخذناهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجاة من غير شعور منهم اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا امنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها **لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض** لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات ولكن كذبوا فاخذناهم بسوء كسبهم ويجوز ان يكون اللام في القرى للجنس فان **قلت** ما معنى فتح البركات عليهم **قلت** تيسيرها عليهم كما يتيسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين **بياتا** يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا حسنا ومنه قوله فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان ياتيهم باسنا بائتين او وقت بيات او مبيتا او مبيتين ويكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان يبيتهم باسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال اتانا ضحى وضحيا وضحاء الضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت والفاء والواو في افامن واومن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار فان **قلت** ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو **قلت** المعطوف قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل

ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون

أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون

القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ أو أمن على العطف بأو **وهم يلعبون** يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون فإن **قلت** فعطف بالفاء قوله أفأمنوا مكر الله **قلت** هو تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم أن ابنته قالت له ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا أولم يهد قرئ بالنون والياء أن لو نشاء مرفوع بأنه فاعله بمعنى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين وإذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل أولم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى أولم يبين لهم أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وإنما عدي فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين فإن **قلت** بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم **قلت** فيه أوجه أن يكون معطوفا على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم أو على يرثون الأرض ويكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فإن **قلت** هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على أصبناهم **قلت** لا يساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير يؤدي إلى خلوهم عن هذه الصفة وأن الله لو شاء لاتصفوا بها **تلك القرى نقص عليك من أنبائها** كقوله وهذا بعلي شيخا في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وأن يكون القرى نقص خبرا بعد خبر فإن **قلت** ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا **قلت** هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فإن **قلت** ما معنى الإخبار عن القرى بنقص عليك من أنبائها **قلت** معناه أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك **فما كانوا ليؤمنوا** عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل مجيء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرار المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي وأن الإيمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله

تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد

وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين

ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه **كذلك** مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين **وما وجدنا لأكثرهم من عهد** الضمير للناس على الإطلاق أي وما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعني أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الإيمان والتقوى **وإن** الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن أنجيتنا من هذه لنؤمنن ثم أنجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك إلى قوله إذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما **من بعدهم** الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم **فظلموا بها** فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واد واحد إن الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها أي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الإيمان **يا فرعون** يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الأكاسرة فكأنه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان **حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق** فيه أربع قراءات المشهورة وحقيق علي أن لا أقول وهي قراءة نافع وحقيق أن لا أقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بأن لا أقول وهي قراءة أبي وفي المشهورة إشكال ولا تخلو من وجوه أحدها أن تكون مما يقلب من الكلام لأمن الإلباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علي أن لا أقول وهي قراءة نافع والثاني أن ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق أي لازما له والثالث أن يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب والرابع وهو الأوجه الأدخل في نكت القرآن أن يغرق موسى في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي أن عدو الله فرعون قال له لما قال إني رسول من رب العالمين كذبت فيقول أنا حقيق على قول الحق أي واجب علي قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى إلا بمثلي ناطقا به **فأرسل معي بني إسرائيل** فخلهم يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الأسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة عام

حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان

ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم
يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل

مائة سنة فإن **قلت** كيف قال له فأت بها بعد قوله إن كنت جئت بآية **قلت** معناه
إن كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندك لتصح دعواك ويثبت
صدقك **ثعبان مبين** ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وروي أنه كان ثعبانا
ذكرا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه الأعلى على
سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ولم
يكن أحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم
خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وأنا
أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه موسى فعاد عصا فإن **قلت** بم يتعلق للناظرين
قلت ببيضاء والمعنى فإذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضها
بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه كما تجتمع النظارة للعجائب
وذلك ما يروى أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة
صوف ونزعها فإذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى
عليه السلام آدم شديد الأدمة **إن** هذا لساحر عليم أي عالم بالسحر ماهر فيه
قد أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل إليهم العصا حية والآدم أبيض فإن
قلت قد عزي هذا الكلام إلى فرعون في سورة الشعراء وأنه قاله للملأ وعزي هاهنا إليهم
قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم هاهنا أو قاله ابتداء فتلقنه
منه الملأ فقالوه لأعقابهم أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما تفعل الملوك
يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل
عليه أنهم أجابوه في قولهم أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر
عليم وقرئ سحار أي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة أو بخير منه وكانت هذه
مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون من أمرته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار
عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قالوا أرجه وأخاه ومعنى أرجه
أخره وأخاه وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر أمرهما وقيل احبسهما وقرئ أرجئه
بالهمز وأرجه من أرجأه وأرجاه فإن **قلت** هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا
قلت هو على تقدير سائل سأل ما قالوا إذ جاءوه فأجيب بقوله قالوا أئن لنا لأجرا أي
جعلا على الغلبة وقرئ إن لنا لأجرا على الإخبار وإثبات الأجر العظيم وإيجابه كأنهم
قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم كقول العرب إن له لإبلا وإن له لغنما يقصدون
الكثرة فإن **قلت** وإنكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه **قلت** هو معطوف

في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا
لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين قالوا يا موسى إما أن تلقي

وإما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم
وجاءوا بسحر عظيم وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون

على محذوف سد مسده حرف الإيجاب كأنه قال إيجابا لقولهم إن لنا لأجرا نعم إن
لكم لأجرا وإنكم لمن المقربين أراد إني لا أقتصر بكم على الثواب وحده وإن لكم مع الثواب
ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لأن المثاب إنما يتهنأ بما يصل إليه ويغتبط
به إذا نال معه الكرامة والرفعة وروي أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من
يخرج وروي أنه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه
أهل الأرض إلا أن يكون أمرا من السماء فإنه لا طاقة لنا به وروي أنهم كانوا ثمانين ألفا وقيل
سبعين ألفا وقيل بضعة وثلاثين ألفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان
يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى إلا بما هو منه يعني
السحر تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين
قبل أن يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل أن يتآخذوا للصراع **وإما أن نكون
نحن الملقين** فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل
وتعريف الخبر أو تعريف الخبر وإقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم
وقلة مبالاة بهم ووثوقا بما كان بصدده من التأييد السماوي وأن المعجزة لن يغلبها سحر
أبدا **سحروا أعين الناس** أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه
كقوله يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى وروي أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا
فإذا هي أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وأرهبوهم
إرهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر وروي أنهم لونوا
حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق **ما يأفكون**
ما موصولة أو مصدرية يعني ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه أو إفكهم
تسمية للمأفوك بالإفك وروي أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها
موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرقها
أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا **فوقع الحق**
فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم أي فأثر فيها من قولهم قاس وقيع
وانقلبوا صاغرين وصاروا أذلاء مبهوتين **وألقي السحرة** وخروا سجدا كأنما
ألقاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا وعن قتادة كانوا
أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الإسلام ونشأ
بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا أنفسهم لله
آمنتم به على الإخبار أي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف

فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقي السحرة
ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعون آمنتم به

قبل ان أذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لا صلبنكم اجمعين

الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة إن صنعكم
هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك
لغرض لكم وهو أن تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني إسرائيل وكان هذا الكلام من
فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة بالإيمان وروي أن موسى قال للساحر الأكبر
أتؤمن بي إن غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وإن غلبتني لأومنن بك وفرعون
يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد أجمله ثم فصله بقوله لأقطعن
وقرئ لأقطعن بالتخفيف وكذا الكلم لأصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل أنه أول
من قطع من خلاف وصلب لفرعون إنا إلى ربنا منقلبون فيه أوجه أن يريد وإ
إنا لا نبالي بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك أو ننقلب إلى
الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب وأنا جميعا يعني أنفسهم وفرعون
ننقلب إلى الله فيحكم بيننا أو إنا لا محالة ميتون منقلبون إلى الله فما تقدر أن تفعل بنا
إلا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا إلا أن آمنا وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله أراد
وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان ومنه قوله ولا عيب
فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب أفرغ علينا صبرا هب لنا صبرا
واسعا وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء إفراغا وعن بعض السلف أن
أحدكم ليفرغ على أخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك أي يغمره بالحياء والخجل أو صب علينا
ما يطهرنا من أوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لأنهم علموا أنهم إذا
استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الإسلام
ويذرك وآلهتك عطف على ليفسدوا ولأنه إذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا
إلى ما دعوه فسادا وإلى تركه وترك آلهته فكأنه تركهم لذلك أو هو جواب للاستفهام
بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء
والنصب بإضمار أن تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون تركه إياك وآلهتك
وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على أتذر بمعنى أتذره وأيذرك وآلهتك أي أتطلق
له ذلك أو يكون مستأنفا أو حالا على معنى أتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك
بالجزم كأنه قيل يفسدوا كما قرئ وأكن من الصالحين كأنه قيل أصدق وأكن وقرئ
أنس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب أي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ
ويذرك وإلاهتك أي عبادتك وروي أنهم قالوا له ذلك لأنه وافق السحرة على
الإيمان ستمائة ألف نفس فأرادوا بالفساد في الأرض ذلك وخافوا أن يغلبوا على

قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا
ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه

ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون
قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

الملك وقيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا إليه كما يعبد عبدة الأصنام
الأصنام ثم يقولون ليقربونا إلى الله زلفى ولذلك قال أنا ربكم الأعلى سنقتل
أبناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الأبناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه
من الغلبة والقهر وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا وأن غلبة موسى لا أثر لها
في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة أنه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة
بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه وأنه منتظر بعد
قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل أبناءهم
وجزعوا منه وتضجروا تسكينا لهم وتسلية ووعدهم النصر عليهم وذكر لهم ما وعد
الله بني إسرائيل من إهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم فإن قلت لم أخليت هذه
الجملة عن الواو وأدخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتدأة مستأنفة وأما وقال
الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله إن الأرض لله
يجوز أن تكون اللام للعهد ويراد أرض مصر خاصة كقوله وأورثنا الأرض وأن تكون
للجنس فيتناول أرض مصر لأنها من جنس الأرض كما قال ضمرة إنما المرء بأصغريه
بالمرء الجنس وغرضه أن يثبتوا ويصبروا لأوليائه والعاقبة للمتقين بشارة بأن الخاتمة
المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وأن المشيئة متناولة لهم وقرئ والعاقبة للمتقين
بالنصب أبي رحمه الله وابن مسعود عطفا على الأرض قالوا أوذينا من قبل أن
تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى إلى أن استنبئ وإعادته عليهم
بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من أنواع الخدم والمهن ويمسون
به من العذاب عسى ربكم أن يهلك عدوكم تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل
وكشف عنه وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر فينظر
كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم
على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله عليه أنه دخل على المنصور
قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان وطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه
الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون بالسنين
بسني القحط والسنة من الأسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها
فقالوا أسنت القوم بمعنى أقحطوا وقال ابن عباس أما السنون فكانت لباديتهم
وأهل مواشيهم وأما نقص الثمرات فكانت في أمصارهم وعن كعب يأتي على الناس
زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر

قالوا أوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم
ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين
ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون

فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون

وتنبيه لهم لآيات الله ... الناس في حال الشدة اضرع خدا وألين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية **فاذا جاءتهم الحسنة** من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب **يطيروا بموسى ومن معه** يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله هذه من عندك فان **قلت** كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة **قلت** لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهلا عددت ايام الرخاء **الا انما طائرهم** عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر اشأم من هذا وقرا الحسن انما طيركم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير **مهما** هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قوله متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما انك ... الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فان **قلت** ما محل مهما **قلت** الرفع بمعنى اي شيء تأتنا به او النصب بمعنى اي شيء تحضرنا تأتنا به ومن آية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانه في معنى الآية ونحوه قول زهير ومهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله

وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين

فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم

مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فان **قلت** كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها **قلت** ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي **الطوفان** ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد منهم ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت القبط وبيوت بني اسرائيل مشتبكة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل هو الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى عليه السلام الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحنان في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم ولا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهود فارسل عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا

اايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون

الى فرعون فقال ابه ثم كم فكان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون
ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبطي الدم
حتى ان المراة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير
الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا
مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل
سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين
سنة يريهم هذه الآيات وروي انه لما اراهم اليد والعصا ونقص الثمرات والسنين قال
يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي
عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بقي من النعم وقرا الحسن
والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف **آيات** مفصلات نصب على
الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من آيات الله التي لا تقدر
عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه
احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا ام ينكثون الزاما للحجة عليهم **بما عهد**
عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك
على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته
بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا
بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك **الى** اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم
بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى
حلوله **اذا** هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجاوا النكث وبادروه
ولم يؤخروه لكن لما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم
في اليم واليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم
لان المستنفعين به يقصدونه **بانهم** كذبوا باياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم
بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها **القوم** الذين كانوا يستضعفون هم
بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها بنو
اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا كيف شاؤوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية
باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق **كلمة** ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على
الذين استضعفوا الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى
تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب

فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك
الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه

وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم
قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه
وباطل ما كانوا يعملون

صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن
قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله
وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي الصبر وقرا عاصم في رواية
وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى **ما** كان يصنع فرعون
وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور **وما كانوا يعرشون**
من الجنات ونحو ذلك [illegible] او ما كانوا يرفعون من الابنية
المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي
ان الكسر افصح وبلغني انه قرا بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا
منه وهذا اخر ما اقتص الله من نبا فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم
ثم اتبعه اقتصاص نبا بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من مملكة فرعون واستعباده
ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله تعالى جهرة
وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه ظلوم كفار جهول
كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله صلى الله عليه مما
راى من بني اسرائيل بالمدينة وروي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون
وقومه فصاموه شكرا لله فاتوا على قوم فمروا عليهم **يعكفون** على اصنام
لهم يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل
وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا
بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلاه وعالاه وقرئ
يعكفون بضم الكاف وكسرها **اجعل** لنا الها صنما نعكف عليه كما لهم آلهة اصنام
يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي عليه السلام ان
يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولم تجف اقدامكم
انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى
فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما راى منهم ولا اشنع **ان** هؤلاء يعني
عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان
فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم
اصنامهم هذه ويتركها رضاضا **وباطل** ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من عبادتها
فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما
قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم

قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها واسم لعبدة الأوثان بأنهم هم المعرضون للتبار وأنه
لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض إليهم ما أحبوا
أغير الله أبغيكم إلها أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا وهو فعل بكم ما فعل دون
غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به
غيره ومعنى الهمزة الإنكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غيره
يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا
طلبها فإن قلت ما محل يسومونكم **قلت** هو استئناف لا محل له ويجوز أن يكون
حالا من المخاطبين أو من آل فرعون وذلكم إشارة إلى الإنجاء أو إلى العذاب والبلاء النعمة
أو المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف روي أن موسى وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله
عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل
موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه
فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل
أوحى الله إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره الله أن يزيد عليها
عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وقيل أمره أن يصوم ثلاثين يوما وأن يعمل فيها بما يقربه من الله
ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصلها ها هنا
وميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له وأربعين نصب على الحال أي تم بالغا
هذا العدد وهرون عطف بيان لأخيه وقرئ بالضم على النداء **اخلفني** في قومي كن
خليفتي فيهم وأصلح وكن مصلحا أو وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل ومن دعاك منهم
إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه **لميقاتنا** لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى
اللام الاختصاص فكأنه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول أتيته لعشر خلون من
الشهر **وكلمه** ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق
الكلام منطوقا به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي أن موسى كان
يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه أربعين يوما وأربعين ليلة
وكتب له الألواح وقيل إنما كلمه في أول الأربعين **أرني** أنظر إليك ثاني
مفعولي أرني محذوف أي أرني نفسك أنظر إليك فإن **قلت** الرؤية عين النظر فكيف
قيل أرني أنظر إليك **قلت** معنى أرني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لي
فأنظر إليك فإن **قلت** فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي لقوله أنظر إليك
قلت لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الإدراك علم أن

الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي فإن
قلت كيف طلب موسى ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز
عليه وبتعاليه عن الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان في
جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون في جهة ومنع المجبرة إحالته في العقول غير
لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين أخذت
الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى قوله تضل بها من تشاء
فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا **قلت** ما كان طلب الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين
دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر
عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا
وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرني أنظر إليك فإن **قلت** فهلا
قال أرهم ينظروا إليك **قلت** لأن الله تعالى إنما كلم موسى وهم يسمعون فلما سمعوا
كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه
معه إرادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى أرني أنظر إليك ولأنه إذا زجر عما طلب
وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره أولى
بالإنكار ولأن الرسول إمام أمته فكان ما يخاطب به أو ما يخاطب راجعا إليهم وقوله أنظر إليك
وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم وحكاية
لقولهم وجل صاحب الجمل أن يجعل الله منظورا إليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو أعرق
في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبي الهذيل والشيخين وجميع
المتكلمين فإن **قلت** ما معنى لن **قلت** تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك
أن لا تنفي المستقبل تقول لا أفعل غدا فإذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غدا والمعنى
أن فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه
الأبصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان لأن المنفي مناف لصفاته
فإن **قلت** كيف اتصل الاستدراك في ولكن انظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت
الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم
ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كأنه جل وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله
عند نسبة الولد إليه في قوله وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا **فإن** استقر
مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية

فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين
قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين

بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه فسوف تراني **فلما تجلى ربه للجبل** فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها مستوية وقرا يحيى بن وثاب دكا اي قطعا دكا جمع دكاء **وخر موسى صعقا** من هول ما راى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على راسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة **فلما افاق** من صعقته **قال سبحانك** انزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها **تبت اليك** من طلب الرؤية **وانا اول المومنين** بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس **فان قلت** فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب **قلت** من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية في هذه الاية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا اول المومنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قاله بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفه قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفه فيحوله نحا القوم طالبين للعدل ما فيهم لعمري معرفه قد جاءهم من حيث لا يدرون انه تعطيل ذات الله مع نفي الصفه وتفسير اخر وهو ان يريد بقوله ارني انظر اليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة في جلائها باية مثل ايات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلا واستوى قال لن تراني اي لن تطيق معرفتي على هذه

وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك
ياخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين

الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الاية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له اية من تلك الايات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له اية من ايات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما راى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المومنين بعظمتك وجلالك وان شيئا لا يقوم لبطشك وباسك **اصطفيتك على الناس** اخترتك على اهل زمانك واثرتك عليهم **برسالاتي** وهي اسفار التوراة **وبكلامي** وبتكليمي اياك **فخذ ما اتيتك** ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة **وكن من الشاكرين** على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التوراة يوم النحر فان **قلت** كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا **قلت** اجل ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة **وكتبنا له في الالواح** ذكر في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرا الجزء منه في سنة لم يقراها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين **فخذها** فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان تكون بدلا من قوله فخذ ما اتيتك والضمير في فخذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتوراة ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل **ياخذوا باحسنها** اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم وقيل ياخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد ياخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتاء **ساريكم دار الفاسقين** يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل دار الفاسقين

دار جهنم وقرا الحسن ساوريكم وهي لغة فاشية في الحجاز يقال اورني كذا واوريته ووجهه
ان يكون من اوريت الزند كان المعنى بينه لي وانره لاستبينه وقرئ ساورثكم وهي
قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون **ساصرف** عن اياتي
بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا
فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا ان رسول الله صلى
الله عليه اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد
فرعون ان يبطل اية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز
ساصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار
للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الايات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم
فيسلك بهم سبيلهم **بغير** الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين
لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما
هم عليه من دينهم **وان** يروا كل اية من الايات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها
وقرا مالك بن دينار وان يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم
السقم والسقم والسقام وما اسفه من ركب المفازة فان راى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه
وان راى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه **ذلك** في
محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف
بسببه **ولقاء** الاخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم
الاخرة ومشاهدتهم احوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله
في الاخرة من بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور فان **قلت** لم قيل واتخذ قوم موسى
عجلا والمتخذ هو السامري **قلت** فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا
منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل
والفاعل واحد لانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجمعوا عليه
والثاني ان يراد واتخذوه الها وعبدوه وقرئ من **حليهم** بضم الحاء والتشديد جمع حلي
كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم
ما يتحسن به من الذهب والفضة فان **قلت** لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم وانما
كانت عواري في ايديهم **قلت** الاضافة تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم
كفى به ملابسة على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم

الا ترى الى قوله عز وعلا فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها
بني اسرائيل **جسدا** بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال الحسن
ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل
فكان عجلا له خوار وقرئ على رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جار اذا صاح وانتصب
جسدا على البدل من عجلا **الم** يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل
حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي
هدى الخلق الى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم
ابتدا فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر **وكانوا** ظالمين
واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم **ولما**
سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه
وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند
الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرا ابو السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل
اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم
كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب
وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين **و**راوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا
كانهم ابصروه بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا
كلام التائبين كما قال ادم وحواء عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا **الاسف** الشديد
الغضب فلما اسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين **خلفتموني** قمتم مقامي وكنتم
خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه
او لوجوه بني اسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله
اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث
لم تكفوا من عبد غير الله فان **قلت** اين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم
قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان **قلت** اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله
خلفتموني **قلت** معناه من بعد ما رايتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص
العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم
من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة
المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين

والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين

بالصفات الحسنة تعالى عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقضه ثم غلبه ولا تحله عنه غيره
وتضمن معنا سبق فتعدى تعديته فقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار
موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ اخره ولم ارجع
اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان
السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى لن
يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا
ما احدثوا **والقى الالواح** وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه
حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين
منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروي ان التورية كانت سبعة
اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباع وبقي سبع واحد وكان فيما رفع
تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة **واخذ براس اخيه** اي بشعر راسه **يجره اليه**
توهما انه وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه
انه فرط في الكف **ابن ام** قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة
وابن امي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه فان صح فانما اضافه الى
الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق
الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبتها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد
فذكره بها **ان القوم استضعفوني** يعني انه لم يال جهدا في كفهم بالوعظ والانذار
وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان
يقتلوه **فلا تشمت بي الاعداء** فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة
الي وقرئ فلا تشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون
به لاجله **ولا تجعلني مع القوم الظالمين** ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي
قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما
اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء **قال رب اغفر لي ولاخي** ليرضي اخاه ويظهر
لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه
ولاخيه ان عسى فرط في امر الخلافة وطلب ان لا يفترقا عن رحمته ولا تزال منتظمة
لهما في الدنيا والاخرة **غضب من ربهم** وذلك الغضب ما امروا به من قتل انفسهم
والذلة خروجهم من ديارهم لبعد ذلة الغربة مثل يضرب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم
بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء من الذلة بضرب الجزية **المفترين**

قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين

والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون واختار موسى

المفترين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان
يعاقبوا في الحيوة الدنيا بالذلة وحدها ويراد بهما انهم غضب في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا
كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله **والذين عملوا السيئات**
من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا من بعدها رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وامنوا
واخلصوا الايمان **ان ربك من بعدها** من بعد تلك العظايم **لغفور** لستور عليهم محاء
لما كان منهم **رحيم** منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن
عداهم عظم جنايتهم اولا ثم اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان
عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة
وما وراءها طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم **ولما سكت عن موسى الغضب**
هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر
براس اخيك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها
كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معوية
بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا
من تلك الروعة وقرئ ولما سكت واسكت اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه
وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه **اخذ الالواح** التي القاها **وفي نسختها** وفيما نسخ منها
اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة **للذين هم لربهم يرهبون** دخلت اللام لتقدم
المفعول لان تاخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون ونقول لك
ضربت **واختار موسى قومه** اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ومنا
الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى
تناموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال لمن قعد منكم مثل
اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله
اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما
عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فامرهم ان يصوموا
ويتطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه
في سبعين رجلا من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام
حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا
في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل ثم
انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا

قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها

يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب أرني أنظر إليك يريد أن يسمعوا الرد
والإنكار من جهته فأجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا فلما كانت الرجفة قال موسى
رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي وهذا تمنٍّ منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة
طلب الرؤية كما يقول النادم على الأمر إذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لأهلكني قبل هذا
أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني أتهلكنا جميعا يعني نفسه وإياهم
لأنه إنما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا إن هي إلا فتنتك أي
محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا
فاسدا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي
العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك إضلالا من الله وهداية لأن محنته لما كانت
سببا لأن ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام أنت مولانا
القائم بأمورنا واكتب لنا وأثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة
أو توفيقا في الطاعة وفي الآخرة الجنة هدنا إليك تبنا إليك وهاد إليه يهود إذا
رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هدهد واسجد
كأنك هدهد وقرأ أبو وجزة السعدي هدنا إليك بكسر الهاء من هاده يهيده إذا
حركه وأماله ويحتمل أمرين أن يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا إليك أنفسنا
وأملناها أو حركنا إليك وأملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت
من العيادة ويجوز عدت بالإشمام وعدت بإخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول
القول ويجوز على هذه اللغة أن يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده عذابي
من حاله وصفته أني أصيب به من أشاء أي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو
عنه مساغ لكونه مفسدة وأما رحمتي فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شيء
ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في نعمتي وقرأ الحسن من أساء
من الإساءة فسأكتبها هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يكونون في آخر
الزمان من أمة محمد صلى الله عليه الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون
بشيء منها الذين يتبعون الرسول الذي يوحى إليه كتابا مختصا به وهو القرآن
النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجدون نعته أولئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل
مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الأشياء
الطيبة كالشحوم وغيرها وما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من
الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم

والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من
المكاسب الخبيثة الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وهو
مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم وكذلك الأغلال
مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ
من غير شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض النجاسة من الجلد والثوب وإحراق
الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلي
لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف
السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع وعزروه
ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف وأصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب
دون الحد لأنه منع من معاودة القبيح ألا ترى إلى تسميته الحد والحد هو المنع والنور
القرآن فإن قلت ما معنى قوله أنزل معه وإنما أنزل مع جبريل قلت معناه أنزل
مع نبوته لأن استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز أن يتعلق باتبعوا أي
واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه أو واتبعوا
القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فإن قلت كيف انطبق هذا الجواب
على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا لنفسه ولبني إسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ
بني إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي
أجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد أن يكون
استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من
أهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في إخلاص الإيمان والعمل الصالح وفي أن يحشروا معهم
ولا يفرق بينهم وبين أعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء إني رسول الله إليكم
جميعا قيل بعث كل رسول إلى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه إلى كافة الإنس وكافة
الجن وجميعا نصب على الحال من إليكم فإن قلت الذي له ملك السماوات والأرض ما محله
قلت الأحسن أن يكون منتصبا بإضمار أعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز أن يكون
جرا على الوصف وإن حيل بين الصفة والموصوف بقوله إليكم جميعا وقوله لا إله إلا هو
بدل من الصلة التي هي له ملك السماوات والأرض وكذلك يحيي ويميت وفي لا إله إلا
هو بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان
لاختصاصه بالإلهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره وكلماته
وما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الإفراد

ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم اثنتي عشرة
أسباطا أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب

وهو القرآن أو أراد جنس ما كلم به وعن مجاهد أراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون
عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وإنما قيل إن عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لأنه
لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى **لعلكم** تهتدون إرادة
أن تهتدوا وآيات **فإن قلت** هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله إني رسول الله إليكم قلت عدل
عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من
مزية البلاغة وليعلم أن الذي وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي
الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري إظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية
لنفسه **و**من قوم موسى أمة هم المؤمنون التائبون من بني إسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم
في الدين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمة عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر أن منهم أمة
موقنين ثابتين **يهدون** الناس بكلمة الحق يدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم
وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك النبي صلى الله عليه وآله
وآمن به من أعقابهم وقيل إن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا
تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين إخوانهم ففتح الله لهم
نفقا في الأرض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون
يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه أن جبريل ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلمهم فقال
لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله
إن موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى
عليهما السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلاة
والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وعن
مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه
من المؤمنين وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيئا منكم من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في
طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم تبلغهم نسخها لكانوا معذورين وهذا من باب
الفرض والتقدير وإلا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه إلى كل أفق وتغلغل في كل
نفق ولم يبق الله أهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الأرض
ومغاربها إلا وقد ألقاه إليهم وملأ به مسامعهم وألزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم
القيامة **و**قطعناهم وصيرناهم قطعا أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الألفة بينهم
وقرئ وقطعناهم بالتخفيف **اثنتي** عشرة أسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة والأسباط
أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام فإن

فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم
وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم
وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا

قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل
ذلك لم يكن تحقيقا لأن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع
أسباطا موضع قبيلة ونظيره تبقلت من أول التبقل جمعة بين رماحي مالك ونهشل
أمما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم أمما لأن كل سبط كانت أمة عظيمة وجماعة
كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى لا تكاد تأتلف وقرئ
اثنتي عشرة بكسر الشين **فانبجست** فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بكثرة
وسعة قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط الأسى وكيف غربي دالج تبجسا فإن
قلت فهلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الإلباس وليجعل الانبجاس مسببا عن
الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر وأنه من انتفاء
الشك عنه بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به وقوله كل أناس نظير قوله اثنتي عشرة أسباطا
يريد كل أمة من تلك الأمم الاثنتي عشرة والأناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء
وتؤام وأخوات لها ويجوز أن يقال إن الأصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة
كما أبدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة **و**ظللنا عليهم الغمام وجعلنا الغمام ظللا
عليهم في التيه وكلوا على إرادة القول **و**ما ظلمونا وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم
النعم ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم إليهم **و**إذ قيل لهم واذكروا إذ قيل
لهم والقرية بيت المقدس **فإن قلت** كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة
قلت لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله
اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله فكلوا لأنهم إذا سكنوا القرية
فتسبب سكناهم للأكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها وسواء
قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون في الإيجاد بينهما وترك
ذكر الرغد لا يناقض إثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد
بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتب على تقدير
قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان
وأرسلنا وأنزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم
وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم على البناء للمفعول **و**اسألهم وسل اليهود وقرئ
وسلهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والإعلام
بأن هذا من علومهم التي لا تعلم إلا بكتاب أو وحي فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه
من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك أعدوتم في السبت

منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم
سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا
عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة

واسألهم عن **القرية** أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن أبي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من أهل المدن **حاضرة البحر** قريبة منه راكبة لشاطئه **إذ يعدون في السبت** إذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدّون بمعنى يعتدون أدغمت التاء في الدال ونقلت حركتها إلى العين ويُعِدّون من الإعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله **يوم سبتهم** معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد العزيز ويوم إسباتهم وقرئ لا يُسبِتون بضم الياء وقرأ علي رضي الله عنه لا يُسبَتون بضم الياء من أسبتوا وعن الحسن لا يُسبَتون على البناء للمفعول أي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بأن يسبتوا فإن قلت **إذ يعدون وإذ تأتيهم** ما محلهما من الإعراب قلت أما الأول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز أن يكون منصوبا بكانت أو بحاضرة وأما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل **والحيتان** السمك وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة **شرّعا** ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان إذا دنا منا وأشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم **وإذ قالت** معطوف على إذ يعدون وحكمه حكمه في الإعراب **أمة منهم** جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم **لم تعظون قوما الله مهلكهم** أي مخترمهم ومطهر الأرض منهم أو معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم **قالوا معذرة إلى ربكم** أي موعظتنا إبلاء عذر إلى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في أن ينتفعوا بعض الانتفاع وقرئ معذرةً بالنصب أي وعظناهم معذرة إلى ربكم أو اعتذرنا معذرة **فلما نسوا** يعني أهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه **أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا** الظالمين الراكبين للمنكر فإن قلت الأمة الذين قالوا لم تعظون من أي الفريقين هم أمن فريق الناجين أم من فريق المعذبين قلت من الناجين لأنهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث

يزاوله عرضا مستحيلا لعلمهم بحال القوم وإذا علم الناهي حال المنهي وأن المنهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن إلا سببا للتلهي بك وأما الآخرون فإنما لم يعرضوا عنهم أما لأن يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الأولين ولم يخبروهم كما خبروهم أو لفرط حرصهم وجدهم في أمرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الأمة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون أن الله مهلكهم أو معذبهم وعن ابن عباس أنه قال ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم أزل به حتى عرّفته أنهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان وروي أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها **ويوم لا يسبتون لا تأتيهم** فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم إبليس لعنه الله فقال لهم إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان إليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الأحد وأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا إلى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فطلع في تنوره فقال له إني أرى الله سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين ألفا فصار أهل القرية أثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر ألفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون إنا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولا الإنس يعرفون أنسابهم من القردة فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول ألم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزيا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة أدهى وأمر

إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم

بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئيس بوزن حذر وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيّس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيّس كهين في هين وبائس على فاعل **فلما عتوا عما نهوا عنه** فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم **قلنا لهم كونوا قردة** عبارة عن مسخهم قردة كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والمعنى أن الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ **وإذ تأذن ربك** عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام لأن العازم على الأمر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى وإذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر والمعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد **وقطعناهم في الأرض أمما** وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم **منهم الصالحون** الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين **ومنهم دون ذلك** ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الفسقة والكفرة فإن قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم بمعنى وما منا أحد إلا له مقام **وبلوناهم بالحسنات والسيئات** بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون **فخلف من بعدهم** من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم **ورثوا الكتاب** التوراة وبقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرءونها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها **يأخذون عرض هذا الأدنى** أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة **ويقولون سيغفر لنا** لا يؤاخذنا الله بما أخذنا والفعل سيغفر لنا الجار والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون الأخذ الذي هو مصدر يأخذون **وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه** الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة والمصر لا غفران له

دون في محل الرفع صفة المبتدأ والخبر ظرف ... على محل الأول خبرا والثاني مبتدأ بعده موصوف دون الحكم وإن كان ... من جهة المعنى ... المصير إلى الحذف ... أولى

عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب

ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة **ودرسوا ما فيه** في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان إن قصروا عما أمروا به قالوا سيغفر لنا لأنا لم نشرك بالله شيئا كل أمرهم إلى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الأمة أشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية **والدار الآخرة خير** من ذلك العرض الخسيس **للذين يتقون** الرشا ومحارم الله وقرئ وادرسوا الكتاب فلا تقولوا أنا لنا وادارسوا بمعنى تدارسوا أولا تعقلون بالياء والتاء فإن قلت ما موقع قوله أن لا يقولوا على الله إلا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز أن تكون أن مفسرة ولا تقولوا نهيا كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله إلا الحق فإن قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه **والذين يمسكون بالكتاب** فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره إنا لا نضيع أجر المصلحين والمعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر ~~المصلحين والمعنى إنا لا نضيع أجرهم~~ من أحسن عملا والثاني أن يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله إنا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد ويعضده قراءة أبي والذين مسكوا بالكتاب فإن قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها إقامة الصلاة فكيف أفردت قلت إظهارا لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والإيمان وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب **وإذ نتقنا الجبل فوقهم** قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء إذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه إذا أشرف وظنوا **أنه واقع بهم** وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الألواح

وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم

خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وإذ أخذ ربك من بني آدم
من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا

وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا حجر ولا شيء الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التوراة الا اهتز وانغض لها رأسه **خذوا** ما آتيناكم بقوة على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بعزم وعزيمة على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او اذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة **بقوة** ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا **و**اذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذّكروا بمعنى وتذكروا **من** ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا واشهادهم على انفسهم وقوله ألست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله اذ قالت الانساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى **أن** تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم فان قلت بنو آدم وذرياتهم من هم **قلت** عنى ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها هي على نسقها واسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا **أفتهلكنا** بما فعل المبطلون اي كان آباؤنا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه

أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من
قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات

ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان
فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله

وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على التوحيد ان يقولوا بالياء **واتل** عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها وهو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء اوتي علم بعض كتب الله **فانسلخ** منها من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فأتبعه الشيطان فادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ فاتّبعه بمعنى تبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فأبى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل **ولو** شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات **ولكنه** اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة فان قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلقه بفعله الذي يستحق به الرفع **قلت** المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ **فمثله** كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كمثل الكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث فان **قلت** ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب **ذلك** مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعد ما قرأوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به **فاقصص** القصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون

كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا
بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا

الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي
ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم

من غاية إذ تناوزوا نحو منزلته وراغوا شبه زيغه وتعلم أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم **ساء مثلا القوم** أي مثل القوم ثم حذف المضاف وقرأ الجحدري ساء مثل القوم **وأنفسهم كانوا يظلمون** إما أن يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم وإما أن يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها إلى غيرها **فهو المهتدي** حمل على اللفظ **وأولئك هم الخاسرون** حمل على المعنى **كثيرا من الجن والإنس** هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بعقولهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وأنه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد بلغني أن أهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الأمور ما خلق فلان إلا لكذا ولكن حرب قول أبي العمد

أنا رجل خلقت لشرب راح ... وليل باغتباق والتزام
ولم أخلق لغيرتك الغوالي ... ولا للطعن في رهج القتام
ولا تسير الأقدام ضيق ... نادى ها هنا البطل المحامي

والمراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه النبي الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار **أولئك كالأنعام** في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم أضل من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهم لا أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار **ولله الأسماء الحسنى** التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا

قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها
أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون
وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث

البدو يسمونه بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخي وإن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ويجوز أن يراد ولله الأوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل إلحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فأخبر أن كثيرا من الثقلين عاملون بعمل أهل النار أتبعه قوله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه عليه السلام إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل العلماء والدعاة إلى الدين **الاستدراج** استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة قال الأعشى

فلو كنت في جب ثمانين قامة ... ورقيت أسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره ... وتعلم أني عنكم غير مفحم

ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في إثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم **من حيث لا يعلمون** ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هي خذلان منه وتبعيد **وأملي لهم** عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين **إن كيدي متين** سماه كيدا لأنه شبيه بالكيد من حيث إنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان **ما بصاحبهم** بمحمد صلى الله عليه وسلم **من جنة** من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت إلى الصباح **أولم ينظروا** نظر استدلال في ملكوت السماوات والأرض فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف **وأن عسى** أن مخففة من الثقيلة والأصل وأنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب

لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير
مبين أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب

اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون
يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت

الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الاجل وحلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة
ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن فان **قلت** وبم يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون
قلت بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون
الايمان بالقران قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون
ان يؤمنوا ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستيناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا
على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم **يسألونك**
قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان
ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من
الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيمة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها
او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق
ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت واي فعل
من اويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وابى ان يكون من اين لانه زمان
واين مكان وقرا السلمي ايان بكسر الهمزة **مرساها** ارساؤها او وقت ارسائها
اي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة
والمرسى المكان الذي ترسو فيه ولا اثقل من الساعة بدليل قوله تعالى ثقلت في السموات والارض والمعنى
متى يرسيها الله **انما علمها** اي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به احدا من ملك
مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية
كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك **لا يجليها** لوقتها الا هو اي لا تزال
خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة
لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها
ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شأن
الساعة ويود ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها
يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي
ثقيلة فيها **الا** بغتة الا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة
تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه
والرجل يخفض ميزانه ويرفعه **كانك** حفي عنها كانك عالم بها وحقيقته
كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم
علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل

في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله
ولكن اكثر الناس لا يعلمون

قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون

استئصاله واحفى في المسألة اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت
عنها السؤال حتى علمت وقرا ابن مسعود كانك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها
وقيل عنها متعلق بيسألونك عنها كانك حفي اي عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا
وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتختصهم
بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في
اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل
كانك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره بمعنى انك تكره السؤال عنها لانها من علم الغيب
الذي استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه فان **قلت** لم كرر يسألونك وانما علمها
عند الله **قلت** للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير
العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رحمه الله
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها **قل** لا املك لنفسي هو
اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي
اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي
والدفع عني ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير
واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة
ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير **ان**
انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني ان اعلم الغيب **لقوم** يؤمنون يجوز ان
يتعلق بالنذير والبشير جميعا وقيل اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون ...
جعل لكم من انفسكم **من** نفس واحدة وهي نفس ادم وجعل منها زوجها وهي حوا خلقها
من جسد ادم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا
ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا
كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه
محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن ~~اليها وتغشاها وكان التذكير~~
احسن فذكر بعد ما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان
المراد بها ادم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن
طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان **حملت**
حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم
تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن يقول في ولدها ما كان اخفه على كبدي

هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها
حملت حملا خفيفا

فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين
فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا

حين حملته **فمرت به** فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق
وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت الى وقرا ابن عباس
فاستمرت به وقرا يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرا غيره فمارت به من المرية كقوله
افتمارونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت **فلما اثقلت** حان وقت ثقل حملها
كقولك اقربت وقرى اثقلت على البنا للمفعول اى اثقلها الحمل **دعوا الله ربهما** دعا
آدم وحوا ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجا اليه فقالا **لئن آتيتنا**
لئن وهبت لنا **صالحا** ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من
الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما
فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركا اى جعل اولادهما
له شركا على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما آتاهما اى آتا
اولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم
وحوا بريان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى
وعبد مناة وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم
ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم آل قصي الا ترى الى قوله في قصة ام معبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار
لا يبارى وسودد ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها
عربية قرشية **ليسكن** اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي
جعلا له شركا فيما آتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى
وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا
بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم
الشركا ايشركون ما لا يخلق شيئا اراد بهم الاصنام اجراها مجرى اولي العلم في قوله **وهم**
يخلقون بنا على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على
خلق شي كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شي لانه
جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون
لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل
عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم **وان تدعوهم** وان تدعوا هذه
الاصنام الى الهدى اى الى ما هو هدى ورشاد او الى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا
منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى **لا يتبعوكم** الى مرادكم وطلبتكم ولا

إن الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان
يسمعون بها قل ادعوا شركاكم ثم كيدون فلا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب

يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
سوا عليكم ادعوتموهم ام صمتم عن دعائهم في انه لا فلاح معهم **ولم**
يقل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية **قلت** لانهم كانوا اذا حزبهم
امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه وكانت
حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم يفترق الحال بين حالكم في
دعائهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم **ان** الذين تدعون من دون الله
اى تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم استهزا
بهم اى قصارى امرهم ان يكونوا احيا عقلا فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل
بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها وقيل عباد امثالكم
مملوكون امثالكم وقرا سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف
ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال
ان النافية عمل ما الحجازية **قل** ادعوا شركاكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدوني
جميعا انتم وشركاؤكم **فلا** تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا تقول هذا الا واثق بعصمة
الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له ان
نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم اني بري مما تشركون من دونه فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله اى ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب اى الذي
اوحى الي كتابه واعزني برسالته **وهو** يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر
الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم وتراهم **ينظرون** اليك يشبهون الناظرين
اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشي ينظر اليه وهو
لا يبصر **وهم** لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي **خذ** العفو ضد الجهد اى خذ ما عفا لك من
افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم
الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا عنك كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا
قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وقيل خذ الفضل
وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكوة فلما نزلت امر ان ياخذهم بها
طوعا او كرها **وامر بالعرف** المعروف والجميل من الافعال **واعرض عن الجاهلين**
ولا تكافئ السفها بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوؤك منهم
وقيل لما نزلت الآية سال جبريل فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك
امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله

والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون
وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين

وإما ينزغنك من الشيطان نزغ وإما ينخسنك منه نخس بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به **فاستعذ بالله** ولا تطعه والنزغ والنخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغاً كما قيل جدّ جدّه أو أريد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبي بكر رضي الله عنه إن لي شيطاناً يعتريني **طيف من الشيطان** لمّة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفاً قال أنّى ألمّ بك الخيال يطيف وهو تخفيف طيّف فيعل من طاف يطيف كليّن أو من طاف يطوف كهيّن وقرئ طائف وهو يحتمل الأمرين أيضاً وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وأن المتقين هذه عادتهم إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته **تذكروا** ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه أنفسهم وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فإن الشياطين يمدونهم في الغيّ أي يكونون مدداً لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الإمداد ويمادّونهم بمعنى يعاونونهم **ثم لا يقصرون** ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصرّوا ولا يرجعوا وقوله وإخوانهم يمدونهم كقوله قوم إذا الخيل جالوا في كواثبها في أن الخبر جار على غير ما هو له ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين فيكون الخبر جارياً على ما هو له والأول أوجه لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا **فإن قلت** لم جمع الضمير في إخوانهم والشيطان مفرد **قلت** المراد به الجنس كقوله أولياؤهم الطاغوت **اجتبى** الشيء بمعنى جباه لنفسه أي جمعه كقولك اجتمعه أو جبى إليه فاجتباه أي أخذه كقولك جليت إليه العروس فاجتلاها والمعنى هلا اجتمعتها افتعالاً من عند نفسك لأنهم كانوا يقولون إن هذا إلا إفك مفترى أو هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة قل إنما أتبع ما يوحى إليّ ولست بمفتعل للآيات أو لست بمقترح لها **هذا بصائر من ربكم** هذا القرآن بصائر من ربكم أي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى أو هو بمنزلة بصائر القلوب **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا** ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة أن ينصت القوم إذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه وإذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معناه فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه **واذكر ربك في نفسك** هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعاً وخيفة متضرعاً وخائفاً ودون الجهر ومتكلماً كلاماً دون الجهر لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص

وأقرب إلى حسن التفكر **بالغدو والآصال** لفضل هذين الوقتين أو أراد الدوام ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والإيصال من آصل إذا دخل في الأصيل كأقصر وأعتم وهو مطابق للغدو **ولا تكن من الغافلين** من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه إن الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته **وله يسجدون** ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الأعراف جعل الله بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة

سورة الأنفال مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

النفل الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه قال لبيد إن تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائداً على سهمه من المغنم وهو أن يقول الإمام تحريضاً على البلاء في الحرب من قتل قتيلاً فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي في أحد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعاً فقيل له قل لهم هي لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءاً لكم وفئة تنحازون إليها إن انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه المغنم قليل والناس كثير وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت وعن سعد بن أبي وقاص قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبني فجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه فقلت إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا السيف لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وقد أنزلت سورة الأنفال فقال يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله صلى

ذات البين وقرا ابن محيصن يسالونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وادغام نون عن في اللام وقرا ابن مسعود يسالونك الانفال اي يسالك الشبان ما
شرطت لهم من الانفال فان **قلت** ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال
لله والرسول **قلت** معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه
حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد والمراد
ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ
الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستاثروا بما شرط لهم فانهم ان
فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي **فاتقوا الله**
في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله **واصلحوا ذات بينكم**
وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل عليكم به وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعا
وقال اقسموا الغنائم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فان
قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم **قلت** احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون
احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة
للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب وقيل
جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته
ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان
كنتم كاملي الايمان واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما الكاملو
الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا
وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له
قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الله يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له
وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر
في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورافته وثوابه
وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وترك وجلت بالفتح
وهي لغة نحو وثقت في وثقت وقرئ فرقت **زادتهم ايمانا** ازدادوا
بها يقينا وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل
على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله
الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز
ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم

يستكمل الايمان **وعلى ربهم يتوكلون** ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا
يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح
من الصدقة والصلاة **حقا** صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا
او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اي
حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا ساله امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسالني
عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب
فانا مؤمن وان كنت تسالني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري
من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد امن بنصف الاية وهذا الزام
منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع انه مؤمن حقا وبهذا تعلق
من استثنى في الايمان وكان ابو حنيفة رحمه الله ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم
تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي فقال له هلا
اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى **درجات** شرف وكرامة وعلو منزلة **ومغفرة**
وتجاوز لسيئاتهم **ورزق كريم** نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا
معنى الثواب **كما اخرجك ربك** فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف
على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة
ما رايت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على انه
صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول
وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك
يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص
البيت بساكنه **بالحق** اي اخراجا متلبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وان فريقا
من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير
قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن
العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبر المسلمين فاعجبهم
تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان
اصابها محمد لن تفلحوا ابدا وقد رات اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت
لاخيها اني رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق
بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل

جادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون

ما رضي رجال منكم ان تتبعوا اخي تعبا انسا وهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في
المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس
الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات
والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه
فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما من السنة ونزل جبريل
فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه
اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول
فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى
الله عليه ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول
الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة رحمه الله فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين
ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا
معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا
هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا
تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار
لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا
فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه يتخوف
ان لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه في المدينة فقام سعد بن معاذ
رحمه الله فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا
ان ما جئت به هو الحق واعطيناك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول
الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك
ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء
ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه
ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين
والله لكاني انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه حين فرغ
من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له
النبي صلى الله عليه لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت
الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون

يجادلونك

وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات
الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين

جدالهم انه رسول الله صلى الله عليه قلتهم للنفير لايثارهم عليه تلقي العير **بعد ما تبين** بعد
اعلام رسول الله صلى الله عليه بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا
للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم
ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى
الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة
العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان **إذ** منصوب بمضمر
اي اذكروا انها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير **وتودون أن غير**
ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير
لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا
لشباها ومنها قولهم شاكي السلاح اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة
التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى **أن يحق الحق** ان يثبته ويعليه
بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة
وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر **ويقطع دابر الكافرين** الآخر فاعل من دبر
اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون
الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم في ابدانكم واحوالكم والله عز
وعلى يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين
وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم
وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها
ودري كلمته على التوحيد فان **قلت** بم يتعلق قوله **ليحق الحق** قلت بمحذوف تقديره ليحق
الحق ويبطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر
ومحقه فان **قلت** اليس هذا تكريرا **قلت** لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول
تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها
لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد
الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى
وقيل قد تعلق بيقطع فان **قلت** بم يتعلق اذ تستغيثون **قلت** هو بدل من اذ يعدكم
وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا
يدعون الله يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة

ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم
اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن

فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه
من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك **انّي** ممدكم
اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرأ اني ممدكم
بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول فان **قلت**
هل قاتلت الملائكة يوم بدر **قلت** اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على
الميمنة وفيها ابو بكر رضي الله عنه وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب
في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت
وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود
من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو
جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين
اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث
الانصاري رسول الله صلى الله عليه فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابي داود
المازني تبعت رجلا لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل
لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد
كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم
لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال
وفتحها من قولك ردفه اذا اتبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون
بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت
بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين
او متبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض
او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم
ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين
انفسهم ملائكة اخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله
تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر
الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه
فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على الاتباع

به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم اذ يغشيكم
النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم

الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي مردفين بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران
فان **قلت** فيم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة اخرين
والمردفين بارتدافهم غيرهم **قلت** بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من
سواهم اتباع لهم فان **قلت** الام يرجع الضمير في وما جعله **قلت** الى قوله اني ممدكم
لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فان **قلت** ففيمن قرأ بالكسر **قلت** الى قوله اني
ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل
عليه ممدكم **الا بشرى** الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم
وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم
وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر
هو الله لكم وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله
والمنصور من نصره الله **اذ يغشاكم** بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر
او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف
والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل **وامنة** مفعول له فان **قلت** اما وجب
ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا **قلت** بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس
تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا
اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله عز وجل فان **قلت** فعلى غير هذه
القراءة **قلت** يجوز ان تكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا منه او على يغشيكم
النعاس فتنعسون امنا فان **قلت** هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل
يغشاكم النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس
على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في ذلك الوقت المخوف ان لا
يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل
قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد الم به من قال: يهاب
يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة بسكون الميم ونظير
امن امنة حيي حياة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم
من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال امنة من الله وفي
الصلوة وسوسة من الشيطان **وينزل** قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي ما
ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر فكانه قال ما للطهور ورجز
الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس

رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحي

ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم

الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون
في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد
تزعمون انكم على الحق وانتم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم
على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش
اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا انفسكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا
واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل
الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت
النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراءة
ثبت القدم في مواطن القتال **اذ يوحي** ربك يجوز ان يكون بدلا ثانيا من اذ يعدكم
وان ينتصب بيثبت اني معكم مفعول يوحي وقرئ إني بالكسر على ارادة القول او على
اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله
سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم
من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية
النصر ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم
وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما تيقنوا به انهم ممدون بالملائكة
وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فياتي فيقول اني سمعت المشركين
يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله
ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل **فوق**
الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها
حزا وتطييرا للرؤوس وقيل اراد الرؤوس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال
واضرب هامة البطل المشيح وغشيته وهو في جاواء باسل عضبا اصاب سواء الراس
فانفلقا **والبنان** الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى
لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان
يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملائكة
ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم قالوا
كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون **ذلك**
اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء

شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم

الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم

وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق
لان كل المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة
فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم
اي جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم او لخطاب كل احد وفي **ذلكم** للكفرة على طريقة
الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان
يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه **وان** للكافرين عطف
على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل
مع الاجل الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرا الحسن وان للكافرين
بالكسر **زحفا** حال من الذين كفروا [illegible] والمعنى
اذا لقيتموهم كثيرا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب
دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا
لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم
او حالا من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حالا من المؤمنين
كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف
من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله ومن يولهم
يومئذ امارة عليه **الا متحرفا لقتال** هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف
عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى
من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وانا منهم
ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون
فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى
عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر رضي الله عنه
انا فئتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر فان **قلت**
بم انتصب الا متحرفا **قلت** على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم
الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرا الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا
متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا اهل مكة وقتلوا
واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك

وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم

اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما
التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون
يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره
ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة
والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع
وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم
ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها
كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا
فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا وقرئ ولكن
الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم
بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم والمعنى وللاحسان
الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم
ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف
على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن
بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا
ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا
للعاني ان كان محمد على الحق فانصره وان كنا على الحق فانصرنا وروي انهم قالوا اللهم
انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم
اينا كان اهجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب
للمؤمنين وان تنتهوا للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه
فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح
على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه ويعضدها
قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل ولا تولوا
قرئ بطرح احدى التائين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله صلى الله عليه لان المعنى
واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول

ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت

وان الله مع المؤمنين يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم

وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه
اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا
تتولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم
تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم
غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض
الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا
يؤمن ثم قال ان شر الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين
هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله فيهم
الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين
ثم قال ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف
فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم
يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن
حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا
باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب
اذا دعاكم وحد الضمير كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى
الله عليه كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد والمراد بالاستجابة
الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه
مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك
عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا
جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله
صلى الله عليه والثاني ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي
فله ان يقطع صلاته لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة
كما ان الجهل موت ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن
وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في
القصاص حياة وقيل للشهادة لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين
المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص
القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه

الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم
معرضون يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره

الزجه واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم
على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد
قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر
نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل فاما ما يثاب
عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين العبد والايمان
اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا امن تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل
معناه انه يطلع على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شي من ضمائره فكانه بينه
وبين قلبه وقرئ بين المرّ بتشديد الراء ووجهه انه قصد وصل الهمزة والقى حركتها على
الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمرّ فتنة ذنبا قيل هو اقرار
المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو
من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كان جوابا فالمعنى ان
اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء
بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر
فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر
الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول
كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله حتى اذا جن الظلام واختلط
جاوا بمذق هل رايت الذئب قط اي بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه
لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود رحمه الله
لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي ابي طالب عليه وعمار
وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما
ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم
الجمل وروي ان الزبير كان يسامر النبي صلى الله عليه يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه
فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه كيف حبك لعلي فقال يا رسول
الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت
اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان يدخل النون المؤكدة في جواب الامر
قلت فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحنك فلذلك جاز لا تطرحنك
ولا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم
قلت التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة

من الطيبات لعلكم تشكرون يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم

على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس اذ انتم نصب على انه مفعول
به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض
مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس
كانوا جميعا لهم اعداء منافيين مضادين فاواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة
الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون
اراده ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاه عيشا
واجوعه بطونا واعراه جلدا وابينه ضلالا يوكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد
ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا ومعنى الخون النقص كما ان معنى
الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت
الرجل في شي فقد ادخلت عليه النقصان منه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب
وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم
والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به واماناتكم فيما
بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون
يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح
وحسن الحسن وروي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة
فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض
الشام فابى رسول الله صلى الله عليه الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رحمه
الله فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله
وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار
الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله
فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا
شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب
الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول
الله صلى الله عليه هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان
اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك
الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان رضي الله عنه وقيل اماناتكم
ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده فان قلت وتخونوا جزم هو ام نصب
قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله

يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك

وتكتموا الحق ويرا مجاهد وتخونوا اماناتكم على التوحيد فتنه الاموال والاولاد فتنه
لانهم سبب الوقوع في الفتنه وهي الاثم او العذاب او محنه من الله ليبلوكم كيف
تحافظون منهم على حدوده **وان الله عنده اجر عظيم** فعليكم ان تحافظوا طلبا له
وباعوا اليهم هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى
تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله المال والبنون الاية وقيل هي من جملة ما نزل
في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده **فرقانا** لانه يفرق بين الحق والباطل
وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او
بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم في اقطار الارض من قولهم بت
افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدر
او تفرقة بينكم وبين عدوكم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة لما فتح
الله عليه ذكره مكر قريش حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم
واستيلائه عليهم وما اتاح الله من حسن العاقبة والمعنى واذكر **اذ يمكر بك**
وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار
الندوه متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد
ما انا من تهامه دخلت مكه فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا
مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه
غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس
الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي
ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال ابليس
الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل
بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فتضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل
فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم واذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا
فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين
على قتله فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن
الله له في الهجرة فامر عليا فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص
اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا
فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم **ليثبتوك** ليسجنوك
او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به

ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا
قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير
الاولين واذ قالوا

او الجراح ومثلاث من يثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعي ليبيتوك من
البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق **ويمكرون**
ويخفون المكايد له ويكفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة **والله خير الماكرين** اي
مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا ولانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب
الا بما هو مستوجب **لو نشاء لقلنا مثل هذا** انفاجة منهم وصلفة الراغدة
فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين
ان يشاؤا وقد غلبهم من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى بعشر ولم تبرح المخلفة وبه مع فرط انفتهم
واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتطاولوا بالمناغ
الشنيه ومع ما علم وظهور التشيهر حرصهم على ان يقهروا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع
اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد
فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من جملة تلك
الاساطير وهو القائل **ان كان هذا هو الحق** وهذا اسلوب من الجحود
بليغ يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب
الفيل او بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب
منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه
بالمحال كقولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم
ممن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الاعمش هو الحق بالرفع على انه
مبتدأ غير فصل وهي في القراءة الاولى فصل ويقال **امطرت** السماء كقولك انجمت
واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب
فان **قلت** ما فائدة قوله من السماء والامطار لا تكون الا منها **قلت** كانه اريد
ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء
موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا **بعذاب**
اليم اي بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب
الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما
اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا للرسول
الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له اللام للتاكيد

اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم

وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون
عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم

النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لأن
عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين
أظهرهم وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم والدليل على هذا
الإشعار قوله **وما** لهم ألا يعذبهم الله وإنما يصح هذا بعد إثبات التعذيب
كأنه قال وما كان ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم ألا
يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو
كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك
ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع
ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون
بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين **و**ما لهم
ألا يعذبهم الله وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك
وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام
كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وإخراجهم رسول الله والمؤمنين
من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء
وما كانوا أولياءه وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا
ولاة أمره وأربابه **إن** أولياؤه إلا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم أيضا
ممن يصلح لأن يلي أمره إنما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة
الأصنام **و**لكن أكثرهم لا يعلمون كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب
الرياسة وأراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم **المكاء** فعال بوزن
الثغاء والرغاء من مكا يمكو إذا صفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه
وأصله الصفة نحو الوضاء والقراء ونحو مكا المكاء ونظيرهما البكاء والبكا
والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى أو من صد يصد إذا ضج ومنه يصدون
وقرأ الأعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمها فإن قلت
ما وجه هذا الكلام **قلت** هو من قوله: وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه أداهم
سودا أو محدرجة سمرا والمعنى أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء
ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت
عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا
يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه

وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا

عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا
إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه

فذوقوا عذاب القتل والأسر يوم بدر بسبب كفرهم وأفعالكم التي لا
يقدم عليها إلا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد
منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كان له تجارة في العير أعينوا بهذا
المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر وقيل نزلت في أبي سفيان
وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من العرب وأنفق
عليهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون مثقالا **ليصدوا** عن سبيل الله
أي كان غرضهم في الإنفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وإن لم يكن عندهم
كذلك **ثم** تكون عليهم حسرة أي تكون عاقبة إنفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها
تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الأمر وإن كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين
سجالا قبل ذلك كقوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي **و**الذين كفروا والكافرون
منهم إلى جهنم يحشرون لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه **ليميز** الله الخبيث الفريق الخبيث
من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه
جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني
لفرط ازدحامهم **أو**لئك إشارة إلى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي أنفقه
المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون
كأبي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى
بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة
وعلى الأول بيحشرون وأولئك إشارة إلى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف
قل للذين كفروا من أبي سفيان وأصحابه أي قل لأجلهم هذا القول وهو إن
ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم لقيل إن تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه
وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه خاطبوا به غيرهم
لأجلهم ليسمعوه أي إن ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله
بالدخول في الإسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة **و**إن يعودوا لقتاله
فقد مضت سنة الأولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر أو فقد مضت
سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الأمم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك إن
لم ينتهوا وقيل معناه أن الكفار إذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف
لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله
عليه السلام الإسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي إذا أسلم لم تبق عليه تبعة قط

على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا
إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين

لم يبق عليه تبعة قط وأما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله تعالى ويبقى عليه حقوق الآدميين
المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وإن يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على
أن الضمير لله عز وجل **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط
ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام وحده
فإن انتهوا عن الكفر وأسلموا فإن الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم
وإسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فإن الله بما تعملون من الجهاد في
سبيله والدعوة إلى دينه والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام بصير يجازيكم
عليه أحسن الجزاء **وإن تولوا** ولم ينتهوا فاعلموا أن الله مولاكم أي ناصركم ومعينكم فثقوا
بولايته ونصرته **أنما** ما غنمتم ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط
فأن لله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق أو فواجب أن لله خمسه وروى الجعفي عن أبي
عمرو فإن لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهور آكد وأثبت
للإيجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه من حيث
إنه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما
أشبه ذلك كان أقوى لإيجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فإن
قلت كيف قسمة الخمس **قلت** عند أبي حنيفة رحمه الله أنها كانت في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرباه من بني
هاشم وبني عبد المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة
لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم أنهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء إخوتك
بنو هاشم لا ينكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت إخواننا بني
عبد المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام إنهم لم
يفارقونا في جاهلية ولا إسلام إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيء واحد وشبك
بين أصابعه وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وإنما يعطون
لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين
وابن السبيل وأما عند الشافعي فيقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح
ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ
الأنثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن أنس لا سهم فيه مفوض إلى اجتهاد الإمام
إن رأى قسمه بينهم وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض وإن رأى غيرهم أولى وأهم

فغيرهم وإن **قلت** ما معنى ذكر الله عز وجل وعطف الرسول وغيره عليه **قلت** يحتمل أن
يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن يراد
بقوله فأن لله خمسه أن من حق الخمس أن يكون متقربا به إليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة
تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال الأول مذهب الإمامين
وعلى الثاني ما قال أبو العالية إنه يقسم على ستة أسهم سهم لله تعالى يصرف إلى رتاج الكعبة
وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها
للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل إن سهم الله لبيت المال وعلى الثالث
مذهب مالك بن أنس وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان على ستة لله وللرسول
سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلاثة وكذلك
عمر رضي الله عنه ومن بعده من الخلفاء وكان أبا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس
وقال إنما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم فأما الغني
منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي
رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا أن نبني منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين وقيل الخمس
كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه أنه قيل له إن الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال
أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لولي الأمر من بعده
وعن الكلبي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد
بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة فإن قلت
بم تعلق قوله إن كنتم آمنتم بالله **قلت** بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى إن كنتم آمنتم
بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا
بالأخماس الأربعة وليس المراد بالعلم العلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لأمر الله
لأن العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر **وما** أنزلنا معطوف على بالله أي
إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين
يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه
من الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على أن ينصر القليل
على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم **إذ** بدل من يوم الفرقان والعدوة
شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لأن بينها
وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الفتية والدنيا والقصوى تأنيث الأدنى والأقصى

والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله

فان قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والثانية بالواو
قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل
وقد جاء القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب
واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب
اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم
بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل
لانه خبر للمبتدا فان قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير
كان اسفل منهم قلت الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو
وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شان المسلمين والتياث
امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر
لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها
المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار
تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو مع
كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم
ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة
على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون به انفسهم بالانحياز
اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا
مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير
ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر **ليقضي** امرا كان مفعولا من اعزاز دينه
واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة
حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم
من تعرض رسول الله لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء
بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت
الحرب على ساق وكان ما كان **ولو** تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم
على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفا بالموعد
وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم
من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان
واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه

امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة

وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا
لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور

واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح
بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا
عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان
من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه
مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي بالاظهار والتضعيف **لسميع** عليم
يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم ولسميع عليم بكفر من كفر وعقابه
وايمان من آمن وثوابه **اذ** يريكهم الله نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان
من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك
في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك
اصحابه فكان تثبيتا وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها
مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف
وما احسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته
لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام **و**لتنازعتم في الراي وتفرقت فيما تصنعون
كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة
من الفشل والتنازع والاختلاف **انه** عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها
من الجراة والجبن والصبر والجزع **و**اذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني واذ
يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن
مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم
مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال
قائل منهم انما هم اكلة جزور **فان قلت** الغرض في تقليل الكفار في اعين
المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم **قلت** قد قللهم في
اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأ
هم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في
حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم راي العين ولئلا يستعدوا
لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم
آخرا **فان قلت** باي طريق يبصرون الكثير قليلا **قلت** بان يستر الله بعضه
عنهم بساتر او يحدث في اعينهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول

واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان
مفعولا والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا

واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا

ما تزون له الواحد اسى فصل لبعضهم ان الاجول بين الواحد اثنين وكان بين يديه
ذئب واحد فقال مالى لا اراهذين الذئبين اربعة **اذ لقيتم** فئة ا
جاريتم جماعة من الكفار تركها نبيضها لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار
واللقا اسم للقتال غالبا **فاثبتوا** لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا فى
مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم
اقطع دابرهم **لعلكم** تفلحون تظفرون بمرادكم من المثوبة والنصر وفيه اشعار
على ان العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما
وان يكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما
فى خطب امير المومنين فى ايام صفين وفى مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة
والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم
عن ذكر الله تشاغل وان تفاقم الامر **ولا تنازعوا** فى كل ما يتسد بدا لنا **فتفشلوا** منصوب
باضمار ان او مجزوم لدخوله فى حكم النهى ويدل على النصب قراءة ويذهب بحكم
ما لنا دالنصب وقراءة من قرا ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت
فى نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ
امره ومنه قوله
اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل خافقة سكون
وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد
بالدبور حذرهم بالنهى عن التنازع واختلاف الراى نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم **كالذين خرجوا من ديارهم**
هم اهل مكة حين نفروا الحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان
ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف
علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس باطعامهم
فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان
فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى
والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله واذكر **اذ زين لهم الشيطان**
اعمالهم التي عملوها فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا
يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم
فلما التقى الفريقان **نكص** الشيطان وتبرا منهم اى بطل كيده حين نزلت
جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل

من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت

الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب
اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم
ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم
وذوقوا عذاب الحريق

لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت الذى بينها وبين بنى كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم
فتمثل لهم ابليس لعنه الله فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكنانى وكان من اشرافهم فى جند من
الشياطين معه راية **وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم** مجيركم من بنى كنانة فلما راى الملائكة
تنزل نكص وقيل كانت يده فى يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث الى اين اتخذلنا فى
هذه الحال فقال انى ارى ما لا ترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة
قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم
فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفى الحديث ما رؤى ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم
عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رؤى يوم بدر فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال
لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت لكنه
خبر تقديره لا غالب كائن لكم **اذ يقول المنافقون** بالمدينة **والذين فى قلوبهم مرض** يجوز ان يكون
من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتى الاقدام فى الاسلام وعن الحسن هم المشركون
غر هؤلاء دينهم يعنون المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا
وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب يسلط القليل
الضعيف على الكثير القوى **ولو ترى** ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضى كما
ترد ان الماضى الى معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف وقرئ **يتوفى** بالياء والتاء والملائكة رفعها
بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون فى يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون
خبر وعن مجاهد وادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكنى وانما خصوهما بالضرب لان الخزى والنكال
فى ضربهما اشد وبلغنى عن اهل الصين ان عقوبة الزانى عندهم ان يضربوه ثم تعطى الرجل القوى البطش
سياطا من حديد كهيئة الطبق فيه زرادة وله مقبض فيضرب به على دبره ضربة واحدة بقوته فيخرج
من مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر **وذوقوا** معطوف على يضربون على ارادة القول
اى ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اى مقدمة عذاب النار وذوقوا عذاب الاخرة بشارة لهم به
وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب
لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا منكرا **ذلك بما قدمت ايديكم** يحتمل ان يكون من كلام
الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره **وان الله** عطف عليه اى ذلك العذاب
بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة
المومنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد ولان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان
المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه الكاف فى محل الرفع اى داب هؤلاء مثل داب آل فرعون
ودابهم عادتهم وعملهم الذى دابوا فيه اى داوموا عليه وواظبوا وكفروا تفسير لداب آل فرعون

ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد كداب آل فرعون والذين من قبلهم
كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب

ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون

وذلك إشارة إلى ما حل بهم يعني ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال. فإن قلت ما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة. قلت كما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة تغير الحال المسخوطة إلى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في إراقة دمه غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب. وأن الله سميع لما يقول مكذبو الرسل عليم بما يفعلون. كدأب آل فرعون تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب. وكل من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي. الذين كفروا فهم لا يؤمنون أي أصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم. الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود. وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار. فإما تثقفنهم في الحرب فإما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم. وقرأ ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه. وقرأ أبو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لأنه إذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء وأوقعه فيه لأن الوراء جهة المشردين فإذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد جعله على التشريد فلم يبق فرق بين القراءتين. لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون. وإما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بأمارات تلوح لك فانبذ إليهم فاطرح إليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم إخبارا مكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك. إن الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك إخفاء نكث العهد والخداع. وقيل على سواء على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كأنه قيل فانبذ إليهم ثابتا على طريق قصد سوي أو حاصلين على استواء في العلم أو العداوة على أنها

الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون وأعدوا لهم

ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون

حال من النابذ والمنبوذ إليهم معا. ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم إنهم لا يعجزون إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم. وقرئ أنهم بالفتح بمعنى لأنهم وكل واحد من المكسورة والمفتوحة تعليل إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح. وقرئ يعجزون بالتشديد. وقرأ بعضهم يعجزون بكسر النون. وقرأ الأعمش ولا يحسب الذين كفروا بكسر الباء وفتحها على حذف النون الخفيفة. وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه أصله أن سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود أنهم سبقوا. وقيل وقع الفعل على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين أي مفلتين هاربين. وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما. وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا. وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة. وعن الزهري أنها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين. من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها. وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثا. ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله. وعن عكرمة هي الحصون. والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله. ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة. ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال. وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط. ويجوز أن يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال. وعن ابن سيرين أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فتربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له إنما أوصى في الحصون فقال ألم تسمع إلى قول الشاعر: إن الحصون الخيل لا مدر القرى. ترهبون وقرئ ترهبون بالتشديد. وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون. والضمير في به راجع إلى ما استطعتم. عدو الله وعدوكم هم أهل مكة. وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم أهل فارس. وقيل كفرة الجن. وجاء في الحديث إن الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق. وروي أن صهيل الخيل يرهب الجن. جنح له وإليه إذا مال. والسلم يؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب. قال: السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع. وقرئ فاجنح بضم النون. وعن ابن عباس الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله. وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم وليس بحتم أن يقاتلوا أبدا أو يجابوا إلى الهدنة أبدا. وقرأ الأشهب العقيلي فاجنح بضم النون. وتوكل على الله ولا تخف من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم. قال مجاهد نزلت في بني قريظة. فإن حسبك الله قال جرير: إني وجدت من المكارم حسبكم أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا. وألف بين قلوبهم التأليف بين قلوب من بعث إليهم رسول الله

وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت

ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم يا أيها النبي
حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا

صلى الله عليه من الآيات الباهرة لأن العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في
أدنى شيء والقاء بين أعينهم إلى أن ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع
رسول الله صلى الله عليه وآله واتحدوا وأنشأوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما
نظم الله من ألفتهم وجمع بين كلمتهم وأحدث بينهم من التحاب والتوادد وأماط عنهم
من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك إلا من يملك القلوب
فهو يقلبها كما يشاء ويصنع فيها ما أراد وقيل هم الأوس والخزرج كان بينهم من الحروب
والوقائع ما أهلك سادتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى
وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه
المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته أختها وتكرهه وتنفر عنه فأنساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة
وتصافوا وصاروا أنصارا وعادوا أعوانا وما ذاك إلا بلطيف صنعه وبليغ قدرته **ومن**
اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا يجر لأن عطف الظاهر المجرور
على المكني ممتنع قال فحسبك والضحاك سيف مهند والمعنى كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين
الله ناصرا أو يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت في البيداء في غزوة
بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في إسلام عمر وعن سعيد بن جبير أنه أسلم مع النبي صلى الله
عليه وآله ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت **التحريض** المبالغة في الحث على الأمر من
الحرض وهو أن ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت أو أن تسميه حرضا وتقول له
ما أراك إلا حرضا في هذا الأمر وممرضا فيه ليهيجه ويحركه منه ويقال حركه وحرضه وحرشه
وحرته وحربه بمعنى وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الأخفش من الحرص وهذه عدة
من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأييده
بأنهم قوم لا يفقهون أي بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب
كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على
بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والإظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ألا يفر
الواحد من العشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي أبا جهل
في ثلاثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم
بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف وقرئ
ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند
إلى المائة بالياء والتاء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة
في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فإن قلت التكرير بمعنى الواجب وهو مقاومة الجماعة

بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ما كان لنبي أن يكون له

أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم

بأكثرهما قبل التخفيف وبعده **قلت** للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لأن
الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين
والألف الألفين وقرئ **للنبي** على التعريف وأسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الإثخان كثرة القتل
والمبالغة فيه من قولهم أثخنته الجراحات إذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة وأثخنه المرض إذا أثقله
من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه بإشاعة القتل في أهله ويعز
الإسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الأسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام
وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فإما منا بعد وإما فداء وروي أن رسول الله صلى الله
عليه وآله أتي بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن أبي طالب فاستشار أبا بكر فيهم فقال قومك
وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك وقال عمر
رضي الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك
عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال
عليه الصلوة والسلام إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد قلوب رجال
حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك
غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ثم قال لأصحابه
أنتم اليوم عالة فلا يفلتن اليوم أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق وروي أنه قال لهم إن شئتم
قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا
بأحد وكان فداء الأسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان
فداؤهم مائة أوقية والأوقية أربعون درهما وستة دنانير وروي أنهم لما أخذوا الفداء
نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول
الله أخبرني فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم
الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي أنه قال لو نزل عذاب
من السماء ما نجا منه إلا عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما لقوله كان الإثخان في القتل أحب
إلي **عرض الدنيا** حطامها سمي بذلك لأنه حدث قليل اللبث يريد الفداء **والله يريد الآخرة** يعني ما
هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان بالقتل وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد
الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه على حاله كقوله [illegible] ونار توقد بالليل
نارا معناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها **والله عزيز** يقلب أولياءه على
أعدائه ويمكنهم منهم قتلا وأسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك إلى أن يكثروا
ويعزوا وهم يعجلون **لولا كتاب من الله سبق** لولا حكم منه سبق إثباته في اللوح وهو أنه

لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا

واتقوا الله إن الله غفور رحيم يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا

لا يعاقب أحد خطأ وكان هذا خطأ في الاجتهاد لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سببا في إسلامهم وتوبتهم وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم أن قتلهم أعز للإسلام وأهيب لمن وراءهم وأفل لشوكتهم وقيل كتابه أن يحل لهم الفدية التي أخذوها وقيل أن أهل بدر مغفور لهم وقيل إنه لا يعذب قوما إلا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك **فكلوا** مما غنمتم روي أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم إليها فنزلت وقيل هو إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه قال ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم حلالا نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا وقوله إن الله غفور رحيم معناه أنكم إذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم **في** أيديكم في ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم وقرئ من الأسارى في قلوبكم خيرا خلوص إيمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة وقرأ الأعمش يثبكم خيرا وعن العباس أنه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إن يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا وكان أحد الذين ضمنوا طعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال للعباس افد ابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشا ما بقيت فقال له فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فأما إذ أخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فأبدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي وروي أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر فما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما أخذ منكم على البناء للفاعل **وإن يريدوا خيانتك** نكث ما بايعوك عليه من الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه **فأمكن منهم** كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن عادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء **إن الذين** آمنوا **وهاجروا** أي فارقوا

يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه

أوطانهم وقومهم حبا لله ولرسوله هم المهاجرون والذين آووا هم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الأنصار **بعضهم أولياء بعض** أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر أي من توليهم في الميراث ووجه الكسر أن تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا ويباشر عملا **فعليكم** النصر فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين إلا على قوم بينكم وبينهم عهد فإنه لا يجوز لكم نقض عهدهم بنصركم عليهم لأنهم لا يبتدئون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ظاهره إثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين أولئك بعضهم أولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال إلا تفعلوه أي إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة **في** الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء **أولئك** هم المؤمنون حقا لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال لأجل الدين وليس بتكرار لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل **والذين آمنوا من بعد** يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة كقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا ألحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا **وأولوا الأرحام** أولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة **في كتاب الله** في حكمه أو قسمته أو في اللوح أو في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل بها أصحاب أبي حنيفة رحمه الله على توريث ذوي الأرحام عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية

لها عدة أسماء براءة والتوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن

تكن فتنة في الأرض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم

أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم
عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا
الا نالت منه فان **قلت** هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور **قلت** سال عن ذلك ابن عباس
عثمن بن عفان فقال ان رسول الله صلى الله عليه اذا نزلت عليه السورة او الاية قال اجعلوها
في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه ولم يبين لنا اين نضعها
وكانت قصتها تشبه قصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب
انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم
الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم
السلم لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال
انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله
فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل
الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا توفقوا لا تخف ومترس لا باس هذا امان كله وقيل سورة
الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطوال
وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى
الطوال وقد اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة
وقال بعضهم سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله
لقول من قال هما سورة واحدة **براءة** خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء
الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة
من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدا
لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة
على اسمعوا براءة وقرا اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى
ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فان
قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين **قلت** قد اذن الله في معاهدة
المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وعاهدوهم فلما نقضوا
العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله
ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة
وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين
وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر اين شاءوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم

في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها
سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله
صلى الله عليه ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقراها على
اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر
الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه فلما لحقه قال امير ام مامور
قال مامور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل وقال يا محمد لا يبلغن رسالتك
الا رجل منك فارسل عليا ورجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه فقال يا رسول الله اشيء
نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالاي فلما كان قبل التروية خطب ابو
بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول
رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين اية وعن مجاهد ثلث عشرة ثم
قال امرت باربع الا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة
الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك
انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب
بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى
ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في
نقض العهود فازيحت علتهم بتوليه ذلك عليا رضي الله عنه فان **قلت** الاشهر
الاربعة ما هي **قلت** عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو
القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع
الاول وعشر من شهر ربيع الاخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم
او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر
ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم
ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فان **قلت** ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز قتال
المشركين في الاشهر الحرم وقد نهانا الله عن ذلك **قلت** قالوا قد نسخ وجوب الصيانة
وابيح قتال المشركين فيها **غير معجزي الله** لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم
اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب **واذان** ارتفاعه كارتفاع براءة على
الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة
كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان
وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى

يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم

والثانيه **قلت** تلك اخبار بثبوت البراءه وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت **فان**
قلت لم علقت البراءه بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس **قلت** لان
البراءه مختصه بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن
لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث **يوم الحج الاكبر** عرفه وقيل يوم
النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله
عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع
فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة
هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما
يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين
فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر
حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ وانّ الله بالكسر لان الاذان في معنى القول
ورسوله عطف على المنوي في بريء او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان
او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان
اعرابيا سمع رجلا يقراها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر
فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعليم العربية **فان تبتم** من الكفر والغدر **فهو خير لكم**
وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير
سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه **فان قلت** مما استثني قوله الا الذين عاهدتم من المشركين
قلت وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه
براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم
منهم ثم لم ينقصوكم فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان
امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا
الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين فاتقوا
الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا
عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وظاهرتهم
قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه فانشده ۞

لا هم اني ناشد محمدا ۞ حلف ابينا وابيه الا تلدا ۞ ان قريشا اخلفوك الموعدا ۞
ونقضوا ذمامك المؤكدا ۞ هم بيتونا بالحطيم هجدا ۞

ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم
ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين

حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم

وقتلونا ركعا وسجدا ۞ فقال عليه السلام لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة
اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم عهدهم فادوه اليهم تاما كاملا قال ابن
عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم انسلخ الشهر كقولهم
انجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا **فاقتلوا**
المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم
واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن
عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم
به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم واطلقوا عنهم
بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار وعن ابن
عباس رضي الله عنه دعوهم واتيان المسجد الحرام **ان الله غفور رحيم** يغفر لهم ما سلف من الكفر
والغدر احد مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك
ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين
بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعو اليه
من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة
الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة
وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير جاء رجل
من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل
يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك
الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر
يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة
ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في
معنى الاستنكار او الاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وآله وهم
اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به
نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين
عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا
تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان
التربص بهم من اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف
الفعل لكونه معلوما كما قال ۞ وخبرتماني انما الموت بالقرى ۞ فكيف وهاتا هضبة وقليب

وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون
كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين

كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله

مرتين فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تاكيد
الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا لا يراعوا حلفا
وقيل قرابة وانشد لحسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رأل النعام
وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئل وجبرئيل من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى
القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا
تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله اليل اي انين يرفع
به صوته ودعت الكلبة اذا اولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة
عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة
الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفتها ما فيها من الاضغان
لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروءة
تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث
والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بايات الله بالقران والاسلام
ثمنا قليلا وهو اتباع الهوى والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم
وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم
والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهود فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم على حذف المبتدا
كقوله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل الايات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من
تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل الله من احكام المشركين المعاهدين
وعلى المحافظة عليها وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع
ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا
لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا
للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود
وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم
فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله
لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة
انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد
الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم
ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم
ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند ش

انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون

الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين

يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق
بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون
المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة
كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة
والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء
فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا
تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها
في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له
في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدءوكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة
لان رسول الله جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى
القتال فهم البادئون بالقتال والبادئ اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم
بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها
ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير
موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ
عليها فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان
لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله لما وبخهم الله على ترك
القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديهم
قتلا ويخزهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم
خزاعة قال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا
فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب
غيظ قلوبهم بما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك
دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار
بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم
وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق
المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه
حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة
اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان

ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة

يعني أن ذلك واقع متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل فيّ يريد ما وجد ذلك مني

ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام **أن يعمروا مساجد الله** يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما أن يراد المسجد الحرام وإنما قيل مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد والثاني أن يراد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا بها شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد أقبل المهاجرون والأنصار على أسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وقطيعة الرحم وأغلظ له القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا أولكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت

حبطت أعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة وإذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة إذا تعقبها فما ظنك بالمقارن وإلى ذلك أشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم **إنما يعمر مساجد الله** وقرئ بالتوحيد إنما يستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه الصلوة والسلام قال الله

إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه عليه السلام من ألف المسجد ألفه الله وعنه صلى الله عليه إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه فإن **قلت** هلا ذكر الإيمان برسول الله **قلت** لما علم وشهر أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله الإيمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة فإن **قلت** كيف قيل ولم يخش إلا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها **قلت** هي الخشية والتقوى في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف وإذا اعترضه أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم **فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي أن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل إن عليا قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراني إلا تارك سقايتنا فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا **هم أعظم درجة عند الله** من أهل السقاية والعمارة عندكم **وأولئك هم الفائزون** لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم وقرئ **يبشرهم** بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف العرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن

قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها

لها حروب يضار بهم أقاربهم الكفرة وتقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا
في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا
وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه
فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا
بمكة فنهوا عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في
الله ويبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب الناس إليه وقرئ
عشيراتكم وعشائركم وقرأ الحسن وعشائركم فتربصوا حتى يأتي الله بأمره وعيد عن ابن
عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها
تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس
وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على
الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله
أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل
حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره مواطن الحرب مقاماتها
ومواقفها قال وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي
طحت بأجرامه وأشاعه من المرق لأنه جمع وعلى صيغته لم يأت واحد والمواطن الكثيرة
وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة فإن قلت كيف
عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين أو في
أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين على أن
الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك أن قوله
إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم
تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي أن يكون ناصبه فعلا
خاصا به إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت
فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا فتح مكة منضما إليهم ألفان
من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من إمداد سائر العرب
وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت
رسول الله صلى الله عليه وقيل قالها رسول الله صلى الله عليه وقيل أبو بكر وذلك قوله
أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة
وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي

ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت

ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها
وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم

الله وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام دابته وأبو سفيان
بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة على صدق تناهي شجاعته صلى الله عليه ورباطة
جأشه وما هي إلا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا
صح بالناس فنادى الأنصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا
وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى
الله عليه إلى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال
انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه يركض
خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة
برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أي ملتبسا
بها لم أحلها يعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط
الرعب فكأنها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم ثم أنزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها
وأمنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه حين وقع
الهرب وأنزل جنودا لم تروها يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر ألفا
وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله أي يسلم بعد ذلك
ناس منهم وروي أن ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه على الإسلام وقالوا يا رسول
الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ ستة
آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال إن عندي ما ترون إن خير القول أصدقه اختاروا
إما ذراريكم ونساءكم وإما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله
عليه فقال إن هؤلاء جاؤوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب
شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى
نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى
فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا النجس مصدر يقال نجس
نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولأنهم لا يتطهرون
ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة
في وصفهم بها وعن ابن عباس أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح
مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون
الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل إنما المشركون جنس نجس أو ضرب نجس وأكثر ما جاء
تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا

يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة

فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤ[منون]
[ولا] باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين

كما كانوا يفعلون بالجاهلية **بعد عامهم هذا** يعني عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند ش يمنعون من دخول المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من دخول المساجد كلها ~~وقيل المراد به النهي عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه~~ يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطا ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك **وان خفتم عيلة** اي فقرا بسبب منع المشركين من الحرم وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب **فسوف يغنيكم الله من فضله** من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا فاغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تأكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عائلة وتقييده بقوله **ان شاء** ان اوجبت الحكمة اغناكم وكان مصلحة لكم في دينكم **ان الله عليم** باحوالكم **حكيم** لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب **من الذين اوتوا الكتاب** بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم الله في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التورية والانجيل واو ليدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده **حتى يعطوا الجزية** سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل **عن يد** اما ان يراد به يد المعطي والآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم **وهم صاغرون**

حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح

٥٢

ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون

اي يؤخذ منهم على الصغار والذلة وهو ان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي ح ولا تسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ح تضرب على كل كافر ذمي ومجوسي وصابي وحربي لا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند ش لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ عند ابي ح في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنا ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند ش يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن **عزير ابن الله** مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرا ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من قال بسقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فمردود لانه متعين لا وجه له وهو قول ناس من اليهود ممن كان في المدينة وما هو بقول كلهم وعن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبيا بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له الى اين تذهب فقال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا لانه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب **وقالت** **النصارى المسيح ابن الله** هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها **ذلك قولهم بافواههم** اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنه او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان فان قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد به انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد **يضاهئون** لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه

اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم

فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا من اليهود والنصارى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امراة ضهيا على فعيل وهي التي ضاهات الرجال في انها لا تحيض وهمزها مزيدة كما في غرقئ **قاتلهم الله** اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم **انى يؤفكون** كيف يصرفون عن الحق اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحريم ما حلله الله وتحليل ما حرمه الله كما تطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة له كما قال يا ابت لا تعبد الشيطان عن عدي بن حاتم اتيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليسوا يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين **وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا** امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار **سبحانه** تنزيه له عن الاشراك واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وآله بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق **يريد الله** ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه **ليظهره** ليظهر الرسول **على الدين كله** على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين فان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا قلت قد اجرى ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها فهي سبب للاكل ومنه قوله يأكلن كل ليلة اكافا يريد علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشا في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع **والذين يكنزون** يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ

ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره

على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة

البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكاة آية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عني بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما ادي زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا ساله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امراتك قال اليس بكنز قال ما ادي زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكاته فهو الذي ذكره الله وان كان على ظهر الارض فان **قلت** فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفرا او بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان **قلت** كان هذا قبل ان تفرض الزكاة فاما بعد فرض الزكاة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل فان **قلت** لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان **قلت** ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كذلك كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك فان **قلت** لم خصا بالذكر من سائر الاموال **قلت** لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار تحمى عليها اي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى فان قلت فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذف

ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم

وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها

النار. وقيل يحمى عليها لانتقال الإسناد إلى عليها كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن لم تذكر
القصة قلت رفع إلى الأمير. وعن ابن عامر أنه قرأ تحمى بالتاء. وقرأ أبو حيوة فيكوى بالياء.
فإن قلت لم خصت هذه الأعضاء؟ قلت لأنهم لم يطلبوا بأموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل
الله إلا الأغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وأن يكون ماء وجوههم مصونا
عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالإكرام ويحتشمون ومن أكل الطيبات يتضلعون منها وينفخون
جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه
أغراضهم وطلباتهم من أموالهم لا يخطر ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل
الدثور بالأجور. وقيل لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا
عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم. وقيل معناه يكوون على الجهات الأربع مقاديمهم وما
خيرهم وجنوبهم. هذا ما كنزتم على إرادة القول. وقوله لأنفسكم أي كنزتموه
لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الأغراض التي حامت حولها وما علمتم أنكم كنزتموه
لتستضر به أنفسكم وتتعذب. وهو توبيخ لهم. فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم
النون أي وبال المال الذي كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين. في كتاب الله فيما أثبته
وأوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح. أربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة الوداع ألا إن الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. والمعنى رجعت الأشهر
إلى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت
حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة أبي بكر قبلها في ذي القعدة. ذلك الدين القيم يعني
أن تحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم دين إبرهيم وإسمعيل وكانت العرب قد تمسكت
به وراثة منهما وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل
أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا رجبا الأصم ومنصل الأسنة حتى أحدثت النسيء فغيروا. فلا تظلموا
فيهن في الحرم أي لا تجعلوا حرامها حلالا. وعن عطاء تالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا
في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا وما نسخت. وعن عطاء الخراساني أحلت القتال في الأشهر الحرم
براءة من الله ورسوله. وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج
بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وإن كان ذلك محرما في سائر الشهور. كافة
حال عن الفاعل أو المفعول. مع المتقين ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لأهلها.
النسيء تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا

عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم

جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر
حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر
وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها
وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة
عشر وأربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا إن عدة الشهور عند الله
اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء أي إذا أحلوا شهرا
من الأشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل وروي أنه حدث ذلك في كنانة لأنهم
كانوا فقراء محاويج إلى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية فكان يقوم على جمل
في الموسم فيقول بأعلى صوته إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل
فيقول إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وجعل النسيء زيادة في الكفر لأن الكافر كلما أحدث
معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا إلى رجسهم كما أن المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيمانا
فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد
ويضل على أن الفعل لله عز وجل وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد والنسيء مصدر نسأه
إذا أخره يقال نسأه نسأ ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا
وقرئ النسي بوزن النهي والنسي بوزن الهدي وهما تخفيف النسيء والنسء فإن قلت ما معنى
قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما
حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها زين لهم سوء أعمالهم خذلهم
الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي أي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين
لهم سوء أعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل اثاقلتم تثاقلتم وبه قرأ الأعمش أي
تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بإلى والمعنى ملتم إلى الدنيا وشهواتها
وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه أخلد إلى الأرض واتبع هواه وقيل ملتم إلى الإقامة
بأرضكم ودياركم وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ فإن
قلت فما العامل في إذا وحرف الاستفهام مانعه أن يعمل فيه قلت ما دل عليه قوله ما لكم أو ما في قوله ما لكم
من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون إذا قيل لكم كما تعمله في الحال إذا قلت ما لك قائما
وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة
وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة من الآخرة
بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الآخرة في جنب الآخرة إلا قليل إلا يسير والمستحقر عظيم

الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين
اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه

على المسافرين حث او عدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم
قوما اخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير
للرسول اي ولا تضروه لان الله وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة
وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص فان
قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط **قلت** فيه وجهان احدهما الا تنصروه
فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره
الله انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا
في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده واسند الاخراج الى الكفار كما اسند اليهم في قوله
من قريتك التي اخرجتك لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه
ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله وابو بكر الصديق رضي الله عنه يروى
ان جبريل صلوات الله عليه لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على
الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون اذ هما بدل من اذ اخرجه والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل
في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار
فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلوة
والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا
في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه اللهم اعم ابصارهم
فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر
صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله عز وجل وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته
ما القى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه والجنود الملائكة
يوم بدر والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر وكلمة الله دعوته
الى الاسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع اوجه وهي فصل او مبتدا وفيها تاكيد
فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون سائر الكلم خفافا وثقالا خفافا في
النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم واذيالكم
وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا
او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه
اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس
على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا
قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك

وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا
والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله

لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة
وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون

فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري
خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضر فقال
استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا
باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة
العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر
اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا والشقة
المسافة الشاطة الشاقة وقرا عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين
ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد الا ما توارى الصفائح بالله متعلق
بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين
عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او
سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار
بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى
الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا
بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع بقوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من
سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما
يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا
انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب
لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف
بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك
كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطات وبئس ما فعلت ولم اذنت لهم
بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك
واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه
وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى
فعاتبه الله لا يستاذنك ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان
الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلى الله عليه ابدا ولنجاهدن معه
باموالنا وانفسنا ومعناه ان يجاهدوا في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين
شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستاذنك يعني المنافقين
وكانوا تسعة وثلاثين رجلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما

عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستاذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
والله عليم بالمتقين انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر

فهم في ريبهم يترددون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم

ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر وقرئ عُدّه بمعنى عُدّته فعل بالعدة ما فعل بالعدة في قوله واخلفوك عِدَ الامر الذي وعدوا وقرئ عِدّه بكسر العين بغير اضافة وعُدّة باضافة فان **قلت** كيف موقع حرف الاستدراك **قلت** لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الى زيد ولكن اساء اليه فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قول بعضهم لبعض وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه في القعود فان **قلت** كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح **قلت** خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت فلم خطّأ رسول الله صلى الله عليه في الاذن لهم فيما فيه مصلحة قلت لان اذن رسول الله صلى الله عليه لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله صلى الله عليه الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انه اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حين هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فان **قلت** ما معنى قوله مع القاعدين **قلت** هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوهم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرا ابن الزبير ولارقصوا من رقصت الناقة رقصا اذا اسرعت

قراءة العامة عُدّة بضم العين وتشديد الدال والتنوين

يتفحص

التضريب الاغراء بين الناس

ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله

ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل

هو المنحر بمنى وهو جبل [illegible]

وارقصتها انا قال والراقصات الى منى فالغبغب وقرئ ولاوفضوا فان **قلت** كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف **قلت** كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه او لاذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملكم وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني وقرئ ولا تُفتنّي من افتنه الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى لمحيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيامة او هي محيطة بهم الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها ان تصبك حسنة في بعض الغزوات وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بما لهم في الانصراف عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع وتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا او اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وقرا ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرا طلحة هل يُصيّبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعّل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعّل منه يصوّب الا ترى الى قولهم صوّب رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله اسهمي الصائبات والصيب اللام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين آمنوا

صلى الله عليه وآله على الثنية ليلة العقبة

مستهتر مولع

ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون

قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل انفقوا طوعا او كرها

الكفرين لانه لا ولاهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العاقبتين اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين فان قلت كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله اسيئي بنا او احسني لا ملومة اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسأت الينا او احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول القائل اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل اهو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبوله منهم ورده عليهم ما يبذلونه منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني انكم كنتم قوما فاسقين تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو انهم فاعل منع وهم وان تقبل مفعولاه وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى او غيارى في سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين

منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون

فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون

وقرأ في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الآية فان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى نفسه فان قلت الكراهة خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار الاعجاب بالشيء ان يسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمحاشم في جمعه واكتسابه وفي تربيته او لادهم فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية ملجأ مكانا يلجؤون اليه متحصنين به من رأس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل في الغور وقيل هو تعديه غار الشيء واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغارا او مدخلا او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرأ ابي بن كعب متدخلا وقرئ لوألوا اليه لالتجأوا اليه يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ انس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين فقال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التشديد والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله

لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما آتاهم الله

ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله

لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر
المنافقون منه (إذا هم يسخطون) إذا للمفاجأة أي وإن لم يعطوا منها فاجؤوا السخط وجواب (لو) محذوف
تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيراً لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من
الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه (وحسبنا)
ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما آتانا اليوم (إنا إلى الله) في
أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون (إنما الصدقات للفقراء) قصر لجنس الصدقات
على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها لا تتجاوزها إلى غيرها كأنه قيل إنما هي لهم لا لغيرهم
ونحوه قولك إنما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف
كلها وأن تصرف إلى بعضها وعليه مذهب أبي حنيفة رحمه الله وعن حذيفة وابن عباس وغيرهم
من الصحابة والتابعين أنهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزأك وعن سعيد بن جبير لو
نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب إلي وعند الشافعي لا بد
من صرفها إلى الأصناف وعن عكرمة أنها تفرق في الأصناف الثمانية وعن الزهري أنه كتب لعمر بن
عبد العزيز تفريق الصدقات على الأصناف الثمانية (والعاملين عليها) السعاة الذين يقبضونها
(والمؤلفة قلوبهم) أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم على أن يسلموا
فيرضخ لهم شيئاً منها حين كان في المسلمين قلة (وفي الرقاب) المكاتبون يعانون منها وقيل
الأسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق (والغارمين) الذين ركبتهم الديون ولا يملكون
بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا (وفي سبيل الله) فقراء
الغزاة والحجيج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو
غني حيث ماله (فريضة من الله) في معنى المصدر المؤكد لأن قوله إنما الصدقات
للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة فإن قلت
لم عدل عن اللام إلى في في الأربعة الأخيرة قلت للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق
التصدق عليهم ممن سبق ذكره لأن في للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات
ويجعلوا مظنة لها ومصباً وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر
وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع
والحاج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال
وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين
فإن قلت كيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم
قلت دل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا

يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين

منهم حسماً لأطماعهم وإشعاراً باستيجابهم الحرمان وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم
ولها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها (الأذن) الرجل الذي يصدق كل ما يسمع
ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ونظيره
قولهم للربيئة عين وإيذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن (أذن خير لكم) كقولك رجل صدق
تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يريد هو أذن في
الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة
بالجر عطفاً عليه أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه أذن خير
بأنه يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والأنصار
وهو رحمة لمن آمن منكم أي أظهر الإيمان أيها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل إيمانكم
الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة
لما رأى الله من المصلحة في الإبقاء عليكم فهو أذن كما قلتم إلا أنه أذن خير لكم لا أذن سوء
فسلم لهم قولهم فيه إلا أنه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وإن كانوا قصدوا به المذمة
والتقصير بفطنته وشهامته وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة وقيل إن جماعة منهم
ذموه وبلغه ذلك فاستقلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فإنما هو أذن سامعة
يسمع كلام المبلغ فإذا جئناه نعتذر إليه نسمع عذرنا أيضاً فيرضى وقيل هو أذن
لكم وقرئ أذن خير لكم على أن أذن خبر مبتدأ محذوف وخير كذلك أي هو أذن هو خير
لكم يعني إن كان كما تقولون فهو خير لكم لأنه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على
سوء خلقكم وقرئ بتخفيف الذال فإن قلت لم عدى فعل الإيمان بالباء إلى الله وإلى
المؤمنين باللام قلت لأنه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد
السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي
باللام ألا ترى إلى قوله وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما أنباه عن الباء ونحوه
أنؤمن لك واتبعك الأرذلون آمنتم له قبل أن آذن لكم فإن
قلت ما وجه قراءة ابن أبي عبلة ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها محذوف تقديره
ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لأن قوله أذن خير لكم يدل عليه (ليرضوكم) الخطاب
للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون
إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم إن كنتم مؤمنين
كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وإنما وحد الضمير لأنه
لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك إحسان زيد وإجماله

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم

ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون

أو ولأنه حق أن يرضوه ورسوله كذلك. المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فأن له على حذف الخبر أي فحق أن له نار جهنم وقيل معناه فله وأن تكرير لأن في قوله أنه توكيدا ويجوز أن يكون فأن له معطوفا على أنه على أن جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له نار جهنم وقرئ ألم تعلموا بالتاء كانوا يستهزئون بالإسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا أرانا إلا شر خلق الله لوددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة وأن لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لأن المعنى يقود إليه ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الأمر بالحذر أي ليحذر المنافقون فإن قلت الحذر واقع على إنزال السورة في قوله يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه محصل مبرز إنزال السورة أو إن الله مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون إظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد أظهرتم كفركم باستهزائكم بعد إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن نعف عن طائفة منكم بإحداثهم التوبة وإخلاصهم الإيمان نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه أو إن نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بأنهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزئين وقرئ إن تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لأن المسند إليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب إلى المعنى كأنه قيل إن ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة إن يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث وقرئ إن يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل بعضهم

لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المخروف

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم

من بعض أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله إنهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم حال المؤمنين يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الإيمان والطاعات ويقبضون أيديهم شحا بالمبار والصدقات والإنفاق في سبيل الله نسوا الله أغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله إن المنافقين هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم وإذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم أن يقول كسلت لأن المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وأنه لا شيء أبلغ منه وأنه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم الله أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز أن يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم الكاف محلها الرفع على أنتم مثل الذين من قبلكم أو النصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا بإضمار لم أر وقوله كانوا أشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للإنسان أي قدر من خير كما قيل له قسم ونصيب لأنه قسم أي نصيب والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه فإن قلت أي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما أغنى قوله كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا قلت فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وأن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله وأما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند إليه مستغن باستناده إليه عن تلك التقدمة وأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين

كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون

أصحاب مدين وأهل مدين وهم قوم شعيب **والمؤتفكات** مدائن قوم لوط
وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر فما كان الله
ليظلمهم فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه بعضهم أولياء بعض
مقابل قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة
فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك يوما تعني أنك لا تفوتني وإن تباطأ
ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف نؤتيهم أجورهم
عزيز غالب على كل شيء قادر عليه لا يمتنع عليه ما يريده من الثواب والعقاب حكيم يضع كلا موضعه
على حسب الاستحقاق **ومساكن** طيبة عما يحمل قصورا من اللؤلؤ والياقوت
الأحمر والزبرجد عدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده ويدل عليه ما روى
أبو الدرداء أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا
يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك
في الجنة وقيل لهم جنانه على حالة **ورضوان** من الله أكبر وشيء من رضوان الله أكبر من
ذلك كله لأن رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته
والكرامة أكبر أصناف الثواب ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه
من النعم وإنما تتهنأ له برضاه كما إذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وإن عظمت
بعض أولي الهمة البعيدة والنفس الحرة الكاملة من مشايخنا يقول لا تطمع عيني ولا تنازع
نفسي إلى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع إلى رضاه عني وأن أحشر في زمرة
المهتدين المرضيين عنده ذلك إشارة إلى ما وعد الله أو إلى الرضوان أي هو الفوز العظيم
وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي أن الله عز وجل يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون
ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا
وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على
فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة ويستعمل معه الغلظة ما أمكن منها
عن ابن مسعود إن لم يستطع بيده فبلسانه فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه فإن لم يستطع
فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على إقامة الحدود
عليهم إذا تعاطوا أسبابها أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه
القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال

والله لئن كان ما يقوله محمد حقا لإخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا وأشرافنا فنحن شر من
الحمير فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس أجل والله إن محمدا لصادق وأنت شر من الحمار
وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم
أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل يحلفون بالله ما قالوا
فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس
وحسنت توبته وكفروا بعد إسلامهم وأظهروا الكفر بعد إظهارهم الإسلام وهموا بما لم
ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة
عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل وأخذ عمار بخطام
راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف
الإبل وبقعقعة السلاح فالتفت فإذا قوم متلثمون فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا
وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما أنكروا وما عابوا إلا أن أغناهم الله وذلك أنهم
كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون
الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بديته اثني عشر ألفا فاستغنى فإن يتوبوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والآخرة
بالقتل والنار وروي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه السلام
يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن
رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت
بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة
وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت
الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه
يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال إن الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب
على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها
إلى أبي بكر فلم يقبلها فجاء بها إلى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان وقرئ
لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج فأعقبهم
عن الحسن وقتادة أن الضمير للبخل يعني فأورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لأنه كان

ملومون بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم
وأن الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون
إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم استغفر لهم أو لا تستغفر لهم

شاتبه وداعيا إليه والظاهر أن الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم
نفاقهم فلا ينفك عنها إلى أن يموتوا بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح
وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد ألم
تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم ما أسروه من النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه
وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها الذين يلمزون
محله النصب أو الرفع على الذم ويجوز أن يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ
يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين روي أن رسول الله صلى الله عليه حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان لي
ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه بارك
الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على
ثمانين ألفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من
تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول
الله صلى الله عليه أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم
إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من
الصدقات فنزلت إلا جهدهم إلا طاقتهم وقرئ بالفتح والجهد سخر الله منهم كقوله الله يستهزئ بهم وله
خبر غير دعاء ألا ترى إلى قوله ولهم عذاب أليم سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه
وكان رجلا صالحا أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل فنزلت فقال صلى الله عليه إن الله قد رخص لي
فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر
لهم وأن فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الأمر والسبعون جار مجرى
المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصبحن العاص وابن العاص
سبعين ألفا عاقدي النواصي فإن قلت كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه
وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا
العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بأنهم كفروا الآية فبين الصارف
عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسأزيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك
ولكنه خيل بما قال إظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه كقول إبراهيم عليه السلام ومن
عصاني فإنك غفور رحيم وفي إظهار النبي الرأفة والرحمة لطف لأمته ودعاء لهم إلى ترحم
بعضهم على بعض المخلفون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه من

إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين
فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله

[illegible marginal notes]

وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج
فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين

المنافقين فأذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان
بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال أقام خلاف الحي بمعنى
بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة أبي حيوة خلف رسول الله صلى الله عليه وقيل
هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أي
قعدوا لمخالفته أو مخالفين له أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم
المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله وإيثارهم
ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين
من باعث الإيمان وداعي الإيقان قل نار جهنم أشد حرا استجهال لهم لأن من تصون من مشقة
ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل ولبعضهم
مسرة أحقاب تلقيت بعدها مساءة يوم أريها شبه الصاب
فكيف بأن تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة أحقاب
معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم
واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا
يكتحلون بنوم وإنما قال إلى طائفة منهم لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف أو اعتذر بعذر
صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين منهم فاستأذنوك
للخروج يعني إلى غزوة بعد غزوة تبوك وأول مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك وكان
إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق
بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار رحمه الله مع
الخلفين على قصر الخالفين فإن قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم
التفضيل المضاف إليها وهو دال على واحدة من المرات قلت أكثر اللغتين هند أكبر النساء
وهي أكبرهن ثم إن قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي أكبر امرأة وأول مرة
وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل روي أن رسول الله
صلى الله عليه كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم ولما مرض رأس النفاق عبد الله
بن أبي بعث إليه ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت
إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما
مات دعاه ابنه حباب إلى جنازته فسأله عن اسمه فقال أنت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم
بالصلاة عليه قال له عمر أتصلي على عدو الله فنزلت وقيل أراد أن يصلي عليه فجذبه جبريل فإن
قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافأة له
على صنيع سبق له وذلك أن العباس عم رسول الله لما أخذ أسيرا ببدر ولم يجد له قميصا

ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون

[illegible marginal notes]

ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون

وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية إنا لا نأذن لمحمد
ولكنا نأذن لك فقال لا إن لي في رسول الله أسوة حسنة فشكر رسول الله ﷺ ذلك
وإجابة عليه السلام ابنه إياه تقديرا لكان عليه السلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروءة
ويعمل بعادات الكرام وإكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي أنه قال له أسألك أن تكفنه
في بعض قمصانك وأن تقوم على قبره لا يشمت به الأعداء وعلم أنه كان يكفيه في قميصه لا
ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الأكفان وليكون إلباسه إياه لطفا لغيره فقد
روي أنه قيل له لم وجهت إليه بقميصك وهو كافر فقال إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئا
وإني أؤمل من الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب فروي أنه أسلم ألف من الخزرج
لما رأوه أنه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ وكذلك ترحمه واستغفاره
كان للدعاء إلى التراحم والتعاطف لأنهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان وباطنه على خلاف
ذلك دعا المسلم إلى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه فإن قلت
فكيف جازت الصلاة عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر
إيمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما أدري ما هذه الصلاة إلا أني أعلم أن رسول
الله ﷺ لا يخادع مات صفة لأحد وإنما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى
على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لأنه كائن موجود لا محالة إنهم كفروا تعليل
للنهي وقد أعيد قوله ولا تعجبك لأن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده
وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل به مهم
يفتقر إلى فضل عناية به لا سيما إذا تراخى ما بين النزولين فأشبه الشيء الذي أهم صاحبه فهو
يرجع إليه في أثناء حديثه ويتخلص إليه وإنما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه
يجوز أن يراد السورة بتمامها وأن يراد بعضها في قوله وإذا أنزلت سورة كما يقع القرآن
والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لأن فيها الأمر بالإيمان والجهاد أن آمنوا هي
أن المفسرة أولوا الطول ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا مع القاعدين مع الذين
لهم علة وعذر في التخلف فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف
من الشقاء والهلاك لكن الرسول أي إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد نهد إلى الغزو من هو خير
منهم وأخلص نية ومعتقدا كقوله فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فإن استكبروا
فالذين عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن
خيرات حسان المعذرون من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته أن يوهم أن له
عذرا فيما يفعل ولا عذر له أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين

لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون
أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم

وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم

ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لإتباع الميم ولكن لم تثبت بها قراءة وهم
الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم وقرئ المعذرون
بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالا وإن
بنا جهدا فأذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت
أعراب طيئ على أهالينا ومواشينا فقال عليه الصلاة والسلام سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد
نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعّذّرون
بتشديد العين والذال من تعذّر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لأن التاء لا تدغم في
العين إدغامها في الطاء والزاي والصاد في المطّوّعين وازّكّى واصّدّق وقيل أريد المعتذرون
بالصحة وبه فسر المعذّرون والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر
وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر
بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان وقرأ أبي كذّبوا بالتشديد سيصيب
الذين كفروا منهم من الأعراب عذاب أليم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار الضعفاء
الهرمى والزمنى والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح
لله ورسوله الإيمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما
كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم
لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قلت لا أجد حال من الكاف في أتوك وقد قبله
مضمرة كما قيل في قوله أو جاءوكم حصرت صدورهم أي إذا ما أتوك قائلا لا أجد تولوا
حمله المعذورين في التخلف الذين ليس في أيديهم استطاعة الذين عدموا آلة الخروج
والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون أبو موسى الأشعري وأصحابه وقيل البكاؤون
وهم ستة نفر من الأنصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ
من يفيض دمعها لأن العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك
من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز ألا يجدوا ومحله النصب على
أنه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا فإن قلت رضوا ما موقعه
قلت هو استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة
والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني أن السبب في استئذانهم رضاهم
بالدناءة وخذلان الله عز وجل إياهم فإن قلت فهل يجوز أن يكون قوله قلت لا أجد
استئنافا مثله كأنه قيل إذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين
فقيل قلت لا أجد ما أحملكم عليه إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت

قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون إنما السبيل
على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم

لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لأن غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به فإذا علم أنه مكذب وجب عليه الإخلال به وقوله قد نبأنا الله من أخباركم علة لانتفاء تصديقهم لأن الله عز وجل إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وأحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم أتنيبون أم تثبتون على كفركم ثم تردون إليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فأعرضوا عنهم فأعطوهم طلبتهم إنهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني أن المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم إنما يعاتب الأديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار وأما هؤلاء فأرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم ومأواهم جهنم وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم لترضوا عنهم أي غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فإن ترضوا عنهم فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل إنما قال ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن أبي يحلف أن لا يتخلف عنه أبدا الأعراب أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله وأحق بأن يجهلوا حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام ومنه قوله عليه السلام إن الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لأنه لا ينفق إلا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من إعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء اعتراض دعاء عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وعلا وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لأن من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم أعراب أسد وغطفان وتميم قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين

بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الرسول ألا إنها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه وكذلك سيدخلهم الله وما في السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وأن الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه والسابقون الأولون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والأنصار بالرفع عطفا على والسابقون وعن عمر أنه كان يرى أن قوله والذين اتبعوهم بإحسان بغير واو صفة للأنصار حتى قال له زيد إنه بالواو فقال ائتوني بأبي فقال تصديق ذلك في أول الجمعة وآخرين منهم وأوسط الحشر والذين جاءوا من بعدهم وآخر الأنفال والذين آمنوا من بعد وروي أنه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من أقرأك فقال أبي فدعاه فقال أقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وإن شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا وأن يتبع السابقون بالإحسان وخيره رضي الله عنهم لأعمالهم ورضوا عنه لما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وفي مصاحف أهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن أهل المدينة عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق على أن مردوا صفة موصوف محذوف كقوله أنا ابن جلا وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه إذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في أمرهم ثم قال نحن نعلمهم أي لا يعلمهم

واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله
غفور رحيم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها

الا الله ولا تطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون
لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على
النفاق وضروا به ولهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر
وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول
الله صلى الله عليه خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك
منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن
اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم الى عذاب عظيم الى عذاب النار اعترفوا
بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم
بانهم بئس ما فعلوا نادمين وكانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس
بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم بلغهم
ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله
صلى الله عليه فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فراهم
موثقين فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى
الله عليه هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزل فاطلقهم وعذرهم
فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت
ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم صدقة عملا صالحا خروجا الى الجهاد واخر سيئا
تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم فان قلت قد جعل كل واحد منهما
مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد
منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس
في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته
بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن
بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم فان قلت
كيف قيل ان يتوب عليهم وما ذكر توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة
فقد ذكر توبتهم تطهرهم صفة الصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره
وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرا وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب
او لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال
وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة
اذا اخذها وعن الشافعي رحمه الله احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة اجرك الله

وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم والله سميع عليم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة
عن عباده وياخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم

ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم

فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت وقرئ ان صلاتك على التوحيد سكن لهم
يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم
ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم وقرئ الم يعلموا بالياء والتاء
وفيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم
ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتاكيد
التاكيد من حيث ان في يقبل ضميرا يعود الى الاسم فقد تكرر الاسناد وجهين احدهما
والثاني ... الى ضمير للتخصيص والتاكيد وان الله من شانه قبول توبة التائبين
وقيل معنى التخصيص في هو ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله الذي يقبل التوبة ويردها
فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقل لهم اعملوا فان عملكم لا يخفى
خيرا كان او شرا على الله وعلى عباده كما رايتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين
ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا
كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت فان قلت فما معنى قوله
وياخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع في يد الله قبل
ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير
عن عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وقرئ مرجأون ومرجون من ارجيته وارجاته اذا
اخرته ومنه المرجئة يعني واخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على
الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية
ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم
يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم
فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم
الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد اي خافوا عليهم العذاب
وارجوا لهم الرحمة وفي مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة
على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر
قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه
ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل
الى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل
والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه الفاسق وقال لرسول الله
يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما

والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله
ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون

لا تقم فيه ابدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين

انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما اقبل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين **ضرارا** مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب أعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلوة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا أحب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او رياء وسمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الامصار على يدي عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان **قلت** والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان **قلت** بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف ان اردنا ببنائها الا الخصلة الحسنى او لارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين لمسجد أسس على التقوى قيل هو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قباء اوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها على الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول

لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع

افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين

الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان **قلت** ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبته اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه قرئ أسس بنيانه وأسس على البناء للفاعل والمفعول وأسس بنيانه جمع اساس على الاضافة وأساس بنيانه بالفتح والكسر جمع أس وآساس بنيانه على افعال جمع أس ايضا وأس بنيانه والمعنى افمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من أسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى فان **قلت** فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت وألفه ليست بألف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره وقرئ جرف بسكون الراء فان **قلت** فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين **قلت** قد جعل الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده وقيل خرج من مسجد الضرار دخان حين انهار وروي ان مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته ان يأذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم

والله عليم حكيم إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة

فيه

كلما مرّ بالقرآن وكانوا أسوخا لا يقرأون من القرآن شيئا فيعدونه وصدقه دائم المؤمنين بقومه ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وإنما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للإسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل أثره إلا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء بحيث لا يبقى شيء وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي إلا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن إلى أن وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب وقيل معناه إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم مثّل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيل الله بالشراء وروى تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه جعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها وروي أن الأنصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فإذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد يقاتلون فيه معنى الأمر كقوله تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس وعدا مصدر مؤكد وأخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبته في التوراة والإنجيل كما أثبته في القرآن ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ التائبون رفع على المدح أي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وأبي رضي الله عنهما التائبين بالياء إلى قوله والحافظين نصبا على المدح ويجوز أن يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي التائبون العابدون من أهل الجنة أيضا وإن

ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون

الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم

لم يجاهد كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر أي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤوا من النفاق والعابدون الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها السائحون الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه قيل قال لعمه أبي طالب أنت أعظم الناس علي حقا وأحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فأبى فقال لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سأل أي أبويه أحدث به عهدا فقيل أمك آمنة فزار قبرها بالأبواء ثم قام مستعبرا فقال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وهذا أصح لأن موت أبي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لأبيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا وذوي قراباتنا وقد استغفر إبراهيم لأبيه وهذا محمد يستغفر لعمه ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم لأنهم ماتوا على الشرك قرأ طلحة وما استغفر إبراهيم لأبيه وعنه وما يستغفر إبراهيم على حكاية الحال الماضية إلا عن موعدة وعدها إياه أي وعدها إبراهيم أباه وهو قوله لأستغفرن لك وتدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية أباه فإن قلت كيف خفي على إبراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده قلت يجوز أن يظن أنه ما دام يرجى منه الإيمان جاز الاستغفار له على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما علم بالوحي لأن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ألا ترى إلى قوله عليه السلام لعمه لأستغفرن لك ما لم أنه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر إبراهيم فإن قلت فما معنى قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي أنه لن يؤمن وأنه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم أواه فعال من أوه كلأل من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لأرجمنك يعني ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى الله عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم إلا إذا أقدموا عليه بعد بيان حظره

لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم

إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب

وعلمهم بأنه واجب الاتقاء والاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون
بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار
للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي أن يغفل عنها وهو أن المهدي
للإسلام إذا أقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الإضلال والمراد بما يتقون
ما يجب اتقاؤه للنهي فأما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف
على التوقيف **لقد تاب الله على النبي** كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
وهو بعث للمؤمنين على التوبة وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار
حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار وإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وأن
صفة التواب الأواب صفة الأنبياء كما وصفهم بالصالحين إظهاراً لفضيلة الصلاح
وقيل معناه تاب الله عليه من إذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك **في ساعة
العسرة** في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية
واليوم غداة طفت علماء بكر بن وائل عشية قارعنا جذام وحمير
إذا جاء يوماً وارثي يبتغي الغنى يجد جمع كف غير ملأى ولا صفر
والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة
من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والإهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة
أن اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الإبل
واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة
كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الإيمان وعن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج
معه وفي كاد ضمير الشأن وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ
يزيغ بالياء وقرأ عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين
كأبي لبابة وأمثاله **ثم تاب عليهم** تكرير للتوكيد ويجوز أن يكون الضمير للفريق تاب عليهم
لكيدودتهم **الثلاثة** كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى خلفوا تخلفوا
عن الغزو وقيل عن أبي لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا أي خلفوا
الغازين بالمدينة أو فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرئ جعفر الصادق رضي الله عنه
خالفوا وقرئ الأعمش وعلى الثلاثة المخلفين **بما رحبت** برحبها أي مع سعتها وهو مثل للحيرة
في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرون فيه قلقاً وجزعاً مما هم فيه **وضاقت
عليهم أنفسهم** أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها حرجت من فرط الوحشة
والغم وظنوا وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله إلا إلى استغفاره **ثم تاب عليهم ليتوبوا**

فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت
عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم

ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ما
كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم
عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون
موطئاً يغيظ الكفار

ورجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا أو ليتوبوا أيضاً فيما يستقبل
إن فرطت منهم خطيئة علماً منهم أن الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روي أن ناساً
من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن رضي الله عنه
أنه كان لأحدهم حائط كان خيراً من مائة ألف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني إلا ظلك وانتظار
ثمرك اذهب فأنت في سبيل الله ولم يكن لآخر إلا أهله فقال يا أهلاه ما بطأني ولا خلفني إلا الضن بك
لا جرم والله لأكابدن المفاوز حتى ألحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر إلا نفسه
لا أهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني إلا حب الحياة لك والله لأكابدن الشدائد حتى ألحق برسول
الله فتأبط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن
أبي ذر الغفاري أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماشياً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن أبا ذر فقال الناس هو ذاك فقال
رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن أبي خيثمة أنه بلغ بستانه وكانت
له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد
فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح
والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله
طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكان هو ففرح به رسول
الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول
الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعباً
فقيل له ما خلفه إلا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما أعلم إلا فضلاً وإسلاماً
ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت
أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة إذا أنا بنداء من ذروة
سلع أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجداً وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الأرض بما
رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول
حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك
أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبي بكر الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح فقال أن تضيق
على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه
مع الصادقين وقرئ من الصادقين فهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولاً وعملاً والدين

ما بطأني

يزهاه يرفعه

ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا
يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين

صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه وقيل هم الثلاثة اي كونوا مثلهم في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس
الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا
في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود
رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز له اقرؤا ان
شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة **ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه** امروا بان
يصحبوه في البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم
من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها
وعزتها للخوض في الشدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث
لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان يربؤا بانفسهم
عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم
وتوبيخ لهم وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم
ان يتخلفوا من وجوب مشايعته كانه قيل ذلك بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا
تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم
واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم
ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤنهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك
الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله عز وجل وذلك مما
يوجب المشايعة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر
كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان
فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون
مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما
يسوءهم وينكيهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه
مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه
الآية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمه الله ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك
الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه
لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجر بن ابي امية
وزياد بن لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم وعند
الشافعي لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماء **ولا ينفقون**

ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن

وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين

ولو تمرة

نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط **ولا كبيرة** مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه
في جيش العسرة **ولا يقطعون واديا** اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج
بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي
وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك **الا كتب**
لهم الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح
وقوله **ليجزيهم** يتعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء **اللام** لتاكيد النفي ومعناه ان
نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم
يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة
فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل
جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير **ليتفقهوا في الدين** ليتكلفوا الفقاهة
فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها **ولينذروا قومهم** وليجعلوا غرضهم ومرمى
همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض
الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد
والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم
وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه
وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا **لعلهم يحذرون** ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا
ووجه آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد
ما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا
جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى
الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان
الجهاد بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية
بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم
النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة
النافرة الى المدينة للتفقه **يلونكم** يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم
وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد
حارب رسول الله صلى الله عليه وآله قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم
قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب

يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين

الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من
وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عن قتال الديلم فقال عليك
بالروم وقرى غلظة بالحركات الثلث والغِلظة كالشِدة والغُلظة كالضُغطة
والغَلظة كالسَخطة دعوة واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال
وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله مع
مع المتقين بنصر من اتقاه فلم يتراف على عدوه ومنهم من يقول من المنافقين من يقول
لبعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم
زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتدا وقرا عبيد بن عمير
ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا فزادتهم
ايمانا لانها زيد لليقين والثبات واثلج للصدر او تزادهم عملا فان زيادة العمل زيادة في
الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما
الى كفرهم لانهم كلما جدد واستجد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم
وتضاعف عقابهم وقرى افلا يرون بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما
من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في
امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من
نصرته وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم
وينكل بهم ثم لا ينزجرون نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية
قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف
الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل
يراكم من احد وقيل معناه اذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعا
عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب
انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم
عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم
اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم
سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه
والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم وقرى من
انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة
وعائشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله في قوله

رؤوف رحيم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم
لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم وقرى العظيم بالرفع وعن ابن عباس
العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب ان اخر اية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل على القران الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل
هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تفخيمها للحروف على طريق التهجي وتلك ايات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة
من الايات والكتاب السورة الحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها
او وصف بصفة محدثه قال الاعشى وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها
اكان للناس عجبا الهمزة لانكار التعجب والتعجب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرى ابن مسعود
عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاجود
ان تكون تامة وان اوحينا بدلا من عجب فان قلت فما معنا اللام في قوله اكان للناس
عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه
لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس
في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناءهم
دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا
يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه
ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال تعالى قل لو
كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا وارسال
الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله تعالى انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب
الاستقلال لما اختير له من النبوة والغنا والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شي
وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو
الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء
ان انذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من
الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وان لهم الباء
معه محذوف قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت

إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون

قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدماً كما سميت النعمة يداً لأنها تعطى باليد وباعاً لأن صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير وإضافته إلى الصدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق إن هذا الكتاب وما جاء به محمد لسحر ومن قرأ لساحر فهذا إشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين في تسميته سحراً وفي قراءة أبي ما هذا إلا سحر يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في أدبار الأمور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخراً والأمر أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والأرض والعرش فإن **قلت** ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه بخلق السموات والأرض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش وأتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع إلا من بعد إذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ذلكم إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة أي ذلكم العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك وإنسان فضلاً عن جماد لا يضر ولا ينفع أفلا تذكرون فإن أدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما أنتم عليه إليه مرجعكم جميعاً أي لا ترجعون في العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله إليه مرجعكم حقاً مصدر مؤكد لقوله وعد الله إنه يبدأ الخلق ثم يعيده استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم وقرئ أنه يبدأ الخلق بمعنى لأنه أو هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله أي وعد الله وعداً بدأ الخلق ثم إعادته والمعنى إعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من أبدأ ويجوز أن يكون مرفوعاً بما نصب حقاً أي حق حقاً بدء الخلق كقوله أحقاً عباد الله أن لست جائياً ولا ذاهباً إلا علي رقيب وقرئ حق أنه يبدأ الخلق كقولك حق أن زيداً منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات لأن الشرك ظلم قال الله تعالى إن الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام لأنفسهم وهذا أوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما ألف على القلب بتقديم

إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون

هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا

اللام على العين كما قيل في عاق عقا والضياء أقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل أو قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل والحساب وحساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي ذلك إشارة إلى المذكور أي ما خلقه إلا ملتبساً بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثاً وقرئ يفصل بالياء خص المتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر إلى النظر والذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه أصلاً ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق أو لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء أو لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يخاف ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديداً وأملوا بعيداً يهديهم ربهم بإيمانهم يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي إلى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الأنهار بياناً له وتفسيراً لأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها ويجوز أن يريد يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ومنه الحديث إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة والكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فإن **قلت** فلقد دلت هذه الآية على أن الإيمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو إيمان مقيد وهو الإيمان المقرون بالعمل الصالح والإيمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور **قلت** الأمر كذلك ألا ترى كيف أوقع الصلة مجموعاً فيها بين الإيمان والعمل كأنه قال إن الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ثم قال بإيمانهم أي بإيمانهم هذا المضموم إليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعواهم دعاؤهم لأن اللهم نداء لله تعالى ومعناه اللهم إنا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز أن يراد بالدعاء العبادة وإلا لكم وما تدعون من دون الله على معنى أنه لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة إنما يلهمونه فينطقون به تلذذاً بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية وآخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى تحيتهم فيها سلام أن بعضهم يحيي بعضاً بالسلام وقيل هي تحية الملائكة إياهم إضافة للمصدر إلى المفعول وقيل تحية الله لهم وأن هي المخففة من الثقيلة وأصله أنه الحمد لله على أن الضمير للشأن كقوله أن هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ أن الحمد

بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن

له بالتنبيه ونصب الحمد واصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير فوضع استعجالهم
بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم
بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم
الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا
وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا
اليهم اجلهم فان قلت فكيف اتصل به وقوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت
قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم
اجلهم فنذرهم في طغيانهم يعمهون اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما
للحجة عليهم لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا
او قايما فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال قلت معناه ان المضرور لا يزال
داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها ان كان منبطحا
عاجز النهض متخاذل النوء او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قايما لا يقدر على المشي
والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها ويجوز ان يراد
ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر
على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء
لان الانسان للجنس مر اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن
موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف
وحذف ضمير الشان قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين
زين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض
عن الذكر واتباع الشهوات لما ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب
وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا
يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا
يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم مصرون على كفرهم وان
الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه
لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك
نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه اي استخلفناكم
في الارض بعد القرون التي اهلكناها لننظر كيف تعملون خيرا ام شرا فنعاملكم على

حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع ان يتقدم
عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم
المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه غاظهم
ما في القران من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ايت بقران اخر ليس فيه
ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان اية عذاب اية رحمة وتسقط ذكر الالهة والتشنيع
يهوان يضع مكان اية عذاب اية رحمة وان يسقط ذكر الالهة وذم عبادتها فامر بان يجيب
عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يسقط ذكر الالهة واما الاتيان بقران اخر فغير
مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي
بحق ان ابدله من تلقاء نفسي وقرئ بفتح الياء من قبل نفسي ان اتبع الا ما
يوحى الي لا اتبع الا وحي الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذي اتيت به من عند الله
لا من عندي فابدله اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن
الاتيان بمثل القران حتى قالوا ايت بقران غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون
بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه
الى الرسول ويزعمون انه قادر عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها
اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا بقولهم ايت بقران غير
هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقران من جهته واراد بقوله ما يكون لي ان
يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي قلت
فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اما
اقتراح ابدال قران بقران ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه
اخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما
ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه
وتصحيحا لافترائه على الله لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة
الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع
ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشا في بلد فيها علماء فيقرا عليكم كتابا فصيحا
بهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول
والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ
بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره

فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله

ولا أسمعتكم منه حرفا من ذلك ولا عرفته بما حد من أقرب الناس منه وألصقهم
به على لساني وقرأ الحسن ولا أدرأتكم به على لغة من يقول أعطأته وأرضأته في معنى أعطيته
وأرضيته ويعضده قراءة ابن عباس ولا أنذرتكم به بالهمز وفيه وجهان أحدهما أن تقلب الألف
همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وحلأت السويق وذلك لأن الألف والهمزة من واد
واحد ألا ترى أن الألف إذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني أن يكون من درأته إذا
دفعته وأدرأته إذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال
وتكذبونني وعن ابن كثير ولأدراكم بلام الابتداء لإثبات الإدراء ومعناه لو شاء الله ما
تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني
بهذه الكرامة ورآني لها أهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون
يعني فقد أقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت
عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه أفلا تعقلون فتعلموا أنه ليس إلا من
الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من إضافة الافتراء
إليه فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في قولهم إنه ذو شريك
وذو ولد وأن يكون تفاديا مما أضافوا إليه من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم الأوثان التي
هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل إن عبدوها لم تنفعهم وإن تركوا عبادتها لم تضرهم
ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون
اللات وأهل مكة العزى ومناة وهبل وإسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وعن النضر بن الحارث إذا كان يوم القيامة يشفع لي اللات والعزى أتنبئون الله بما
لا يعلم أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله وإذا لم يكن معلوما
له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لأن الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان
خبرا ليس له مخبر عنه فإن قلت كيف أنبؤوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه
من المحال الذي هو شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبؤوا به باطل غير منطو
تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ أتنبئون
بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الأرض تأكيد لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو
منتف معدوم وما كان الناس إلا أمة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير
أن يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم إلى أن قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر
الله من الكافرين ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تأخير الحكم بينهم إلى
يوم القيامة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه ولتميز المحق من المبطل وسبق كلمته

قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة

ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر

بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب
وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أرادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها
وكانوا لا يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد
من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة من الآيات
دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية
قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في
التمرد وانهماكهم في الغي فقل إنما الغيب لله أي هو المختص بعلم الغيب المستأثر
به لا علم لي ولا لأحد به يعني أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو فانتظروا
نزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم
الآيات سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما
رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه وإذا الأولى
للشرط والأخرى جوابها وهي للمفاجأة والمكر إخفاء الكيد
وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء
أثرها فيهم فإن قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله أسرع مكرا قلت
بل دلت على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا
وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم
يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن
تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام إن رسلنا يكتبون إعلام بأن ما تظنونه
خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالتاء والياء وقيل مكرهم
قولهم سقينا بنوء كذا وعن أبي هريرة أن الله عز وجل ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم
بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وقرأ زيد بن ثابت ينشركم
ومثله قوله فانتشروا في الأرض ثم إذا أنتم بشر تنتشرون فإن قلت كيف جعل الكون
في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر إنما هو بالكون قلت لم يجعل الكون
في الفلك غاية للتسيير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى
بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء
الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء فإن قلت ما جواب
إذا قلت جاءتها فإن قلت فدعوا قلت بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم
ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فإن قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة

هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف

وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق

قلت: المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح فان قلت
ما وجه قراءة ام الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب قلت قيل هما زائدتان كما في الخارجي
والاحمري ويجوز ان يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في
جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل وفي قراءة ام الدرداء للفلك ايضا
لان الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان
من جميع امكنة الموج احيط بهم اي اهلكوا جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك
مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره لئن انجيتنا على ارادة
القول او لان دعوا من جملة القول يبغون في الارض يفسدون فيها ويعبثون مترقين
في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد فان قلت ما معنى قوله
بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم
دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله ببني قريظة
وقرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب فان قلت ما الفرق بين القراءتين قلت اذا رفعت كان
المتاع خبرا للمبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم
على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها
واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة
الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون
الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تمكر
ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه
عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما
الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنه لو بغى جبل على جبل لدك
الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في اخيه محمد بن زبيدة

يا صاحب البغي ان البغي مصرعة ۞ فاربع فخير فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل ۞ لاندك منه اعاليه واسفله

وعن محمد بن كعب رضي الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر
قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا
في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه
حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك
بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت

يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون
انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس

حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها
اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل

الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها
وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرا عبد الله
وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت بوزن
ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها
اتاها امرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها
فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله كأن لم تغن بالامس كأن لم
يغن زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى
وقرئ كأن لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان
انه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالامس من قول الاعشى طويل الثواء طويل التغني
والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل كأن لم تغن آنفا دار السلام الجنة اضافها الى اسمه
تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام
بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي ويوفق من يشاء وهم الذين
علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام
ولا يدخلها الا المهديون الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهو التفضل ويدل
عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن
عباس الحسنى الحسنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن
مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل
الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة
والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله عز وجل وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة
الجنة نودوا يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله
شيئا هو احب اليهم منه ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا
ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا
بما ينقذهم منه برحمته نحو قوله تعالى ترهقها قترة وترهقهم ذلة فان قلت فما وجه
قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت لا يخلو اما ان يكون
والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كانه قيل وللذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى
جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان الاول
عطف على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل

والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم للذين احسنوا
الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون

والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما
أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثَمّ باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ
يرهقهم ذلة بالياء ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخط الله عز وجل وعذابه او ما
لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حال من الليل ومن قرأ
قطْعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له ويعضده قراءة ابي بن كعب كانما يغشى
وجوههم قطع من الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت
لا يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف
كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل مكانكم الزموا مكانكم
لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله
الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءَكم على الواو بمعنى مع والعامل فيه
ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل
التي كانت بينهم في الدنيا وباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم
منهم ومن عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ
فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعّره وكالمته وكلّمته ما كنتم ايانا تعبدون انما
كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ان كنا هي
المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن
عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك
مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الوقت
او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما
اسلفت من العمل فتعرف كيف هو أقبيح ام حسن انافع ام ضار أمقبول ام مردود كما
يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو
كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة
حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله
ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس
عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلو اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه
الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق
الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم
وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحقَّ بالفتح على تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك
هذا عبد الله الحقَّ لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهلَ الحمد وضل عنهم ما كانوا

ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم
وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم

هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون قل من يرزقكم من السماء
والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي

يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من
الكذب وشفاعة الآلهة من السماء والارض اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم
على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته امن يملك السمع والابصار من
يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما
ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفتان يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته
وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون
افلا تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال ذلكم
اشارة الى من هذه قدرته وافعاله الله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق
النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق
وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة
الى الشقاوة كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال
او كما حق انهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا
في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم
انتفاء الايمان وعلم الله عز وجل منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان وان
ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم
لا يؤمنون فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير
معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع
كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم
لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم
يعيده فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان
ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال
هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي
وقرئ لا يهدّي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء
بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان
يُهدى من هداه وهدّاه للمبالغة ومنه قولهم تهدّى ومعناه ان الله وحده هو الذي
يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة
التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع
فهل من شركائكم الذين جعلتم اندادا لله احد من اشرافهم كالملائكة والمسيح وعزير

فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمات ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون

هل من

«يهدي للحق» مثل هداية الله ثم قال «أفمن يهدي إلى الحق» هذه الهداية «أحق أن يتبع أمن لا
يهدي» أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره «إلا أن يهدى» إلا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدي
من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلا أن يُهدى إلا أن ينقل أو لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء
إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيوانا مكلفا فيهديه «فما لكم كيف تحكمون»
حيث تزعمون أنهم أنداد لله «وما يتبع أكثرهم» في إقرارهم بالله «إلا ظنا» لأنه قول
غير مستند إلى برهان عندهم «إن الظن» في معرفة الله «لا يغني من الحق» وهو العلم «شيئا» وقيل وما
يتبع أكثرهم في قولهم للأصنام أنها آلهة وأنها شفعاء عند الله إلا الظن والمراد بالأكثر
الجميع «إن الله عليم» وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء
«وما كان هذا القرآن» افتراء من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وهو ما
تقدمه من الكتب المنزلة لأنه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد بصحتها كقوله هو الحق
مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو
تصديق وتفصيل ومعنى وما كان أن يفترى وما صح وما استقام وكان محالا أن يكون
مثله في علو أمره وإعجازه مفترى «وتفصيل الكتاب» ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع
من قوله كتاب الله عليكم فإن قلت بم اتصل قوله «لا ريب فيه من رب العالمين» قلت
هو داخل في حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب
كائنا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا
منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه
اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم «أم يقولون» أي بل أيقولون «افتراه» اختلقه على
أن الهمزة تقرير لإلزام الحجة عليهم أو إنكار لقولهم واستبعاد والمعنى بل أيقولون
«قل» إن كان الأمر كما تزعمون «فأتوا» أنتم على وجه الافتراء «بسورة مثله» فإنكم
مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله أي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ
بسورة مثله على الإضافة أي بسورة كتاب مثله «وادعوا من استطعتم» من خلقه للاستعانة
على الإتيان بمثله يعني أن الله وحده هو القادر على أن يأتي بمثله لا يقدر على ذلك أحد غيره
فلا تستعينوه وحده ثم استعينوا بكل من دونه «إن كنتم صادقين» أنه افتراه «بل كذبوا»
بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا
كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما
يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية إذا
أحس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه وإن كانت أضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان

الاستقامة أنكرها في أول وهلة واشمأز منها قبل أن يحس إدراكها بحاسة سمعه من غير
فكر في صحة أو فساد لأنه لم يشعر قلبه إلا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فإن
قلت ما معنى التوقع في قوله «ولما يأتهم تأويله» قلت معناه أنهم كذبوا به على البديهة
قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع إلى
التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه لما كرر عليهم
التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا «كذلك»
أي مثل ذلك التكذيب «كذب الذين من قبلهم» يعني قبل النظر في معجزات الأنبياء وقبل تدبرها
من غير إنصاف من أنفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا أو قيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون
ويجوز أن يكون معنى «ولما يأتهم تأويله» ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب
أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعني أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه
ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه
حد الإعجاز وقبل أن يخبروا إخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه «ومنهم من يؤمن به» من يصدق
به في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به أو يكون
للاستقبال أي ومنهم من سيؤمن ومنهم من سيصر «وربك أعلم بالمفسدين» بالمعاندين أو
المصرين «وإن كذبوك» أي وإن تموا على تكذيبك ويئست من إجابتهم فتبرأ منهم وخلهم
فقد أعذرت كقوله فإن عصوك فقل إني بريء وقيل هي منسوخة بآية السيف «ومنهم من
يستمعون إليك» معناه ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم
لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون إليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم
لا يصدقون ثم قال أفأنت تطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم
لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع في صماخه دوي الصوت فإذا اجتمع
سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الأمر وأتحسب أنك على هداية العمي ولو انضم إلى
فقد البصر فقد البصيرة لأن الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويظن وأما العمى مع الحمق
فجهد البلاء يعني أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم
ولا بصائر وقوله «أفأنت» دلالة على أنه لا يقدر على إسماعهم وهدايتهم إلا الله عز وجل
بالقسر والإلجاء كما لا يقدر على رد الأصم والأعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر
راجحي العقل إلا هو وحده «إن الله لا يظلم الناس شيئا» أي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم
من بعثة الرسل وإنزال الكتب ولكنهم «يظلمون» أنفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز أن
يكون وعيدا للمكذبين يعني أن ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل

العدل والاستيعاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا {إلا ساعة من النهار} يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون {يتعارفون بينهم} يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم فإن قلت كأن لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت أما الأولى فحال منهم أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة وأما الثانية فإما أن يتعلق بالظرف وإما أن تكون مبينة لقوله كأن لم يلبثوا إلا ساعة لأن التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا {قد خسر} على إرادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك أو هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر {وما كانوا مهتدين} للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم {فإلينا مرجعهم} جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة فإن قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن أبي عبلة ثم بالفتح أي هنالك ويجوز أن يراد أن الله مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم {ولكل أمة رسول} يبعث إليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق {فإذا جاء رسولهم} بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه {قضي بينهم} أي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فأنجي الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا أو ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم {متى هذا الوعد} استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له {قل لا أملك لنفسي ضرا} من مرض أو فقر {ولا نفعا} من صحة أو غنى {إلا ما شاء الله} استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب {لكل أمة أجل} يعني أن عذابكم له أجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان {إذا جاء} ذلك الوقت {أنجز} وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فإذا جاء آجالهم {بياتا} نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فإن قلت هلا قيل ليلا أو نهارا قلت لأنه أريد إن أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب وكذا

بياتا وهم نائمون {أو نهارا} وهم مشتغلون بطلب معايشهم الضمير في منه للعذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأي شيء يستعجلون منه ولا يجب أن يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فإن قلت بم يتعلق الاستفهام وأين جواب الشرط قلت تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه فإن قلت فهلا قيل ماذا يستعجلون منه قلت أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وإن أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك إن أتيتك ماذا تطعمني ثم يتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون {أثم إذا ما وقع آمنتم به} جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى {آلآن} على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به {وقد كنتم به تستعجلون} يعني وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا عطف على المضمر قبل آلآن {ويستنبئونك} ويستخبرونك فيقولون أحق هو وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء وقرأ الأعمش آلحق هو وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود وإي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق إيو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده {وما أنتم بمعجزين} بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة {ظلمت} صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة {ما في الأرض} أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها {لافتدت به} لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه {وأسروا الندامة لما رأوا العذاب} لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندامة والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها وإما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم

الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون

بهم وباخطائهم وقيل اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشيء
واشره اذا اظهره وليس هناك تجلد **وقضي بينهم** اي بين الظالمين والمظلومين دل
على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب المعاقب وما وعده
من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى جزائه
المرجع ليتحقق ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون **قد جاءتكم موعظة**
اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو شفاء اي دواء
لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق **ورحمة للناس** منكم اهل الكلام
قل بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا التكرير للتاكيد والتقرير
وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد
الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما
بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا وبذلك
فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
وقرئ فلتفرحوا لتاكيد وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلعم لتاخذوا مصافكم
قالها في بعض الغزوات وفي قراءة ابي فافرحوا هو راجع الى ذلك وقرئ مما تجمعون بالتاء
والياء وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلعم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام
وقيل بفضله الاسلام وبرحمته ما وعد عليه **ارأيتم** اخبروني وما انزل الله ما في موضع النصب
بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني **فجعلتم منه حراما وحلالا** اي انزله الله رزقا حلالا كله
فبعضتموه وقلتم هذه انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا **قل آلله اذن لكم** متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى
اخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله
في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل
اتفترون على الله تقرير للافتراء وكفى بهذه الاية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسال
عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جائز او غير جائز
الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله وحل يوم
القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما
يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرا
عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه واي ظن ظنوا يوم القيمة وجيء به على لفظ
الماضي لانه كائن فكان قد كان **ان الله لذو فضل على الناس** حيث انعم عليهم بالعقل

قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون

وما تكون في شان وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام **ولكن اكثرهم لا يشكرون** هذه النعمة ولا يتبعون
ما هدوا اليه **وما تكون في شان** ولا تكون في امر والخطاب لرسول الله صلعم والشان الامر واصله
الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في **منه** للشان لان تلاوة
القرآن شان من شان رسول الله صلعم بل هو معظم شانه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من
التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل **ولا تعملون**
جميعا **من عمل** اي عمل كان **الا كنا عليكم شهودا** شاهدين رقباء مطلعين عليه **اذ تفيضون فيه**
ما تاخذون فيه من الافاضة **وما يعزب** قرئ بالضم والكسر بمعنى وما يبعد وما يغيب ومنه
الروض العازب **ولا اصغر من ذلك ولا اكبر** القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب
على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة
او على لفظ مثقال فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه
شيء الا في كتاب مشكل فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبا عالم
الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض قلت حق السماء ان تقدم على الارض
ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك
قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم
التثنية **الا ان اولياء الله** الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك بقوله
الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه **لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة**
فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلعم سئل من اولياء الله فقال هم الذين
يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة
وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلعم يقول ان من عباد الله عبادا
ما هم انبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول
الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم
ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا
خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب او رفع على
المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم **البشرى** والبشرى في الدنيا
ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلعم الرؤيا الصالحة
يراها المسلم او ترى له وعنه صلعم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له
والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله صلعم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال
تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى

الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل
لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم

الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا

تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شانك ان العزة استئناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في مملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرئ ان العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكر من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا او شريكا ويدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا ظنهم انهم شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان تكون ما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان تكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وقرئ علي بن ابي طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي اي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظم قدرته ونعمته الشاملة العائدة التي تستحق بها ان يوحد بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما

ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات

وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم

ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مبصرا ليبصروا فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع متدبر مستبصر قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن مالكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه متاع في الدنيا اي افتراؤهم منفعة قليلة في الدنيا او ذلك حتى يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه والسلام بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما يقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او قيامي وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرئ وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم فان قلت كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره

من ربهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم

ومنها قوله علكم غمة في قرابين لله اي لاتستروا ولكن تجاهروا بي يعني ولا يكن قصدكم
الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهروني به ثم اقضوا الي ذلك الامر
الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي
ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلون ثم افضوا الي
بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي
وابرزوه لي فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من اجر فما كان
عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان
اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض
من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون
به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد به ان يجعل الحجة لازمة لهم
ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان
يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له
في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم
خلائف يخلفون الهالكين بالغرق فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير
لمن انذرهم رسول الله عن مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني
هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا فجاؤوهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم
فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم
عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق
فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع
مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم
ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به من بعدهم
من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر
ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا
ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا
فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا
لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا فان
قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا
قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون للحق اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان

تذعنوا له
وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض
ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه
في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين
كأنه قيل اتقولون ما تقولون يعني قولهم ان هذا السحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان يكون
جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان
به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله لتلفتنا
لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه اباءنا
يعنون عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون
بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات
مصعبا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك
ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى ان
تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين لكما فيما جئتما به
وقرئ بالياء ويكون لكما الكبرياء ما جئتم به ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر
اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على
الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم
به سحر وقرأ ابي ما اتيتم به سحر والمعنى لا ما اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر
بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن
يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره
ومشيئته فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة
من ذراري بني اسرائيل كأنه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه
خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية
مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع
الضمير في قوله وملئهم قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو
اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف
بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل
عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه
لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية ان كنتم آمنتم بالله صدقتم
به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل

فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا انك آتيت

الاسلام وهو ان يسلموا انفسهم لله اي يجعلوها لله سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص **لا** تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا تبوءا المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول امرهم مامورين بان يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع ثم وحد آخرا **قلت** خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها **الزينة** ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك **قلت** هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا ورد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم من عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعن النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قيل ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم احقاء بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه [illegible] على ما فاته من قبول نصيحته [illegible] عليه لانه رأى خلاعته واتباعه هواه ومحبته اشد على القلوب الا [illegible]

على الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما

سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل

مغلوبة لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرا الفضل الرقاشي ائنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم وقرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته **فاستقيما** فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا خمسين عاما ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة **ولا** تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعان طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وروي ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وقرا الحسن وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتق النجار **فاتبعهم** فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرا الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطا وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف آلآن اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق وقيل قال بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر **من** المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشا في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه **ننجيك** بالتشديد والتخفيف

وانا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون

ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا
حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

نلقيك بنجوة من الأرض وقرئ ننحيك بالحاء أي نلقيك بناحية
مما يلي البحر وذلك أنه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء إلى الساحل كأنه ثور
ببدنك في موضع الحال أي في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا
لم ينقص منه شيء ولم يتغير أو عريانا لست إلا بدنا من غير لباس أو بدرعك قال عمرو بن معديكرب
أعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد وكانت له درع من ذهب يعرف بها
وقرأ أبو حنيفة رحمه الله بأبدانك وهو على وجهين إما أن يكون مثل قولهم هوى بأجرامه
يعني ببدنك كله وافيا بأجزائه أو يريد بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها لمن خلفك آية لمن
وراءك من الناس علامة وهم بنو إسرائيل وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأنا من أن يغرق وروي
أنهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت أبدا وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله
على الساحل حتى عاينوه وكأن مطرحه كان ممر بني إسرائيل وقيل لمن خلفك لمن
يأتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن تظهر للناس عبوديته ومهانته وأن ما
كان يدعيه من الربوبية باطل محال وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك
آل أمره إلى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره أو لتكون عبرة تعتبر بها الأمم بعدك فلا يجترئوا
على نحو ما اجترأت عليه إذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف أي لتكون
لخالقك آية كسائر آياته ويجوز أن يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين
المغرقين لئلا يشتبه على الناس أمرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة إن مثله لا يغرق ولا
يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا أن ذلك تعمد منه لإماطة الشبهة
في أمرك مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا
فيه شعبا إلا من بعد ما قرءوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة
وعلموا أن الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني إسرائيل وهم
أهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وأنه هو أم ليس به بعد ما جاءهم العلم
والبيان أنه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما
يعرفون أبناءهم فإن قلت كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك
مع قوله في الكفرة وإنهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وإنهم لفي شك
منه مريب بإثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فإن كنت في شك بمعنى
الفرض والتمثيل كأنه قيل فإن وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا
فسل الذين يقرءون الكتاب والمعنى أن الله تعالى قدم ذكر بني إسرائيل وهم قرأة الكتاب
ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل

فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد

لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا
بآيات الله فتكون من الخاسرين إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون

وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ويبالغ في ذلك فقال فإن وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين
أن يسارع إلى حلها وإماطتها إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته وإما بمقادحة العلماء المنبهين
على الحق فسل علماء أهل الكتاب يعني أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك وعلمها بحيث
يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ
في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك
الحق من ربك أي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أن ما أتاك هو الحق الذي لا مدخل
فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله أي فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية
عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والإلهاب كقوله فلا تكونن
ظهيرا للكافرين ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة
عين ولا سأل أحدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب أمته ومعناه
فإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم كقوله وأنزلنا إليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع
ممن يجوز عليه الشك كقول العرب إذا عز أخوك فهن وقيل إن للنفي أي فما كنت في شك
فسل يعني لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد إبراهيم عليه السلام
بمعاينة إحياء الموتى وقرئ فسل الذين يقرءون الكتب حقت عليهم كلمت ربك ثبت عليهم قول الله
الذي كتبه في اللوح المحفوظ وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم
لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت قرية فهلا كانت قرية واحدة
من القرى التي أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعاينة ووقت بقاء التكليف
ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بمخنقه فنفعها إيمانها بأن يقبله الله منها لوقوعه
في وقت الاختيار وقرئ أبي وعبد الله فهلا كانت إلا قوم يونس استثناء من القرى لأن المراد
أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز أن يكون متصلا والجملة في
معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء
وقرئ بالرفع على البدل هكذا روي عن الجرمي والكسائي روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى
من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا
المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس إن أجلكم أربعون ليلة فقالوا إن رأينا
أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا
شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم

ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها
إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين

ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل
انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون

ويسعا بهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها
الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف
عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان
الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم
فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي
الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا
اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا
ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة
والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت تكره
الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وذلك غير مستطاع للبشر وما
كان لنفس يعني من النفوس التي علم الله انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف
ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المخذول
انها هي الذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان
رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ونجعل بالنون ماذا في السموات
والارض من الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم
لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية
ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما قالوا ايام العرب لوقائعها ثم ننجي رسلنا
معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك
الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك ننجي
المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض
يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننج بالتشديد يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم
في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا
فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها
من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريكم
انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وأمرت ان اكون من المؤمنين يعني ان
الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من
ديني وما انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في
امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار

فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين
ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين قل يا أيها الناس إن كنتم في شك
من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت

أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وإن يمسسك الله
بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء

الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان
اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان
وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر وان اقم عطف
على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو اما ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع
الفعل في تأويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان
عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ
الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ
سيبويه ان توصل بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان
الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة
غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من
الدين او من الوجه فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر
كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك
ان الشرك لظلم عظيم اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله
عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون
كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان اراد بك خيرا لم يرد احد ما يريده من فضله
واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذا بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ
من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات
رحمته فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني قلت كانه اراد ان يذكر
الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما
ولا مزيل لما يصيب منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة
في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من
عباده والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة
فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه
واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل
وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ
موكول الى امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واصبر على دعوتهم واحتمال
اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع

من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه
ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين

ويمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير

رسول الله صلى الله عليه [وسلم] الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني اي أمرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معوية حين قدم المدينة ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه [وسلم] يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معوية فما قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر اذا فقال عبد الرحمن بن حسان

الا ابلغ معوية بن حرب ... امير الظالمين نثا كلامي

بانا صابرون ومنظروكم ... الى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه [وسلم] من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أحكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير

ابني حنيفة احكموا سفهاءكم ... اني اخاف عليكم ان اغضبا

وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت آياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور ألا تعبدوا مفعول له على معنى لئلا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ

بالتوحيد

منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه [وسلم] اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هو صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان آمنتم فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ فان تولوا من ولى يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى ألا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ذلك ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالياء والتاء وعن ابن عباس ليثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثني كما يثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنأن افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل

الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير

الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وما من دابة في الارض الا على الله رزقها

وتعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم

قلت هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر
من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة
كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان
عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه
دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل كان الماء على متن الريح والله
اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام
كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان
يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن
شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم
يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز تعليق فعل
البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول
انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم فان قلت
كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال
المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم
الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله عز وجل من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم
تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله ولئن
قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ووجهه ان تكون من قولهم ائت السوق عنك تشتري لنا
لحما وانك تشتري بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين ما تبين القول ببطلانه ويجوز ان
يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان هذا الا امر باطل وان بطلانه كبطلان
السحر تشبيها له به او اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا
فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول
والساحر كاذب مبطل العذاب عذاب الآخرة او يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين
الى امة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب
والاستهزاء الا يوم ياتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس
وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها
اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به

مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون

ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ... فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك

يستهزئون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزئون موضع يستعجلون لان
استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره ولئن اذقنا الانسان
منا رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤس
شديد الياس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من
غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف من التقلب في نعمة
نساه ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه
الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا فان عادتهم ان نالتهم
رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم النعمة ان يصبروا كانوا يقترحون عليه ايات تعنتا
لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت اية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم
ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون
به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه
ويضحكون منه فحركه الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم
واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه
اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك ان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان
يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل
عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك
وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل
يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي
بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم
فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة
والجود الثابتين المستمرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما طامين غامين
في بعض القراءات وقول السمهري العكلي بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها
ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك كذا هو او لا تعشر سوركم بسورة واحدة كما يقول
المتباري في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد
اقتصرت منك على سطر واحد مثله يعني ائتوا له ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات
عنه العشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس هو من عند الله
هادهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا انني اختلقته من عند نفسي ولم يوح

ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين

فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون

الى ذلك الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب
فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون ما ياتون به
مثله وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان
مفترى فان قلت ما وجه الخطاب بعد افراده وهو قوله فاعلموا بعد قوله قل قلت
معناه فان لم يستجيبوا لكم وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم
وقد قال في موضع اخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه اخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين
والضمير في فان لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة
على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله
اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا
عند ذلك ان لا اله الا هو وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل
انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن
جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على
انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون نوف اليهم
نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة
والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك
ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل
وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك
بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على ان الفعل لله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم
بالتاء على البناء للمفعول وقراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله
يقول لا غائب مالي ولا حرم وحبط ما صنعوا فيها وصنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم
يريدوا به الاخرة وانما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا
يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له
وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان يكون ما ابهامية وينتصب
بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا
ما كانوا يعملون افمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة
اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا

اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما

اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين

واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان
ما الله اراد بشاهد من القران فقد تقدم ذكره ايضا ومن قبله ومن قبل القران كتاب
موسى وهو التورية اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القران كتاب موسى وقرئ
كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القران حق ويتلوه
ويقرأ القران شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب
موسى ويتلو من قبل القران التورية اماما كتابا موتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة
عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقران ومن
يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار
موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية بالضم وهما الشك منه من القران او من الموعد يعرضون
على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم
الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا او شريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فواخزياه وافضحاه
والاشهاد جمع شاهد وشهيد كاصحاب واشراف ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي
مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالاخرة واختصاصهم
به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد
عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم
وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ
يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له
كانوا لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه
لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي
ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا الهتهم اولياء من دون الله وولايتها
ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض
بوعيد خسروا انفسهم اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا
خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه
وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون لا يرى
ابين خسرانا منهم واخبتوا الى ربهم واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع
من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرزق

الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها

مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا

وقيل الثانية بدل من الاولى شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع
وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس
قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين
البصر والسمع على ان تكون الواو في الاعمى والاصم وفي البصير والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح
فالغانم فالآيب **هل** يستويان يعني الفريقين مثلا يعني تشبيها اي ارسلنا نوحا باني لكم نذير
ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار
فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول
ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة
بارسلنا او بنذير وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان **قلت** فاذا وصف به
العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم
وجد جده **الملا** الاشراف من قولهم فلان ملئ بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤوا بالامر لانهم
ملؤوا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم متمالئون اي متظاهرون متساندون
او لانهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة **ما نراك**
الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها
فيهم فقالوا هب انك واحد من الملا وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم
وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا **والاراذل** جمع ارذل
كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرئ **بادي الراي** بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك
اول الراي او ظاهر الراي وانتصابه على الظرف واصله وقت حدوث اول رايهم او وقت
حدوث ظاهر رايهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شي
عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتاخرهم في الاسباب الدنيوية
لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له
جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم
ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه
فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين في طلب
الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم
من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله **من فضل** من زيادة شرف علينا
تؤهلكم للنبوة **بل نظنكم كاذبين** فيما تدعونه **ارايتم** اخبروني ان كنت على بينة على برهان
من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده **بايتاء** البينة على ان البينة

بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون

ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون

في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فان **قلت** فقوله فعميت
ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا **قلت** الوجه ان يقدر فعميت
بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت
بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان **قلت** فما حقيقته **قلت** حقيقته
ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت
عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فان قلت
فما معنى قراءة ابي **قلت** المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت
تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم
على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين
وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم
اياها ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة
لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه
وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر الضمير في قوله
لا اسالكم عليه راجع الى قوله لهم اني لكم نذير مبين **ان لا تعبدوا الا الله** وقرئ وما
انا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل فان **قلت** ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم قلت
معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان
صحيح ثابت كما ظهر لي منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على
بادي الراي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم
حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية او هم
مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة **تجهلون** تتسافهون
على المؤمنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل
الجاهلينا او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه
ان طردتهم وكانوا يسالونه ان يطردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سوا
اعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول انا
اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي
بقولكم **وما نرى لكم علينا من فضل** ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء
او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم **ولا اقول اني ملك** حتى تقولوا لي ما انت الا بشر
مثلنا ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة

ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري

لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم إني إذا لمن الظالمين إن قلت شيئا
من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه وازرى به قصّر به يقال ازدرته عينه
واقتحمته عينه جادلتنا فأكثرت بمعناه أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك
جاد فلان فأكثر وأطاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل إنما يأتيكم به الله أي ليس الإتيان
بالعذاب إلا إليه إنما هو إلى من كفرتم به وعصيتموه إن شاء يعني إن اقتضت حكمته أن يعجله لكم
وقرأ ابن عباس فأكثرت جدلنا فأتنا فإن قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله إن
كان الله يريد أن يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما
دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط كقولك إن أحسنت إلي أحسنت إليك إن أمكنني فإن
قلت فما معنى قوله إن كان الله يريد أن يغويكم قلت إذا عرف الله من الكافر الإصرار
فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك إغواء وإضلالا كما أنه إذا عرف منه أنه يتوب ويرعوي
فلطف به سمي إرشادا وهداية وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم
فهلك ومعناه إذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه
وسائر ألطافه فكيف ينفعكم نصحي فعلي إجرامي وأجرامي على لفظ المصدر والجمع كقوله والله
يعلم إسرارهم وأسرارهم ونحو جرم وأجرام قفل وأقفال ويستصلح أن فسره الأولون بالآثام
والمعنى إن صح وثبت أني افتريته فعلي عقوبة إجرامي أي افترائي وكان حقي حينئذ أن تعرضوا
عني وتتألبوا علي وأنا بريء يعني ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى مما تجرمون من
إجرامكم في إسناد الافتراء إلي فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم لن يؤمن إقناط من إيمانهم
وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع إلا من قد آمن إلا من وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه
وقد للتوقع وقد أصابت محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال
ما يقسم الله أقبل غير مبتئس منه وأقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه
من تكذيبك وإيذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم بأعيننا في موضع
الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه أن تزيغ
في صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه ووحينا وأنا
نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه
أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك
واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك إنهم مغرقون إنهم محكوم عليهم بالإغراق
وقد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى الكف كقوله يا إبراهيم أعرض عن هذا
إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية

نعم دائمة ومن عملها السفينة وكان يعملها في برية بهماء في أبعد موضع من الماء وفي وقت
عزة الماء عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت
نبيا فإنا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة أي نسخر منكم سخرية مثل
سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل إن تستجهلونا فيما نصنع فإنا
نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال
منا أو إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم في استجهالكم لأنكم لا تستجهلون إلا عن جهل بحقيقة
الأمر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي أن نوحا عليه السلام
اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها
في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الأسفل
الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه
في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال
والنساء وعن الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى
عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب
فأخذ كفا من ذلك فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب بن حام
قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد
شاب فقال له عيسى عليه السلام أهكذا هلكت قال لا مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة
فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها
ستمائة وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للإنس وطبقة للطير
ثم قال له عد بإذن الله كما كنت فعاد ترابا من يأتيه في محل النصب بتعلمون أي سوف
تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق
ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم
وهو عذاب الآخرة حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء
فإن قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك أي وكان يصنعها إلى أن جاء
وقت الموعد فإن قلت فإذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت
هو حال من يصنع كأنه قال يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فإن
قلت ما جواب كلما قلت سخروا منه وقال إن تسخروا بدل من سخروا أو استئناف على
تقدير سؤال سائل أو تجعل سخروا بدلا من مر وصفه لملأ وقال جوابا وأهلك عطف على
اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله

وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا

ومن سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار
الكفر لا لتقديره عليه وارادته به له تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامرأته
الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم
وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا
وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال
ونصفهم نساء يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل باسم الله باركبوا
حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها
اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف
كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكان الاجراء والارساء وانتصابهما بما
في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون باسم الله مجراها
ومرساها جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة اي باسم الله اجراؤها وارساؤها ويروى انه
كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز
ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ
مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدر او وقت او مكان وقرأ مجاهد
مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله فان قلت ما معنى قولك
جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها
بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان يكون غير مقتضبة بان يكون في موضع الحال كقوله وجاؤوا
فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول
وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل لهم اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى
التقدير كقوله فادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته
اياكم لما نجاكم فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا
فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج
كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت
الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى فطبق ما بين السماء
والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها
في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول
ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرأ
علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء

ولا تكن مع الكافرين قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله

الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا ارض ابلعي ماءك

يريدان انهما اكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال
والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه
واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من اهل الكتاب
واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون
ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله صلعم وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت
منها الانبياء عليهم وقرئ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي قال يا ابناه والمعزل
مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن
مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه
من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا
او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة الا من رحم الا
الراحم وهو الله او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم
الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل
الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد
وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا
من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه
قيل لكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ
الا من رحم على البناء للمفعول نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ
التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض
ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة
على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه
فيها غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه
وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه
ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير
ريث فكما يرد عليهم امره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة
عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء غاضه
اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت
السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا
ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص

وياسماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين

بني الفعل للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء **قلت** اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء **ان ابني من اهلي** اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله **وان وعدك الحق** وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي **وانت احكم الحاكمين** اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبني من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل **انه عمل غير صالح** تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه

قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين

الصلاح لم تنفعه ابوته كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم أصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمى نداءه سؤالا ولا سؤال فيه **قلت** قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمى سؤاله جهلا قلت ان الله عز وجل قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه اني اعوذ بك ان اسألك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك **والا تغفر لي** ما فرط مني **وترحمني** بالتوبة علي **اكن من الخاسرين** اعمالا وروي يا نوح اهبط بسلام مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما **وبركات** ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان فيراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله **وامم** رفع بالابتداء و**سنمتعهم** صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤون ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء عليهم السلام والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم

قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم

تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون

وأهلهم ثم أخرج منهم نسلًا منهم من نجّاهم ومنهم من عذّب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود
وصالح ولوط وشعيب **تلك** إشارة إلى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها
أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك من
قبل هذا مثل إيحائي إليك وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي
أو من قبل هذا الوقت **فاصبر** على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع
في العاقبة لك ولمن كذبك كما تبين لنوح ولقومه **إن العاقبة للمتقين** في الفوز والغلبة
والنصر وقوله **ولا قومك** معناه أن قومك الذين أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم
إذا لم يكن ذلك شأنهم لا يسمعونه ولا يعرفونه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا
عبد الله ولا أهل بلده **أخاهم** واحدًا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحًا وهو
عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ
إن أنتم إلا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء ما من رسول إلا واجه
قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها إلا حسم المطامع وما دام
يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع **أفلا تعقلون** إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرًا إلا
من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك قيل **استغفروا ربكم** آمنوا
ثم توبوا إليه من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان **والمدرار** الكثير
الدرور كالمغزار وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة
لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصًا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج
شيء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها
من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل أراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل
حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم وفد على الحسن [illegible] معاوية فلما
خرج تبعه بعض حجابه فقال إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئًا لعل الله يرزقني
ولدًا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد
سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد
وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح
ويمددكم بأموال وبنين **ولا تتولوا** ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه
مجرمين مصرين على إجرامكم **ما جئتنا ببينة** كذب منهم وجحود كما قالت
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر **عن قولك** حال من
الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك **وما نحن لك**

يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين

قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء

بمؤمنين وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما تدعوهم إليه إقناطًا له من الإجابة **اعتراك**
مفعول نقول وإلا لغو والمعنى ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي جنون
لسبك إياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء ثم
تكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من أولئك أن يسموا
التوبة والاستغفار خبلًا وجنونًا وهم عاد أعلام الكفر وأوتاد الشرك وإنما العجب
من قوم من المتظاهرين بالإسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونًا والمنيب
إلى ربه مخبلًا ولم يعجبهم منه على غيره مما كانوا عليه في أيام جاهليته من المواخرة ومآكل
[illegible] إلا أن ينقض ويضيف من الزبد غة وأرادوا أن تطلع رأسه وقد
دلت أجوبتهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد لا يبالون بالبهت
ولا يلتفتون إلى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الأخير دال على جهل مفرط وبله
متناه حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم ولعلهم أجازوا العقاب كانوا لجبرين
ومن أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشًا إلى إراقة دمه
يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وأنه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم وكذلك
قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا إلي ولا تنظرون أكد براءته من آلهتهم وشركهم
ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة الله وشهادة العباد
فيقول الرجل الله شهيد على أني لا أفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء علي أني لا أفعله
فإن قلت هلا قيل إني أشهد الله وأشهدكم **قلت** لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك
إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما إشهادهم فما هو
إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف
ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه
اشهد علي أني لا أحبك تهكمًا به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من إشراككم
آلهة من دونه أو مما تشركونه من آلهة من دونه أي أنتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها
هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانًا **فكيدوني جميعًا** أنتم وآلهتكم أعجلوا ما تفعلون
من غير إنظار فإني لا أبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم علي وأنتم
الأقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي إلا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم
مني إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلني وتذهب بعقلي ولما ذكر توكله
على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته
عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والأخذ

مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم

فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا
إن ربي على كل شيء حفيظ ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم

نواصيها تمثيل لذلك **إن ربي على صراط مستقيم** يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف كان جزاء للشرط قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول **ويستخلف** كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجي بقوم اخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلفْ بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم **على كل شيء حفيظ** اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم او من كان رقيبا على الاشيا كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة الاف فان قلت فما معنى تكرير التنجية **قلت** ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ واشد منه وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم واثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا رسل الله لا نفرق بين احد من رسله وقيل لم يرسل اليهم الا هود وحده **كل جبار عنيد** يريد روساهم وكبراهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله والا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله ان اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا **قوم هود** عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه او لان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم **هو**

وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود

وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها
فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا

انشاكم من الارض لم ينشيكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاوهم منها خلق ادم من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا في حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي من انبيا زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معوية بن ابي سفين انه اخذ في احيا ارض في اخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القايل
ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا تكون له في الارض اثار
وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقا وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان تكون استعمر في معنى اعمر والثاني ان يكون كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعنى اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضا اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره **قريب** داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله قد كنت فينا **مرجوا** كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاونا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجوا ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه ما يعبد اباونا حكاية حال ماضية **مريب** من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفا الطمانينة او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قيل ان **كنت على بينة** من ربي حرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله **فما تزيدونني** اذا حينيذ **غير تخسير** يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملوني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون **اية** نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت باية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال **عذاب قريب** عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلثة ايام ثم يقع عليكم **تمتعوا** استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار

قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي
وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء
فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام

الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب فيه فاتسع
في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم
مشهود او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفي به فقد صدق ولم يكذب
او وعد غير مكذوب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة
بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن
كقوله على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت [illegible]
على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على
وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي
من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب
الغليظ بعذاب الآخرة وقرئ الا ان ثمود وثمودا كلاهما بالصرف وامتناعه
فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد
الملائكة عن ابن عباس جاء جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل
كانوا تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم
لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما
قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد
مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح
فما لبث ان جاء فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخشن بلغة
اهل السراة وكان مال ابرهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر
دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين نكرهم
نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن منكر
ومستنكر وانكرك وقال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب
والصلعا قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل
كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم
ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه
الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم
يعرف فيم ارسلوا واوجس فاضمر وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا اثر الخوف والتغير في
وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم
كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامرأته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر

تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة
وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها
منكرا لانكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا
ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر
على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء
يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود اي من
بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له أهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان
ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا له اسحق ومن وراء اسحق يعقوب
على طريقة قوله مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها والالف في يا ويلتا مبدلة من
الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل وشيخا نصب
دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا بعلي شيخ او بعلي
بدل من المبتدأ وشيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها تسعون
سنة ولابرهيم مائة وعشرون ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو
استغراب من حيث العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا
أتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات
فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وان
تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم
في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما
يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب
وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به
انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة
من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء
منهم وكلهم من ولد ابرهيم حميد فاعل ما يستوجب الحمد من عباده مجيد كريم كثير
الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم
اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى
انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة فان
قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا وقوله
يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا او فطن لمجادلتنا او

قال يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه

ثم اسند الفعل يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا هو جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية
الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل
معناه اخذ يجادلنا او اقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا
مهلكو اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها
قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم
ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله **في قوم لوط** في شانهم وعن ابن عباس قالوا له ان
كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة
فيهم خير وقيل كان فيها اربعة آلاف الف انسان **ان ابراهيم لحليم** غير عجول على كل
من اساء اليه **اواه** كثير التاوه من الذنوب **منيب** تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى
وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة
فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على
الاستغفار لابيه **يا ابراهيم** على ارادة القول اي قالت له الملائكة **اعرض عن هذا**
الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه **انه قد جاء امر ربك** وهو قضاؤه وحكمه
الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء
ولا غير ذلك كانت مساءة لوط وضيقه ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث
قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم
حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما
بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض
عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت
امراته فاخبرت بهم قومها يقال **يوم عصيب** وعصبصب اذا كان شديدا من
قولك عصبه اذا شده **يهرعون** يسرعون كانما يدفعون دفعا **ومن قبل**
كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مرنوا
عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم
حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك **هؤلاء**
بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن
وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة
بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان

ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي

قال يا قوم هؤلاء بناتي ... اليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك

مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان **هن اطهر لكم** بالنصب وضعفه
سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرأ هن اطهر بالنصب فقد
تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل
كقوله هذا بعلي شيخا او ينتصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل
هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا
يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون
هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا
فاتقوا الله بايثارهن عليهم **ولا تخزون** ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني
من الخزاية وهي الحياء **في ضيفي** في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل فقد خزي الرجل
وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة **اليس منكم رجل رشيد** رجل واحد يهتدي
الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان
يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهار الشدة امتعاضه مما اوردوا
عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور
الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا **لقد**
علمت مستشهدين بعلمه **ما لنا في بناتك من حق** لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا
عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان
عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق
قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على
وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة **ما نريد** عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه
من الشهوة جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال بمعنى لو ان لي بكم
قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة ما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به
يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او
اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن
من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك
لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ
او آوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة
وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين وروي انه اغلق بابه حين جاءوا وجعل يرادهم ما حكى
الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب

فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم
ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما جا امرنا جعلنا عاليها سافلها

قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك **لن يصلوا اليك** فافتح الباب ودعنا
واياهم ففتح الباب فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون
فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب
بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال عز وجل فطمسنا اعينهم فصاروا
لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا
اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على
ضرره **فاسر باهلك** بالقطع والوصل الا امراتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم
متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب
وقرئ الصبح بضمتين فان قلت ما وجه قراءة من قرا الا امراتك بالنصب قلت استثناها من قوله
فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ويجوز
ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا
بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر
ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه
فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها
واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين **جعلنا عاليها سافلها** جعل جبريل جناحه في اسفلها
ثم رفعها الى السما حتى سمع اهل السما نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم
واتبعوا الحجارة من فوقهم **من سجيل** قيل هي كلمة معربة من سنك وكل بدليل قوله
من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه لنرسل عليهم
حجارة من طين وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان **منضود** نضد
في السما نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا **مسومة** معلمة
للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما تعلم انها ليست من
حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به **وما هي من الظالمين**
ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلعم انه سال جبريل فقال يعني
ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة
وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم وسعد
بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السما وهي
مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شي لحوقا بالمرمي فكانها بمكان
قريب منه **اني اراكم** بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة

وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد والى
مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم

بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا
تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين

من الله حقيقة ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه
كقول مؤمن ال فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من
باس الله ان جانا يوم **محيط** مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان
قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم بها لان
اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه
منه كما اذا احاط بنعيمه فان قلت النهي عن النقصان امر
بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص
المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء
الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة الترغيب فيه والبعث عليه
وجي به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير
زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب
اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه
انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس
البخس قال زهير وفيما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم كانوا ياخذون
من كل شي يباع شيا كما تفعل السماسرة وكانوا يمكسون الناس وكانوا ينقصون
من اثمان ما يشترون من الاشيا فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة
والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض
بقيت الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم **ان كنتم
مؤمنين** بشرط ان تؤمنوا فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة
البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب
مع النجاة من العقاب وخفا فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر
وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم
مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يراد ما يبقى لكم عند الله من
الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله
من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى
رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتا وهي
تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح **وما انا عليكم بحفيظ** وما بعثت
لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا

وما انا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا

او ان نفعل في اموالنا ما نشا انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه

وقد اغربت حتى اندرنت كان شعيب عليه السلم كثير الصلوات وكان قومه اذا
راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك تامرك السخرية والهزؤ
والصلوة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلوة
تنهى عن الفحشا والمنكر وان قال الصلوة تامر بالجهل والمعروف كما قال تدعوا
اليه وسعت عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة امرة على سبيل
التهكم بصلاته وارادوا ان هذا الذي يامرنا به من ترك عبادة الاوثان باطل لا
وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك به امر فطنة فلم يبق
الا ان يامرك به امر هذيان وهو صلواتك التي تداوم عليها
في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع بها المجانين والموسوسون
من بعض الاقوال والافعال ومعنى تامرك تكلف ان نترك ما يعبد اباونا
فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلاتك
بالتوحيد وقرئ بن ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما تشا بالتا الخطاب فيهما وهو ما
كان يامرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير
وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لا
لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم
بالشحيح الذي لا ينض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف
بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما يامرك به لا يطابق حالك وما شهرت به ورزقني
منه اي من لدنه رزقا حسنا وما هو رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا
طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب ارايتم وماله لم يثبت كما ثبت في قصة
نوح ولوط قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه
ومعنى الكلام عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على
الحقيقة ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبيا لا
يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه
اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الما فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني
الى الما يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها
لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ان اريد الا ان اصلحكم بموعظتي
ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي

ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح

للاصلاح ومادمت متمكنا فيه لا آلوه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي
استطيعه منه ويكون ان تكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح صلاح
ما استطعت او مفعول له كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي ما اريد الا ان اصلح ما
استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق
فيما اتي واذر ووقوعه موافقا لرضا الله الا بهدايته ومعونته وتاييده والمعنى انه استوثق
ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد
للكفار وحسم لاطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين
تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا
ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة
العذاب وقرى ابن كثير بضم اليا من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو
منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبته المال من كسب المال وكما
لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه كذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته
اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح لفظا كما
ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب
الموثوق بعربيتهم اذ ورد لهم له اكثر استعمالا وقرا ابو حيوة ورويت عن نافع مثل
ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت
وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في قرب من عهدكم وهم اقرب
الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك
فان قلت فالبعيد لم رد على ما تقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه قلت
اما ان يراد وما اهلاكهم بشيء بعيد او ما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان
بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمونث لورودها
على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين
فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال ما نفقه ما
نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية
له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفقهونه ولكنهم
لا يعبؤون به فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول
الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا
وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان

وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز

قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط
ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب

[...] فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا أعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لأن فينا يأباه ألا ترى أنه لو قيل إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم **رهطا** والرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة وإنما قالوا ولولا هم احتراما لهم واعتدادا لأنهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة **وما أنت علينا بعزيز** لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال في جوابهم أرهطي أعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فإن قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وأنهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح قوله أرهطي أعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى إلى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله **واتخذتموه وراءكم ظهريا** ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة إلى الأمس إمسي **بما تعملون محيط** قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها **على مكانتكم** لا تخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها إني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز أن تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وأن تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فإن قلت أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت على مكانتك فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة

وارتقبوا إني معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا
وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا

كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه **وارتقبوا** وانتظروا العاقبة وما أقول لكم **إني معكم رقيب** أي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فإن قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن يقول من **يأتيه عذاب يخزيه** ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فإن قلت ما بال الساقتين قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الأخريان فلم تقعا بتلك المثابة وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كالله يعني أن جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا **كأن لم يغنوا** كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله كما بعدت وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب إلا أنهم أرادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمي جاءت على الأصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها **بآياتنا وسلطان مبين** فيه وجهان أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لأنها أبهرها وما أمر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد فمثله بمعزل من الإلهية ذاتا وأفعالا **فاتبعوه** وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته **والأمر** الرشيد الذي فيه رشد وهدى وما في أمره رشد إنما هو غي مبين وضلال ظاهر مكشوف وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلام وعلموا أن معه

كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاتبعوا
أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد

يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة
ويوم القيمة بئس الرفد المرفود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد

الرشد ولكونهم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط **يقدم قومه**
اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز
ان يريد بقوله **وما امر فرعون برشيد** وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله
يقدم تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد مستعمل
في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه
ومنه قادم الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى
تقدم ومنه مقدم العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ
الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم **فيوردهم
النار** لا محالة والورد المورود الذي ورده شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى
الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل **بئس الورد** الذي ترده النار لان الورد انما
يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده **واتبعوا في هذه الدنيا لعنة**
اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الاخرة **بئس الرفد المرفود** رفدهم اي بئس العون المعان
وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الاخرة وقيل
بئس العطاء المعطى **ذلك** مبتدا من انباء القرى نقصه **عليك** خبر بعد خبر اي ذلك
النبا بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى اي بعضها باق
وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فان قلت ما محل هذه الجملة
قلت هي مستانفة لا محل لها **وما ظلمناهم** باهلاكنا اياهم ولكن **ظلموا انفسهم** بارتكاب
ما به اهلكوا **فما اغنت عنهم الهتهم** فما قدرت ان ترد عنهم باس الله **يدعون** يعبدون
وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته **تتبيب**
تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اذا اوقعه في الخسران محل الكاف الرفع تقديره ومثل
ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرا وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ
اذ اخذ القرى **وهي ظالمة** حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ
وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها
بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه
الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال **ذلك** اشارة الى ما قص الله من
قصص الامم الهالكة بذنوبهم لاية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله
بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الاخرة فاذا راى عظمته وشدته
اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى

وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك
وما زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد

ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل

والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الاخرة
دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له
الناس فان قلت لاي فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول
من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع
الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس
وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه
من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم
يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى **مجموع له** يجمعون لما فيه من
الحساب والثواب والعقاب **يوم مشهود** مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه
مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اي يشهد فيه الخلائق الموقف
لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام
محضور قال في مجلس من نواصي الناس مشهود فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم
مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم
الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالعظم وتميزه بين الايام فان جعلته
مشهودا في نفسه فسائر الايام مشهودات كلها ولكن جعل مشهودا فيه حتى يحصل
التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم
يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع يشهدها كل من يشهده وكذلك
قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير
في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما
حاضرا في الوطن في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما
يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر والاجل يطلق على مدة التاجيل كلها
وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل اخره ويقولون حل الاجل فاذا جا
اجلهم يراد اخر مدة التاجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله
وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما
يؤخره بالياء **يوم يات** بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف
الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل ياتي ما هو قلت
الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله او ياتي ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرا وما يؤخره
بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى ان تاتيهم

يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار

لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد

فان قلت بم انتصب الظرف قلت اما بلا تكلم واما باضمار اذكر واما
بالانتها المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي فان قلت فاذا
جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشي بنفسه
قلت المراد اتيان هوله وشدائده **لا تكلم** لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تاتي كل نفس تجادل
عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم
طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام
فلا يوذن لهم وفي بعضها يوذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتتكلم
ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكر لان ذلك معلوم ولان
قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي
وجبت له النار لاساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه وقرأ العامة
... الزفير اخراج النفس والشهيق
رده قال الشماخ
بعيد مدى التطريب اول صوته ... زفير ويتلوه شهيق محشرج
ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما
ان يراد سموات الاخرة وارضها وهي مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا
قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ
من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او
يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثاني ان يكون عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع
كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التابيد
فان قلت فما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة في الابد
من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة
وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع
من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم
وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل
موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما
يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء
والدليل عليه قوله تعالى عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال

واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ

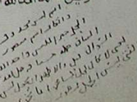
فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك

لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له
فتامله فان القران يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء
خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل
بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله
بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعدما
يلبثون احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار
لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية
الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه
انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول
ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن
تسيير هذا الحديث **غير مجذوذ** غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله
لهم اجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم
من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل اليك من
هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما
يعبد اباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد
بلغك ما نزل بابائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية
وما في مما وكما يجوز ان يكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون
من الاوثان ومثل ما يعبدون منها **وانا لموفوهم نصيبهم** اي حظهم من العذاب
كما وفينا اباءهم انصباءهم فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى
قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه
وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا فاختلف فيه **امن به** قوم وكفر به قوم كما
اختلف في القران **ولولا كلمة** يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم
بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا **وان كلا** التنوين
عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه **ليوفينهم**
جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم
والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا
بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرأ

لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير

فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون

أو وإن كلًّا لما ليوفينهم على أن بأنية ولما بمعنى إلا وقراءة عبد الله مفسرة لها وإن
كلٌّ إلا ليوفينهم وقرى الزهري وسليمن بن أرقم وإنّ كلًّا لمًّا ليوفينهم بالتنوين
كقوله أكلا لمًّا والمعنى وإن كلًّا ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل وإن كلًّا
جميعًا كقوله فسجد الملئكة كلهم أجمعون **فاستقم** كما أمرت
فاستقم استقامة مثل التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن
تاب معك معطوف على المستتر في استقم وإنما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل
لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ولا
تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله إنه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه
وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت على رسول الله صلعم في جميع القرآن آية كانت
أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة وأخواتها
وروي أن أصحابه قالوا له لقد أسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم
رأيت رسول الله صلعم في النوم فقلت له روي عنك أنك قلت شيبتني هود فقال نعم
فقلت ما الذي شيبك منها أقصص الأنبياء وهلاك الأمم قال لا ولكن قوله
فاستقم كما أمرت وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما أمرت
قال افتقر إلى الله بصحة العزم قرئ **ولا تركنوا** بفتح الكاف وضمها مع
فتح التاء وعن أبي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم وكسرهم حروف المضارعة
إلا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء
وقرأ ابن أبي عبلة ولا تُركَنوا على البناء للمفعول من أركنه إذا أماله والنهي يتناول
للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم
والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم
بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله تعالى ولا تركنوا فإن الركون هو الميل اليسير وقوله
إلى الذين **ظلموا** أي إلى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين وحكي أن الموفق
صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن
إلى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا
ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب أخ له في الدين إليه عافانا الله وإياك
أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك
أصبحت شيخًا كبيرًا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه
وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه



وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين

واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك
ممن لم يؤد حقًّا ولم يترك باطلًا حين أدناك اتخذوك قطبًا تدور عليك رحى باطلهم
وجسرًا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلمًا يصعدون فيك إلى ضلالهم يدخلون الشك بك
على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما
أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم
فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا فإنك تعامل من
لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر
السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا
يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك وعن الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور
عاملًا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله
صلعم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على
الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت **وما لكم
من دون الله من أولياء** حال من قوله فتمسكم النار أي فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال
ومعناه وما لكم من دون الله من أولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم
منه غيره **ثم لا تنصرون** ثم لا ينصركم هو لأنه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الإبقاء
عليكم فإن **قلت** فما معنى ثم **قلت** معناها الاستبعاد لأن النصرة من الله
مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له **طرفي النهار** غدوة وعشية **وزلفا
من الليل** وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه وازدلف
إليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء
وانتصاب طرفي النهار على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار
وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف
إليه ونحوه **وأطراف النهار** وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن
قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين
نحو يسر في يسر والزلفى بمعنى الزلفة كما أن القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر
النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربًا من الليل وحقها على هذا التفسير أن تعطف
على الصلوة أي أقم الصلوة طرفي النهار وأقم زلفا من الليل على معنى وأقم صلوات تتقرب
بها إلى الله عز وجل في بعض الليل **إن الحسنات يذهبن السيئات** فيه وجهان أحدهما أن يراد
تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث إن الصلوة إلى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت

واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا

الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكون لطفا في تركها كقوله ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع
التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته
فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه
فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها
كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى
عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله صلى الله عليه فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس
عامة فقال للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه قال له توضأ وضوءا
حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات **ذلك** اشارة الى قوله فاستقم فما
بعده **ذكرى للذاكرين** عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة
التذكير وهذا الكر لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه
قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به
والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به **فان الله لا يضيع اجر المحسنين** جاء بما هو
مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر
وغير ذلك من الحسنات **فلولا كان من القرون** فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لو
في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات
لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم **اولو بقية** اولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان
الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان
من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة فما علي بذنب عندكم فوت
ان تذنبوا ثم تأتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز
ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو
ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولو بقية بوزن لقية
من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله والبقية المرة من مصدره
والمعنى فلولا كان منهم اولو مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون
ايقاعه بهم لاشفاقهم **الا قليلا** استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من
القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون
للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل

انجينا

ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة

انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا فان **قلت** هل لوقوع هذا
الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه **قلت** ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان
المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا القليل من
الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من
المحضضين على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم عن النهي عن الفساد الا القليل من
الناجين معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرآن اولو بقية الا قليلا كان
استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح
ان يرفع على البدل **واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه** وسوا اراد بالذين ظلموا تاركي
النهي عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم
والترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنيء ورفضوا ما وراء
ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني
واتبعوا جزاء **ما اترفوا فيه** ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء
اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك
سائرهم فان قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت ان كان معناه واتبعوا
الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد
واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان المعنى واتبعوا جزاء
الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فان
قلت فقوله وكانوا مجرمين قلت على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان
تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم
وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم
مجرمون كان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى
واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها **واهلها** قوم مصلحون تنزيها لذاته
عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه
لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم
ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر **ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة** يعني
لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام
كقوله ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه

ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة
والناس أجمعين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق

لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس
التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون
مختلفين إلا من رحم ربك إلا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق
غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأول
وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم
ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمات
ربك وعيده أو قوله للملائكة لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين لغلبة كثرة
من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف إليه كأنه قيل وكل نبإ نقص عليك
من أنباء الرسل بيان لكل ما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز أن يكون المعنى
وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك يعني
على الأساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه
وما فيه طمأنينة قلبه لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم وجاءك في
هذه الحق أي في هذه السورة أو في هذه الأنباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة
وذكرى وقل للذين لا يؤمنون من أهل مكة وغيرهم اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي
أنتم عليها إنا عاملون وانتظروا بنا الدوائر إنا منتظرون أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله
من النقم النازلة بأشباهكم ولله غيب السموات والأرض لا يخفى عليه خافية
فاعبده وتوكل عليه فإنه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما
تعملون بالتاء على تغليب المخاطب عن رسول الله صلعم من قرأ سورة هود
أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بهود ومن كذب به ونوح وصالح
وشعيب ولوط وإبرهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء

سورة يوسف مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك إشارة إلى آيات السورة وهي المراد بالكتاب المبين أي السورة أي تلك الآيات
التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم
أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التي لا تشتبه
على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة
يوسف فقد روي أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل

وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون
ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا
لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت

يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف إنا أنزلناه أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه
قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمي البعض قرآنا لأن القرآن اسم جنس يقع
على كله وبعضه لعلكم تعقلون إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس
عليكم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته نحن نقص عليك القصص على وجهين يكون
مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا
إذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنقض والحسب ويكون النبأ والخبر في معنى المنبأ
والمخبر به ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فإن أريد
المصدر فمعناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص بما أوحينا إليك هذا القرآن
بإيحائنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لإضافته إليه ويكون
المقصوص محذوفا لأن قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز أن
ينصب هذا القرآن بنقص عليك كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا
القرآن بإيحائنا إليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأحسن أسلوب
ألا ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه
في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن وإن أريد بالقصص المقصوص فمعناه
نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث وإنما كان أحسنه لما يتضمن من العبر
والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر أنه أحسن ما يقص في بابه
كما يقال في الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد في فنه فإن قلت مم اشتقاق القصص
قلت من قص أثره إذا اتبعه لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما
يقال تلا القرآن إذا قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وإن كنت
إن مخففة من الثقيلة واللام التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع إلى قوله بما
أوحينا والمعنى وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عنه أي من
الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه إذ قال يوسف
بدل من أحسن القصص وهو بدل الاشتمال لأن الوقت مشتمل على القصص وهو
المقصوص فإذا قص وقته فقد قص أو بإضمار اذكر ويوسف اسم عبري وقيل
عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فإن
قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال
هو عربي لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل من آسف وإنما منع الصرف للتعريف
ووزن الفعل قلت لا لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية

إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم

فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات
الثلث ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس واونس وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن
اسحق بن ابرهيم عليهم السلام يا ابت قرئ بالحركات الثلث فان قلت ما هذه التا
قلت تا التانيث وقعت عوضا من يا الاضافة والدليل على انها تا تانيث قلبها ها في الوقف
فان قلت كيف جاز الحاق تا التانيث بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة
ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تا التانيث من يا الاضافة
قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في
آخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل اليا في قولك يا ابي
قد زحلقت الى التا لاقتضا تا التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة
لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التا وتبقى التا ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم
والاسما حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين اليا واصلها ان تحرك
تخفيفا لانها حرف لين واما التا فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت
يشبه الجمع بين التا وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم
اليا اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوز يا ابت قلت اليا والكسرة قبلها شيئان
والتا عوض من احد الشيئين وهو اليا والكسرة غير متعوض لها فلا يجمع بين العوض
والمعوض منه الا اذا جمع بين التا واليا لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف
فيه بدلا من اليا كيف جاز الجمع بينها وبين التا ولم يعد ذلك جمعا بين العوض
والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام
على الاضافة لانها قرينة اليا ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتا المعوضة
لغو ووجودها كعدمها قلت بل حالها مع التا كحالها مع اليا اذا قلت يا ابي فان قلت
فما وجه من قرئ بفتح التا وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة
قبلها كما فعل من حذف اليا في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة اليا المعوض منها
في قولك يا ابي واما من ضم فقد رآها اسما في حرف تانيث فاجراها مجرى الاسما المؤنثة
بالتا فقال يا ابت كما تقول يا تبة من غير اعتبار لكونها عوضا من يا الاضافة
وقرئ اني رايت بتحريك اليا واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات
فيما هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان
ورايت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا

مع الكواكب ساجدة ليوسف في حالة اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام
ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسما تلك الكواكب قلت روى جابر ان
يهوديا جا الى النبي صلعم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف فسكت رسول
الله صلعم فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال النبي صلعم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال
نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح
والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلت
من السما وسجدت له فقال اليهودي اي والله انها لاسماها وقيل الشمس والقمر
ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع
سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا
عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر
هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن اثني عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها
على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف
ومصير اخوته اليه اربعين سنة وقيل ثمانون فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت
اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما
بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما
عليها لذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر
فان قلت ما معنى تكرار رايت قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير
سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا
كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين فان قلت فلم اجريت مجرى
العقلا في رايتهم لي ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلا وهو السجود
اجرى عليهم حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشي الشي من بعض
الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب
عليه السلام دلالة الرؤيا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة
وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل باباءه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا
بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما
بحرفي التانيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي
رياك ورياك بالادغام وضم الرا وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة
فلا تقوى ادغامها كما لم تقوى الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر

اتزر ... واتجر من الاجر

فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على

وليكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك فان قلت هلا قيل
فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى الكيد
مع افادة الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا
ترى الى تاكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم ولقوله لاقعدن
لهم صراطك المستقيم فهو يحملهم على الكيد والمكر وكل شر ليورطهم من اجله ولا يؤمن
ان يحملهم على مثله وكذلك مثل ذلك الاجتبا يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك
لهذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شان كذلك يجتبيك لامور
عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو
يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتبا الاصطفا افتعال من جبيت الشي اذا حصلته
لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث الرؤيا لان الرؤيا اما حديث نفس
او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعلم الناس بعبارة الرؤيا
واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبيا وما
غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم
على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله
وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فباي حديث بعده يؤمنون الله نزل
احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم
انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الاخرة بان جعلهم انبيا وملوكا ونقلهم عنها
الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابرهيم بالخلة والانجا من النار ومن ذبح الولد
وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه
وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبيا استدلالا بضوء الكواكب فلذلك
قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان
يسجد له اخوته حتى سجد له ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة
لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة
فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه
على يعقوب قال هذا امر متشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله
وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له
خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحايك ولا آل الحجام ولكن اهلهما واراد
بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب على الاضافة ومن ثم يقولون ابن فلان

ابويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال

وان كان بينه وبين فلان عدة وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم
من يحق له الاجتبا حكيم لا يضع نعمته الا على من يستحقها في يوسف واخوته اي في
قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله عز وجل وحكمته في كل شي
للسائلين لمن سال عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سالوه
من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وفي
بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته
عليه لما راى من بغي قومه عليه ليتاسى به وقيل اسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون
ولاوي وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد وآشر السبعة الاولون
كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الاخرون من سريتين زلفة وبلهة
فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف ليوسف اللام
لام الابتدا وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت
لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت
واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين
المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع التعريف فاذا اضيف جاز
الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما
اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم
بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا
لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة
فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون
النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه
ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري عمته اي
يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا
على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون
كانوا راضين فجعلوا آمرين ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران
وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب
الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة واحدة ولا يلتفت
عنكم الى غيركم والمراد بسلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها
فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشي اقبل بوجهه

مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين

والقوم في غيابات الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا
يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب

ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم
من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب
او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه
او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده
بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطف على يخل لكم واما منصوب باضمار
أن والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا
وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم القوه في غيابة الجب في قعره وغوره
وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله قال المنخل
فان انا يوما غيبتني غيابتي اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات
بالتشديد وقرئ في الجب وهي غيبة والجب البئر لم تطو لان الارض تجب جوبا لا غير يلتقطه
ياخذه بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء
على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم
ومنه ذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم
فهذا هو الرأي ما لك لا تأمنا قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام
وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه
وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وارادوا بذلك لما عزموا على
كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه عنهم وفيه دليل على انه احس منهم
بما اوجب ان لا يأمنهم عليه نرتع نتسع في اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة
الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي ويرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته
وقرئ الغلام بان يرتع بكسر الغين ويلعب بالرفع على الابتداء فان قلت كيف استجاز
لهم يعقوب عليه السلام اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم
بما يحتاج اليه لقتال العدو ولا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه
في صورته ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره
سيبويه من شبهي المضارعة اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته
اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب اذا
غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم يصدق بحفظه عنايتهم وقيل
رأى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم
العلة وفي امثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذيب بالياء على الاصل

وتشرق بالقول الذي قد اذعته

وانا له لحافظون قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم

عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به
واجمعوا ان يجعلوه في غيابات الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم
لا يشعرون

وقيل اشتقاقه من تعصبت الريح اذا اتت من كل جهة القسم محذوف تقديره والله لئن اكله
الذئب واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط
والواو في ونحن عصبة للحال حلفوا لئن كان ما خافه من خطفة الذئب اخاهم من
بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم
خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء
عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال
خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ
بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فان قلت فقد اعتذر اليهم بعذرين
فلم اجابوا عن احدهما دون الاخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين
فاعاروه آذانا صما ولم يعبأوا به ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر
وازمعه فاجمعوا امرهم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل هو
بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب
لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية
اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه
الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد
الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق
بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال
يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها
القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي
فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم
يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم صلوات الله عليه حين القي
في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم
الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل فاخرجه فالبسه
اياه واوحينا اليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك
مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما
اوحى الله اليه ليؤنسه في الظلمة والوحشة ويبشره بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن مما
انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شأنك

وجاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون

وكبريا سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم ولطول العهد المبدل للهيآت والأشكال وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم **وهم له منكرون** دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لأبيكم أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بقوله وأوحينا على أنا آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ويحسبون أنه مرهق مستوحش لا أنيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على أنه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق بأوحينا لا غير وعن الحسن **عشيا** على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا وأصيلا وأصيلانا وروى ابن جني عُشًا بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي أن امرأة حاكمت إلى شريح فبكت فقال له الشعبي يا أبا أمية أما تراها تبكي قال قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لأحد أن يقضي إلا بما أمر أن يقضي به من السنة المرضية وروي أنه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم وأين يوسف **قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق** أي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو أو في الرمي وجاء في التفسير ننتضل **بمؤمن لنا** بمصدق لنا **ولو كنا صادقين** ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا **بدم كذب** ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه

فهن به جود وأنتم به بخل

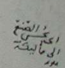
وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز أن يكون مفعولا له وقرأت عائشة كدب بالدال غير المعجمة أي كدر وقيل طري وقال ابن جني أصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على أظفار الأحداث كأنه دم قد أثر في قميصه وروي أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه وروي أن يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر فإن قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كأنه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال فإن قلت هل يجوز أن تكون حالا

وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشراي هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس

فقدمه لأن حال المجرور لا يتقدم عليه **سولت** سهلت من السول وهو الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم **أمرا** عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في أعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص أو أوحي إليه بأنهم قصدوه **فصبر جميل** خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أمثل وفي قراءة أبي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع أنه الذي لا شكوى فيه إلى الخلق ألا ترى إلى قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وقيل لا أعايشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله تعالى إليه يا يعقوب أتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها **والله المستعان** أي أستعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه **وجاءت سيارة** رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الجب فأخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين ألقي فيه يوسف فأرسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم **يا بشراي** نادى البشرى كأنه يقول تعالي فهذا من آونتك وقرئ يا بشراي على إضافتها إلى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان الألف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الإضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت أهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي ومولي وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده إلا أن يقصد الوقف قيل **فأدلى دلوه** أي أرسلها في الجب فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون فقال يا بشراي **هذا غلام** وقيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به **وأسروه** الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة وقيل أخفوا أمره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس أن الضمير لإخوة يوسف وأنهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه **بضاعة** نصب على الحال أي أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة أي قطع **والله عليم بما يعملون** لم يخف عليه أسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم أو والله عليم بما فعل إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع ۝ **وشروه** وباعوه **بثمن بخس** مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا أو زيف

دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذي اشتراه من مصر لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض

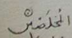
ناقص العيار ودراهم بدل من بخس معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون
الا ما بلغ الاوقية وهي اربعون ويعدون ما دونها فقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة
تمنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين
وعشرين درهما وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن
لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بم باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق
ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه
واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا
ان يخطروا بمالهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق
وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا تراك لا تقول
وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه وقال
الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك
يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد امن بيوسف ومات في حياة يوسف
فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز
وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد
وهو ابن ثلاثين سنة واتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلاثين سنة وتوفي
وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة
سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون
يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه
السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا
فابتاعه قطفير بذلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما
اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقده بالاحسان
والتعهد بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا
ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امراة يراد هل تطيب
نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامراته متعلقة بقال
لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر
به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتخذه ولدا نتبناه ونقيمه مقام الولد
وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس
الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى



من تاويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب

ان ينفعنا والمراة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف
عمر رضي الله عنهما وروي انه سالها عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك اشارة
الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك
الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض
مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان
ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله غالب على
امره اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره
لا يكله الى غيره فقد اراد اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون
وثلث وثلثون واربعون وقيل اقصاه اثنان وستون حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب
ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه
كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله اتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه
وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته اتاه الله الحكمة في اكتهاله وراودته
مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت
ما يفعل المخادع لصاحبه على الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلب
عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل
كانت سبعة قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط
وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيا وهئت لك واللام
من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك
معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان والحديث ربي سيدي ومالكي يريد
قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله
بسوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل
الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد بقوله ربي الله تعالى لانه مسبب
الاسباب همت به قصدت بالامر اذا قصده وعزم عليه قال همت ولم افعل وكدت
وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا
ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه
ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله
ولقد همت به معناه همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه

وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا



واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت

جواب محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها فحذف لأن قوله وهم بها يدل عليه
كقولك هممت بقتله لولا أني خفت الله معناه لولا أني خفت الله لقتلته فإن قلت كيف
جاز على نبي الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد إليها قلت المراد أن نفسه مالت
إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد إليه
وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده
بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك
الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لأن استعظام
الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه
من عباده المخلصين ويجوز أن يريد بقوله **وهم بها** وشارف أن يهم بها كما يقول
الرجل قتلته لو لم أخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه فإن **قلت** قوله
وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به أم هو خارج منه **قلت** الأمران جائزان
ومن حق القارئ إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يقف على قوله
ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وفيه أيضا إشعار بالفرق بين
الهمين فإن **قلت** لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب
مقدما **قلت** لأن لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل أنه في حكم الشرط وللشرط صدر
الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على
بعض وأما حذف بعضها إذا دل الدليل عليه فجائز فإن قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها
وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لأن الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن
بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون إلا من اثنين معا فكأنه قيل ولقد
هما بالمخالطة لولا أن منع مانع أحدهما **قلت** نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين
على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان إغفاله إغفاله فوجب أن يكون
التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على أن المراد بالمخالطتين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء
شهوتها منه وتوصله إلى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا أن رأى برهان ربه
فترك التوصل إلى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بأن تعلق بهم بها وحده
وقد فسر هم يوسف بأنه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبأنه حل تكة سراويله
وقعد بين شعبها الأربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بأنه سمع صوتا إياك
وإياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به وسمع ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه
حتى مثل له يعقوب عاضا على أنملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله

مخطوف من يشبه
أي ميلا كما تقتضيه
صورة تلك الحال
وهي أن المرأة
البديعة الجمال
إذا دعت الشاب
البالغ حد الكمال
في خلوة لا يدري
بها أحد فهي شهوة
النفس والدليل

الهميان شيء
يشد به الوسط وقيل
تكة السراويل

الشعب الأربع
من اليدين والرجلين

وقيل كل

وقيل كل ولد يعقوب اثنا عشر ولدا إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما
نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما
زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن
عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة
وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فيه فقال الله
لجبريل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء
وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة إلى صنم كان هنالك
فسترته وقالت أستحيي أن يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيي من السميع
البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله
وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت
من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم صلوات
الله عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم
كيف وقد أثني عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض وأنه
جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من
الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق
لها ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في
الآخرين كما جعله لجده الخليل إبراهيم وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب
الإزار والتثبت في مواقف العثار فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون إنزال
الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدى بنبي من أنبياء الله في القعود
بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به
من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه
بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا
ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأشطرهم
وأحدهم حدقة وأجلحهم وجها لقي بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكر لما بقي له عرق
ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه كذلك
الكاف منصوب المحل أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو مرفوعه أي الأمر مثل ذلك لنصرف
عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء من الزنا إنه من عبادنا المخلصين الذين أخلصوا دينهم
لله وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم ويجوز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة

الذين دينهم بهت الله

الدحض الذي
يزحض فيه الأقدام
أي تزلق

من القبح والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين اي هو ناشي منهم لانه من ذرية ابرهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة **واستبقا الباب** وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج فان قلت كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار فقد روي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب **وقدت قميصه من دبر** اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه **والفيا سيدها** وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المراة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمراة لما اطلعت منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها بين غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها كرها لما ايست من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا **قلت** قصدت العموم وان كل من **اراد باهلك سوءا** فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل **العذاب الاليم** الضرب بالسياط ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال **هي راودتني عن نفسي** ولولا ذلك لكتم عليها **وشهد شاهد من اهلها** قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فان قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ان دل قد قميصه من دبره على انها كاذبة

وانها هي التي اتبعته واجتذبت ثوبه فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرا من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئ بسكون العين فان قلت كيف جاز الجمع بين ان الذي للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه كقولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن عليك **فلما راى** يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها **قال انه** ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف **من كيدكن** الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء **ان كيدكن عظيم يوسف** حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله **اعرض عن هذا** الامر واكتمه ولا تحدث به **واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين** من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة **وقال نسوة** وقال جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امراة العزيز يريدون قطفير والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي **شغفها** خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة
وقد حال هم دون ذلك داخل ... دخول الشغاف تبتغيه الاصابع
وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوءة الرجل الطالي **انا لنراها في ضلال مبين** في خطا وبعد عن طريق الصواب **بمكرهن** باغتيابهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب

أرسلت إليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم

مكرًا لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فأفشينه
عليها **أرسلت إليهن** دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات **وأعتدت**
لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات
والسكاكين في أيديهن أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن
على أيديهن فيقطعنها لأن المتكئ إذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد أن يقصد الجمع
بين المكر به وبهن بتهيئة الخناجر في أيديهن ليقطعن أيديهن فتبكتهن بالحجة
ولتهول يوسف من مكرها إذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر توهمه
أنهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب
والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي أن يأكل الرجل متكئا وآتين السكاكين ليعالجن
بها ما يأكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية
لأن من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل
فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا
كأن المعنى يعتمد بالسكين لأن القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير
همز وعن الحسن متكاء بالمد كأنه مفتعال وذلك لإشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح
بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الأترج وأنشد
فأهدت متكة لبني أبيها تخب بها العثمثمة الوقاح وكانت أهدت أترجة
على ناقة وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في سننه أنها شقت بنصفين وحملت
كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب أترجا وموزا وبطيخا وقيل أعتدت
لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه إذا قطعه وقرأ الأعرج متكأ مفعلا من
تكئ يتكأ إذا اتكأ **أكبرنه** أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق
قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن
النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي إلى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال
يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف
إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من السماء عليها
وقيل ما كان أحد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه
ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال
أكبرت المرأة إذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حد
الصغر إلى حد الكبر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن أيديهن
جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها **حاشا** كلمة تفيد معنى
التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد قال
حاشا أبي ثوبان إن به ضنا عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر
فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود
على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال
براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة أبي السمال
حاشا لله بالتنوين وقراءة أبي عمرو حاش لله بحذف الألف الأخيرة وقراءة الأعمش حشا لله بحذف
الألف الأولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على أن الفتحة أتبعت الألف في الإسقاط
وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الإله فإن قلت فلم
جاز في حاشا لله أن لا ينون بعد إجرائه مجرى براءة لله قلت مراعاة لأصله الذي هو الحر
فية ألا ترى إلى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله وعلى في قوله غدت من عليه
منقلب الألف إلى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته
على خلق جميل مثله وأما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله
ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور وأثبتن له
الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لأن الله عز وجل ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك
كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما
ركز ذلك فيها إلا لحقيقة كذلك كما ركز في الطباع أن لا أدخل في الشر من الشيطان
ولا أجمع للخير من الملائكة إلا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الإنسان على الملائكة
وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب وإعمال
ما النافية هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله ما هن أمهاتهم ومن قرأ
على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى أي ما
هو بعبد مملوك لئيم **إن هذا إلا ملك كريم** تقول هذا بشرى أي حاصل بشرى بمعنى هذا
مشترى وتقول هذا لك بشرى أم بكرا والقراءة هي الأولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك
قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن
به وربأ بحاله واستبعادا لمحله ويجوز أن يكون إشارة إلى المعنى بقولهن عشقت عبدها
الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم **لمتنني فيه**
تقولين لكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به

ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب
السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن

الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو
مجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل
الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بريء
مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان فان قلت الضمير في آمره راجع
الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قوله
امرتك الخير ويجوز ان يجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل
امري اياه اي موجب امري ومقتضاه وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون
كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة وقرئ
السجن بالفتح على المصدر وقال ... يدعونني اليه اسند الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له
وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ الى ربه
عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول
السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب
اليه من اللذة قلت كانت احب اليه وآثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله
وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها والا
تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما
عزموا عليه ووطنوا عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء
اليه أصب اليهن أمل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو
اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ أصب اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا
يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان
الحكيم لا يفعل القبيح وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان في قوله والا تصرف
عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم
باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى
بدا لهم بداء اي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما رأوا الآيات
وهي الشواهد على براءته ما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه
في الذروة والغارب وكان مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه
ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته
به وذلك لما أيست من طاعته لها ولطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها
وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه

واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم
ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن

فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق
رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال لا يأتيكما

وقرأه ابن مسعود عتى حين

او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كأنها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر
ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه
سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من اقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله قد انزل هذا القرآن
فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام
مع تدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون
دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه
فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني يعني في المنام وهي حكاية
حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب
وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها رأياه
يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه
يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة
بتأويل ما رأينا ان كانت لك يد في تأويل الرؤيا وروي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه
واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم
وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك
ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى فقال انا يوسف
بن يعقوب صفي الله ابن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت
خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا
له انا لنحبك من حين رأيناك فقال انشدكما بالله الا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا
دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه
بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي
انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد
من عنب فقطفتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق
رأسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام
رجع الضمير في قوله نبئنا بتأويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في
نحو كانه قيل نبئنا بتأويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك
فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل
اليهما من الطعام في السجن قبل ان يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من
صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض

عليهما الإيمان وتزيينه لهما وتقبيح إليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم أن
يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية والإرشاد والموعظة
والنصيحة أولاً ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك
وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه
وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتأويله ببيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك
يشبه تفسير المشكل والإعراب عن معناه ذلكما إشارة لهما إلى التأويل أي ذلك التأويل
والإخبار بالمغيبات مما علمني ربي بالوحي والإلهام وليس من قبيل التكهن والتنجيم إني تركت يجوز أن
يكون كلاماً مبتدأً وأن يكون تعليلاً لما قبله أي علمني ذلك وأوحى إلي لأني رفضت ملة
أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون
أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكرير هم للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون
بالآخرة وأن غيرهم قوم مؤمنون بها وهم الذين على ملة إبراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيهاً
على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز أن يكون
فيه تعريض بما مُني به من جهتهم حين أودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته
وأن ذلك ما لا يقدم عليه إلا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت
النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي يوحى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب لتقوى رغبتهما
في الاستماع إليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معشر الأنبياء أن نشرك بالله من شيء أي شيء
كان من ملك أو جني أو إنسي فضلاً أن نشرك به صنماً لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد
من فضل الله علينا وعلى الناس أي على الرسل وعلى المرسل إليهم لأنهم نبهوهم عليه وأرشدوهم
إليه ولكن أكثر الناس المبعوث إليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون
وقيل إن ذلك من فضل الله علينا لأنه نصب لنا الأدلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب
مثل تلك الأدلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون
اتباعاً لأهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فأضافهما
إلى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروق فكذلك السجن
مصحوب فيه غير مصحوب وإنما المصحوب غيره وهو يوسف ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي
الصدق فتضيفهما إلى الصدق ولا تريد أنهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا
صدق وسميتهما صاحبين لأنهما صحباك ويجوز أن يريد يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار
وأصحاب الجنة ~~أصحاب الجنة وأصحاب النار~~ أأرباب متفرقون يريد التفرق
في العدد والتكاثر يقول أأن يكون لكما أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما

هذا أم يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار
الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن
على دينهما من أهل مصر إلا أسماء يعني أنكم سميتم ما لا يستحق الإلهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها
فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته
بزيد وسميته زيداً ما أنزل الله بها أي بتسميتها من سلطان أي من حجة إن الحكم في أمر
العبادة والدين إلا لله ثم بين ما حكم به فقال أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم
الثابت الذي دلت عليه البراهين أما أحدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده خمراً وعن عكرمة
فيسقى ربه أي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول وروي أنه قال للأول ما رأيت من الكرمة
وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضي في
السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال الثلاثة ثلاثة أيام
ثم تخرج فتقتل قضي الأمر قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما فإن قلت ما
استفتيا في أمر واحد بل في أمرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالأمر ما اتهما به
من سم الملك وما سجنا من أجله وظنا أن ما رأياه في معنى ما نزل بهما وهو هلاك أحدهما
ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيئاً على ما روي أنهما تحالما له فأخبرهما أن ذلك كائن
صدقتما أو كذبتما وقال للذي ظن أنه ناج الظان هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريق
الاجتهاد وإن كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي أو يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني
عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة
فأنساه الشيطان فأنسى الشرابي ذكر ربه أن يذكره لربه وقيل فأنسى يوسف ذكر الله حتى
وكل أمره إلى غيره بضع سنين البضع ما بين الثلاث إلى التسع وأكثر الأقاويل على أنه
لبث فيه سبع سنين فإن قلت كيف يقدر الشيطان على الإنساء قلت يوسوس إلى العبد
بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزول عن قلبه ذكره وأما الإنساء
ابتداء فلا يقدر عليه إلا الله عز وجل ما ننسخ من آية أو ننسها فإن قلت ما وجه إضافة الذكر
إلى ربه إذا أريد به الملك وما هي بإضافة المصدر إلى الفاعل ولا إلى المفعول به قلت
قد لابسه في قوله اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكره لربه أو عند ربه فجاز إضافته إليه لأن
الإضافة تكون بأدنى ملابسة أو على تقدير فأنساه الشيطان ذكر إخبار ربه فحذف
المضاف الذي هو الإخبار فإن قلت لم أنكر على يوسف عليه السلام الاستعانة بغير الله
في كشف ما كان به وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية
عن عيسى عليه السلام من أنصاري إلى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون

وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي

أخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن أبي وقاص فسمعت غطيطه وهل ذلك إلا مثل التداوي بالأدوية والتقوي بالأشربة والأطعمة وإن كان ذلك لغير الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز أن يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله الأنبياء على خليقته فقد اصطفى لهم أحسن الأمور وأفضلها وأولاها والأحسن بالنبي أن لا يكل أمره إذا ابتلي ببلاء إلا إلى ربه ولا يعتضد إلا به خصوصا إذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب لأغناه عن الاستعانة بنا وعن الحسن أنه كان يبكي إذا قرأها ويقول نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فإن قلت هل من فرق بين إيقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وأن يقال سبع بقرات سمانا قلت إذا أوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فإن قلت هلا قيل سبع عجاف على الإضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فإن قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الأسماء فأخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها ألا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام وأربعة غلاظ فإن قلت ذلك مما يشكل وما نحن بسبيله لا إشكال فيه ألا ترى أنه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بأن المراد البقرات قلت ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لأنه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فإن قلت هل في الآية دليل على أن السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه

والأصل وهو التمييز بالمميز دون الوصف

وهو سبع عجاف

إن كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون

إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا أخر فإن قلت هل يجوز أن يعطف قوله وأخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي إلى تدافع وهو أن عطفها على سنبلات خضر يقتضي أن يدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الأخر يقتضي أن يكون غير السبع بيانه أنك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لأنك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد يا أيها الملأ كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا إما أن يكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين وإما أن تدخل لأن العامل إذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل إذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر أو حال وأن يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الأثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت أنشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الأعراب رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للأحلام عبارا أضغاث الأحلام تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والإضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام والمعنى هي أضغاث أحلام فإن قلت ما هو إلا حلم واحد فلم قالوا أضغاث أحلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب إلا فرسا واحدا وما له إلا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء أيضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه أضغاث أحلام ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤى غيرها وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين إما أن يريدوا بالأحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تأويل فإن التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة وإما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحارير وادكر بالدال المهملة

يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم

وهو الشرابي بعد الحبس وادكر بالدال أي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما
شاهد منه بعد أمة بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل
على الملأ تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه إليه أن يذكره
عند الملك وقرأ الأشهب العقيلي بعد إمة بكسر الهمزة والإمة النعمة قال عدي
ثم بعد الفلاح والملك والإمـة وارتهم هناك القبور أي بعد ما أنعم عليه بالنجاة
وقرئ بعد أمه أي نسيان يقال أمه يأمه أمها إذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ
أنا أنبئكم بتأويله أنا أخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن أنا آتيكم بتأويله فأرسلون
فابعثوني إليه لأسأله وأمر دني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن بالمدينة
فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال يوسف أيها الصديق أيها البليغ في الصدق وإنما
قال له ذلك لأنه ذاق أحواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث
جاء كما أول ... كلام محذوف فقال لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون
فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك تزرعون خبر في معنى
الأمر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وإنما يخرج الأمر في صورة
الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه والدليل
على كونه في معنى الأمر قوله فذروه في سنبله دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهو
مصدر دأب في العمل وهو حال من المأمورين أي دائبين إما على تدأبون دأبا وإما
على إيقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب فذروه في سنبله لئلا يتسوس ... من
الإسناد المجازي جعل أكل أهلهن مسندا إليهن تحصنون تحرزون يغاثون
يغاث الناس من الغوث أو من الغيث يقال غيثت البلاد إذا مطرت ومنه قول
الأعرابية غثنا ما شئنا يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم
وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره إذا أنجاه وهو مطابق
للإغاثة ويجوز أن يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كأنه قيل فيه يغاث الناس وفيه
يغيثون أنفسهم أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون
من أعصرت السحابة وفيه وجهان إما أن تضمن أعصر معنى مطر فيعدى تعديته وإما أن يقال
أعصرت عليهم فحذف الجار وأوصل الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب
والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن
يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم
سنة فإن قلت معلوم أن السنين المجدبة إذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب وإلا لم توصف

ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به

ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص

بالانتهاء فلم قلت إن علم أن ذلك من جهة الوحي قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله
فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم إلا بالوحي إنما تأنى
وتثبت في إجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا
يتسلق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلما إلى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا
ما خلد في السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه
دليل على أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله للمارين
به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه وآله لقد عجبت
من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو
كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترطت أن يخرجوني ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول
فقال ارجع إلى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرتهم
الباب ولما ابتغيت العذر إن كان لحليما ذا أناة وإنما قال سل الملك عن شأن النسوة
ولم يقل سله أن يفتش عن شأنهن لأن السؤال مما يهيج الإنسان ويحركه للبحث عما سئل
عنه فأراد أن يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وقص الحديث حتى
يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه
وحسن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على
ذكر المقطعات أيديهن إن ربي إن الله تعالى بكيدهن عليم أراد أنه كيد عظيم لا يعلمه إلا الله
لبعد غوره أو استشهد بعلم الله عليهن وأنه بريء مما قرف به أو أراد الوعيد
لهن أي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه ما خطبكن ما شأنكن إذ راودتن يوسف
هل وجدتن منه ميلا إليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء
من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أي ثبت واستقر
وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير إذا ألقى ثفناته للإناخة
قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له
بالبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بأنه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لأنهن خصومه
وإذا اعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وأنه على الباطل لم يبق لأحد مقال قالت المجبرة
والحشوية قد نطق لنا مقال فلا بد لنا أن نذكر في فروة من تمسك بنزاهته ذلك ليعلم العزيز
من كلام يوسف أي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز أني لم أخنه
بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل والمفعول على معنى وأنا غائب عنه

أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب

وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ۝ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ۝ وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين

خفي عن عينه او هو غايب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفا والاستتار ورا الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخاينين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الايات على حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خاينا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه والسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراة الكلية ولا ازكيها ولا تخلوا اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكر من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثنا منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاسا كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه بالغيب ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجيت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة واني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزا من اراد باهلك سوا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل النفس لامارة بالسو الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قايدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله تعالى قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القران وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فسله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امراة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف ذلك لتهالكهم على بهت الله

قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ۝ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين

ورسله تعالى استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا وخاصا به لنفسه فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين امين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شي روي ان الرسول جاه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحيا وشماتة الاعدا وتجربة الاصدقا ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابايي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات ووصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهرا فياتيك الخلق من النواحي يمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضا احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبيا الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك وطلب التولية ابتغا وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه والسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك عنه سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته قلت روي عن مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جاير وقد كان السلف يتولون القضا من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي والعالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راه وكان في حكم التابع له والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في الارض ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوا منها حيث يشا وقرئ بالنون والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوا له لم يمنع منه لاستيلايه على جميعها ودخوله تحت ملكته وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له

اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابائي فقال فقد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذرا فولدت له ولدين افرايم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنسا واسلم على يده الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين **نصيب برحمتنا** بعطائنا في الدنيا من الملك والغنا وغيرهما من النعم **من نشاء** من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك **ولا نضيع اجر المحسنين** ان ناجرهم في الدنيا **ولاجر الاخرة خير** لهم قال سفين بن عيينة المومن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الاخرة من خلاق وتلا هذه الاية **لم يعرفوه** لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البير مشتريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة لهم ولمعرفتهم فكان يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له **ولما جهزهم بجهازهم** اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم **قال ائتوني باخ لكم من ابيكم** لا بد من تقدمه سبقت له معهم حتا اخبر القول هذه المسالة روي انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم

وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبيا اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم ها هنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصاب القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم **ولا تقربون** فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله **فلا كيل لكم** كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي **سنراود عنه اباه** سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده **وانا لفاعلون** وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة ولا نفرط فيه ولا نتوانى **لفتيته** وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين **لعلهم يعرفونها** لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطا البدلين **اذا انقلبوا الى اهلهم** وفرغوا ظروفهم **لعلهم يرجعون** لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها **منع منا الكيل** يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل **نكتل** نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكون سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه **هل آمنكم** يريد انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال **فالله خير حافظا** فاتوكل على الله فيه وادفعه اليكم وحافظا نصب على التمييز ويجوز ان يكون حالا وقرا حمزة والكسائي وحفص حافظا وقرئ خير حافظ وقرا الاعمش فالله خير حافظ وقرا ابو هريرة خير الحافظين **وهو ارحم الراحمين** فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وقرئ **ردت** الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الرا كما في قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الرا فيمن سكنها الى الضاد

ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير

ما نبغي ما للنفي أي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك وإكرامه
وكانوا قالوا له إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب
ما أكرمنا كرامته أو ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الإحسان أو على الاستفهام بمعنى أي
شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه أي شيء
تطلب وراء هذا من الإحسان أو من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة
أخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت إلينا جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها
معطوفة عليها على معنى أن بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا في رجوعنا إلى
الملك ونحفظ أخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائدا
على أوساق أباعرنا فأي شيء نبغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا ونوسع ذات
أيدينا وإنما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا أنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط
فإن قلت هذا إذا فسرت البغي بالطلب فأما إذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت
الجملة الأولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت إلينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن
قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت أعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير أهلنا
ونفعل كيت وكيت ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي أن نمير أهلنا
كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب أن أسعى ولا أقصر
ويجوز أن يراد ما نبغي وما ننطق إلا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع أخينا
ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع بيانا لأنهم لا يبغون في رأيهم
وأنهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير أي ذلك مكيل قليل لا
يكفينا يعنون ما يكال لهم فأرادوا أن يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم ويجوز أن يكون
ذلك إشارة إلى كيل بعير أي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا إليه الملك ولا يضايقنا
فيه أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز أن يكون من كلام يعقوب وأن حمل بعير
واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم لن أرسله معكم مع ما رأيت
وقد رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما أتوثق به
من عند الله أراد أن يحلفوا له بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقا منه لأن الحلف به
مما تؤكد به العهود وتشدد وقد أذن الله تعالى في ذلك فهو إذن منه لتأتنني
به جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به إلا أن يحاط بكم إلا أن تغلبوا فلم تطيقوا
الإتيان به أو إلا أن تهلكوا فإن قلت أخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه إشكال
قلت أن يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه

قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء

لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم أي لا تمتنعون منه لعلة من العلل إلا لعلة واحدة
وهي أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام في المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون
إلا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الإثبات المتأول بمعنى النفي قولهم
أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت تريد ما أطلب منك إلا الفعل على ما نقول من طلب
الموثق وإعطائه وكيل رقيب مطلع وإنما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد لأنهم كانوا
ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي
لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الأبصار إليهم من بين الوفود وأن يشار إليهم
بالأصابع ويقال هؤلاء أضياف الملك انظروا إليهم ما أحسنهم من فتيان وما أحقهم
بالإكرام لأمر ما أكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك أن
يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم
ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس
فإن قلت هل للإصابة بالعين وجه تصح عليه قلت يجوز أن يحدث الله عز وجل
عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك
ابتلاء من الله وامتحانا للعباد ليتميز المحققون من أهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول
الحشوي هو أثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا الآية وعن
النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة
من كل هامة ومن كل عين لامة وما أغني عنكم من الله من شيء يعني إن أراد الله
بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة
إن الحكم إلا لله ثم قال ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم أي متفرقين ما كان
يغني عنهم رأي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث أصابهم ما ساءهم مع
تفرقهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع في
رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم إلا حاجة في نفس استثناء منقطع على معنى ولكن
حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم وإظهارها بما قاله لهم ووصاهم به
وإنه لذو علم يعني قوله وما أغني عنكم من الله وعلمه بأن القدر لا يغني عنه الحذر آوى إليه
أخاه ضم إليه بنيامين روي أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم
وأصبتم وستجدون ذلك عندي فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم
على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه
فقال يوسف بقي أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال أنتم عشرة

إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون

فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك

فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه إليه ويشم
رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي
هلك فقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك
يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وقال له **إني أنا أخوك يوسف فلا**
تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فإن الله عز وجل قد أحسن إلينا وجمعنا على خير
ولا تعلمهم بما أعلمتك وعن ابن عباس تعرف إليه وعن وهب إنما قال أنا أخوك بدل
المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد أمنتهم وروي أنه قال له فأنا
لا أفارقك قال قد علمت اغتمام والدي فإذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن
أنسبك إلى ما لا يجمل قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال فإني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي
عليك بأنك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال فجعل **السقاية** مشربة
يشرب بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا وقيل كانت الدواب
تسقى بها ويكال بها وقيل كانت إناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هو المكوك الفارسي
الذي يلتقي طرفاه تشرب به الأعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت
من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم أذن مؤذن ثم نادى مناد من آذنه إذا أعلمه وأذن
أكثر الإعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى
انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك **والعير** الإبل التي عليها الأحمال
لأنها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها
جمع عير وأصلها فُعُل كسُقُف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد أصحاب
العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب
لما كأنه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم
أذن مؤذن وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي تُفقِدون من أفقدته إذا وجدته فقيدا وقرئ
صواع وصاع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة **وأنا به زعيم** يقوله
المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه إلى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جعلا
لمن حصله **تالله** قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم وإنما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا
بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك
ولأنهم دخلوا وأفواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لأحد من أهل
السوق ولأنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم **وما كنا سارقين** وما
كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا **فما جزاؤه** الضمير للصواع أي فما جزاء سرقته

ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين
قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين

بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ
أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا إن يسرق

إن كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه **قالوا جزاؤه من وجد في رحله**
أي جزاؤه أخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترق
سنة فلذلك استفتوا وجزاؤه رفع وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم أي فأخذ السارق
نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه أو هو
حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية
كما هي خبره على إقامة الظاهر فيها مقام المضمر والأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو
فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من أخو زيد فيقول لك أخوه من يقعد
إلى جنبه فهو هو يرجع الضمير الأول إلى من والثاني إلى الأخ ثم تقول فهو أخوه مقيما للمظهر
مقام المضمر ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسؤول عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم
من وجد في رحله فهو جزاؤه كما تقول لمن يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم تقول
ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم **فبدأ بأوعيتهم قبل** قال لهم من وكل
بهم لا بد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم إلى يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء
بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه
حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا **فاستخرجها منه** وقرئ الحسن وعاء أخيه
بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير إعاء أخيه بقلب الواو همزة فإن قلت لم ذكر
ضمير الصواع مرات ثم أنثه قلت رجع بالتأنيث على السقاية أو أنث الصواع لأنه يذكر
ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به
من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا **كذلك كدنا** مثل ذلك الكيد العظيم
كدنا ليوسف يعني علمناه إياه وأوحينا به إليه **ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك**
تفسير للكيد وبيان له لأنه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق أن
يغرم مثلي ما أخذ لا أن يلزم ويستعبد **إلا أن يشاء الله** أي ما كان ليأخذه إلا بمشيئة
الله وإذنه فيه **نرفع درجات من نشاء** في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ
يرفع بالياء ودرجات بالتنوين **وفوق كل ذي علم عليم** فوقه أرفع درجة منه في علمه
وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل فإن قيل ما أذن الله عز
وجل فيه كيف يكون حسنا فمن أي وجه حسن هذا الكيد وما هو إلا بهتان وليس
ببهتان في الحقيقة لأن قوله إنكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم
بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف عليه السلام وقوله إن كنتم
كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض الكذب لا يكون كذبا على أنه لو صح

قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا

لهم بالكذب كما صرح لهم بالسرقة لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل
الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا
ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابرهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا
مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله في هذه الحيلة التي لقنها
يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت
عنها وجوه القبح لما ذكرناه اخ له ارادوا به يوسف عليه السلام وروى انهم لما استخرجوا
الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ما الذي
صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا
الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع
هذا الصاع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف
من السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف
في الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه
وقيل كان في المنزل عناق او دجاجة فاعطاه السائل وقيل كانت لابرهيم عليه السلام منطقة
يتوارثها الاكابر فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت
يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب
ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة
اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به
ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها اضمار على شريطة التفسير تفسيره
انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام
كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه
انتم شر مكانا لانه قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره
على التذكير القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم
سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي
ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون [illegible] ذكروا اباه حق ابيهم
يعقوب وانه شيخ كبير السن كبير القدر وانه نبي من انبياء الله وانهم كانوا
قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستانس باخيه فخذ
احدنا مكانه فخذ بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نراك من المحسنين

مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله

الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها معاذ الله هو
كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده
فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله
امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو
اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان ناخذ
بدله ظلما فلما استيأسوا منه يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم
والنجي يكون على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر
ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى
بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف
ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال
اني اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين
لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه
انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في
انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون
وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا
الى التشاور كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم
في العقل والراي وهو يهودا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اي
ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان
محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم
في يوسف من قبل او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم
تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون
موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة
ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر
حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن
اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم
ابدا الا بالعدل والحق وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا بالسرقة
الا بما علمنا من سرقته وتيقنا من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه
سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرأ

ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين
ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين

واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون

ترق بمعناه وما شهدنا الا بعد ما علمنا التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين
أمرق بالصواع ام دس الصاع في رحله ولم يشعر القرية التي كنا فيها هي مصر اي ارسل
الى اهلها فسلهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما
من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وقيل من اهل صنعاء معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا
له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى الملك
ان السارق يوخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا بيوسف واخيه
وروبيل او غيره انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني الا
لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاءوا به يا اسفى اضاف الاسف
وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظي
الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم
وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون صنعا من سبا بنبا وعن النبي صلى الله عليه وآله
لم يعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى
الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى فان قلت كيف
تأسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر
اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان
الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسه المصيبات بعده
ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان
الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة
سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا
قرئ من الحزن والحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه
حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين
عاما وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب وعن النبي صلى الله عليه وآله
انه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما
كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله عز وجل ساعة قط فان
قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول على
ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى
لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وآله على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين
تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم

من الهالكين قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون

ما يقع من الجهلة من الصياح والنياح ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى
الله عليه وآله انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن
البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء ولكن نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند
الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك
فقال ما رأيت الله تعالى جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ
على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من
كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ بكظامه
تفتأ اراد لا تفتأ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من
اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتأ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر
من حبه كانه جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس بن حجر
فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا مشفيا على الهلاك مرضا
واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة
حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا
بضمتين ونحوه في الصفات جنب وغرب البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه
فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه اموره وابثه اياه ومعنى انما اشكو اني لا اشكو
الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي
وهذا معنى توليه عنهم فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب
جار له فقال يا يعقوب لقد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال
هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى
خلقي فقال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما
اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم
ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين
فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى
عميت واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به ان يأتيني
بالفرج من حيث لا احتسب وروي انه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت
روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرأ الحسن وحزني بفتحتين وحزني
بضمتين قتادة فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ
بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما احس عيسى

فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون

فيهم الكرد من الجنس وهو الطلب ومنه قالوا للمشاعر الأنسان الجواس (الحواس) من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرئ الحسن وقتادة من روح الله بالضم أي من رحمته التي يحيا بها العباد الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من أزجيته إذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الأعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والأقط وقيل دراهم زيوفا لا يؤخذ إلا بوضيعة فأوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لأن الصدقة محظورة على الأنبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا أراد أنها كانت حلالا لهم والظاهر أنهم تمسكنوا له وطلبوا إليه أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه وقوله إن الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله عز وجل وجزائه والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي إن الله تعالى لا يتصدق إنما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم أعطني أو تفضل علي أو ارحمني قال هل علمتم أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر إلى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا إيثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فلله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها ولله حصى عقولهم ما أرزنها وأرجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه إذ أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن يبلغوا أوان الحلم والرزانة وروي أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا إليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل أدوا إليه كتاب يعقوب من يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبرهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبي فوضع السكين على

قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

قفاه ليقتل ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وإنك حبسته لذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا فإن قلت ما فعلهم بأخيه قلت تعريضهم إياه للغم بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحدا منهم إلا كلام الذليل للعزيز وإيذاؤهم له بأنواع الأذى وقرئ أئنك على الاستفهام وإنك على الإيجاب وفي قراءة أبي أئنك أو أنت يوسف معناه أئنك يوسف أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات فإن قلت كيف عرفوه قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم به ذلك ما شعروا به أنه هو مع علمهم بأن ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم لا عن بعض أعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فإن قلت قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه على أن أخاه كان معلوما لهم قلت لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه من يتق مكر الله وعقابه ويصبر على المعاصي وعلى الطاعات فإن الله لا يضيع أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين لقد آثرك الله علينا أي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وإن شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم ولا عتب وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه فإن قلت بم يتعلق اليوم قلت بالتثريب أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار أو بيغفر والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ

فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم واليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت رسول الله فاتل عليه قال لا تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك وروي ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي هذا قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي يأت بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او يأت الي وهو بصير ويشهد له قوله وأتوني باهلكم اجمعين اي يأتني ابي وياتني اهله جميعا وقيل يهوذا هو الذي قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرئ ولما انفصل العير قال لولد ولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمانين فرسخا لولا ان تفندون التفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير القاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب فارتد بصيرا فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارجعه الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك ان توقعه عليه وتريد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا

تعلمون وروي انه سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قال سوف استغفر لكم اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ عليه السلام القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى والمقاتلون منهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتا الف اوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحق كانت امه حية وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها فجعلها احد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلت كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم ثم دخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج في تحية

انت وليي في الدنيا والآخرة

من ثياب الملوك التي حملها على البغال فأمر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما
اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت ما تعلق
المشيئة قلت بالدخول مكيفا بالأمن لأن القصد الى اتصافهم بالأمن في دخولهم فكأنه
قيل لهم اسلموا وآمنوا في دخولكم ان شاء الله ونظيره قولك للغازي ارجع سالما
غانما ان شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة
مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة
الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير ان
قوله ان شاء الله من باب التقديم والتأخير وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر
لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما اقول فيه وفي نظائره فان قلت كيف جاز لهم
ان يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام
والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت
في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخروا سجدا يأباه
وقيل معناه وخروا لأجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا ايضا فيه نبوة يقال احسن اليه
وبه وكذلك اساء اليه وبه قال أسيئي بنا او احسني لا ملومة من البدو من البادية
لأنهم كانوا اهل عمد واصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع نزغ افسد بيننا
وأغرى واصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه اذا نخسه لطيف لما
يشاء لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي ان يوسف
اخذ بيد يعقوب فطاف به خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن
الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال
يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني
جبريل قال اوما تسأله قال انت ابسط اليه مني فسله قال جبريل الله امرني بذلك
لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب عليه السلام اقام معه
اربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه
ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه
لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه
نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان
يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه
فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه

شرعا واحدا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد
توارث الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين
يوسف وآبائه عليهم السلام الى ان بعث الله عز وجل موسى عليه السلام من الملك ومن تأويل
الاحاديث للتبعيض لأنه لم يؤت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التأويل
انت وليي انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي
توفني مسلما طلب للوفاة على حال الاسلام وليختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب
لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا للموت على ما قيل والحقني بالصالحين
من آبائي او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير
البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت سننا وأمت بدعا
وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينه
وجمع له امره قال توفني مسلما والحقني بالصالحين فان قلت علام انتصب فاطر
السموات قلت على انه وصف لقوله رب كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء ذلك
اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله ومحله الابتداء وقوله من انباء
الغيب نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء
الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي
لأنك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا امرهم وهو القاؤهم اخاهم في البئر كقوله واجمعوا
ان يجعلوه في غيابت الجب وهذا تهكم بقريش ومن كذبه لأنه لم يخف على احد من المكذبين
انه لم يكن من حملة هذا الحديث واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من
علم قومه فاذا اخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع
شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم
بالمكابرة انه لم يكن مشاهدا لما مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب
الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل وما اكثر
الناس يريد العموم كقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس اراد اهل
مكة اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على
الكفر وعنادهم وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى
كما يعطي حملة الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة
وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله من آية من علامة ودلالة على الخالق
وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون

بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرئ السدي والارض بالنصب
على ويطؤون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع
الارض والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن اكثرهم
بالله في اقرارهم بوجوده وبانه خالقه وخالق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن وعن
الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله
بخلقه غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق
هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل
الطريق يذكر ويؤنث ثم فسر سبيله بقوله ادعوا الى الله على بصيرة اي ادعوا الى دينه
مع حجة واضحة غير عمياء وانا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه
يريد ادعو اليها انا ويدعو اليها من اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما
ومن اتبعني عطفا على انا اخبار ابتداء بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى
ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله
وانزهه من الشركاء الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل
ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امراة وقيل في سجاح المتنبئة
ولم يبعث الله نبيا منهم ذكرانا وقرئ نوحي اليهم بالنون من اهل القرى لانهم
اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجفاء والقسوة والجهل ولدار الآخرة ولدار
الساعة او الحال الآخرة خير للذين اتقوا الذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم
يعصوه وقرئ افلا تعقلون بالتاء والياء حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه
قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى استيأسوا عن النصر وظنوا
انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم رجاؤهم لقولهم
رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار
النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا
ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا
وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد
اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على
ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجح احد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل
من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد

منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا او وظن المرسل
اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم
فيه وقرئ كذبوا بالتشديد بمعنى وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم
من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على
وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تأويل ابن عباس
واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون
كاذبين عندهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا
لكان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم فنجي بالتخفيف والتشديد
من انجاه ونجاه وفنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا من نشاء
المؤمنون لانهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم وقد يدل لك بقوله ولا يرد باسنا
عن القوم المجرمين اذا نزل بهم الضمير في قصصهم للرسل وينصره قراءة من قرا قصصهم بكسر القاف
وقيل هو راجع الى يوسف واخوته فان قلت فالام يرجع الضمير في ما كان حديثا
يفترى فمروي بالكسر قلت الى القرآن اي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن
تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج
اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة
العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على
ولكن هو تصديق الذي بين يديه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة
يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات
الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة
العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه
السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قولها الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى
اين طرفاها تريد الكملة الله مبتدأ والذي خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض
ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبر بعد خبر وينصرها ما تقدمه
من ذكر الآيات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستانف استشهادا برؤيتهم

تدبر الامر يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مد الارض وجعل فيها
رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل

لها كذلك وقيل هي صفة العمد وتعضده قراءة ابي ترونه وقرئ عُمُد بضمتين يدبر الامر يدبر امر ملكوته
وربوبيته يفصل الايات في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء بان هذا المدبر والمفصل لابد لكم من
الرجوع اليه وقرئ الحسن ندبر بالنون جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها من جميع انواع
الثمرات زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض
والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل
النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد
قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة
وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس
الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم
والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد
وثمارها تتفاوت في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض
المصاحف قطعا متجاورات وزرع وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على
كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهي
النخلة لها راسان واصلهما واحد وقرئ بالضم والكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم
وقيس تسقى بالتاء لما ويفضل بالنون والباقي على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل في
الثمر وشكلها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان
يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة
اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ائذا كنا ترابا الى اخر قولهم يجوز ان
يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله
ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم الكاملون في كفرهم واولئك
الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا او وعيد
كيف الرشاد وقد خلقت في نفوسهم لهم عن الرشاد اغلال وانباذ
وهو من جملة الوعيد بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم
بالامهال وذلك انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم
بالانذار وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم
لم يعتبروا بها فلا يستهزءوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب
عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته
منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بفتحتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم

صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك
لايات لقوم يعقلون وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم
واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك

بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك
لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد
الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد

والمثلات بضم الميم وسكون الثاء
كما يقال الشهرة

ويكون التا عقيب المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال يعني ظالمين انفسهم
ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال
وروي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احد العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد لولا انزل عليه اية من ربه لم يعتدوا بالايات
المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا اما اقترحوا اخوات ايات موسى وعيسى من انقلاب العصا
حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم
من سوء العاقبة كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به انك رسول منذر وصحة
ذلك حاصلة باية اية كانت والايات كلها تستوي في حصول صحة الدعوى بها
لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي اية على حسب ما اقتضاه
علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم
الى الله بوجه من الهداية وباية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في ايات مخصوصة
ووجه اخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك ايات ويعاندون
فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم
ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد
دل بما ذكر فقوي ذكر ايات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاءه كل منذر ايات
خلاف ايات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى
مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل على ان من هذا
قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا
سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مبتدا وان يكون المعنى هو
الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدا فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في بطنها وما
تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم
ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول
وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه
يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداد اي تاخذه زائدا تقول
اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته وزاد
نفسه وازداد وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل
على اثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه وجسد الولد

وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال

فانه يكون تاماً ومخدجاً وفيه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرماً ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مقدرته فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطاً لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروباً والمعنى سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهراً بالنهار يبصره كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحداً هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضاً او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعاً وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله عز وجل امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب عليهم وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه

اي الجلاوزة اعوان السلطان جمع جلواز

هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله

ونوازله او على التهكم به وقيل له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم خوفاً وطمعاً لا يصح ان يكونا مفعولاً لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعاً ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى … يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق

وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا آياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامراً

وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال

بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية امرأة وأرسل على أربد صاعقة فقتلته [illegible]
[illegible] شديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه
تمحل لكذا إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى
به إلى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الأعشى فرع نبع يهتز
في غصن المجد غزير الندى شديد المحال في المعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم
بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الأعرج بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول محالا
إذا احتال ومنه أحول من ذئب أي أشد حيلة ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقار
ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله أشد وموساه أحد لأن الحيوان إذا
اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره ألا ترى إلى قولهم
فقرته الفواقر وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه **له دعوة الحق** فيه وجهان أحدهما أن
تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة إليه في قولك كلمة الحق
للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه
يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله إن كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق
لكونه حقيقا بأن يوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي
دعاؤه والثاني أن تضاف إلى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي
يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق فإن قلت
ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت أما على قصة أربد فظاهر لأن إصابته
بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه على صاحبه
بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على
الأول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه بحلول محاله بهم وإجابة
دعوة رسول الله صلى الله عليه إن دعا عليهم فيهم **والذين يدعون** والآلهة الذين
يدعوهم الكفار من دون الله **لا يستجيبون لهم بشيء** من طلباتهم **إلا كباسط كفيه**
إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه أي كاستجابة الماء من بسط كفيه يطلب منه
أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب
دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا
يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء
بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه
وقرئ تدعون بالتاء وكباسط كفيه بالتنوين **إلا في ضلال** إلا في ضياع لا منفعة

ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار

فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم **ولله يسجد**
أي ينقادون لإحداث ما أراده فيهم من أفعاله شاؤوا أو أبوا لا يقدرون أن يمتنعوا عليه
وتنقاد له ظلالهم أيضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال
وقرئ **بالغدو** والإيصال من آصلوا إذا دخلوا في الأصيل **قل الله** حكاية لاعترافهم
وتأكيد له عليهم لأنه إذا قال لهم من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن
يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا
كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فإذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي
إقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت
ويجوز أن يكون تلقينا أي إن كعوا عن الجواب فلقنهم فإنهم يتلقنونه ولا يقدرون
أن ينكروه **أفاتخذتم من دونه أولياء** أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم
من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم وإقراركم
سبب الإشراك **لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا** لا يستطيعون أن ينفعوها
أو يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق
الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم **أم جعلوا** بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار
خلقوا صفة لشركاء يعني أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله
فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه
فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد إذ لا فرق بين خالق
وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا
أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق **قل الله خالق كل شيء** لا خالق غير الله ولا يستقيم
أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة **وهو الواحد** المتوحد
بالربوبية **القهار** لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور هذا مثل ضربه الله للحق
وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل
الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به
وينفعهم أنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني
والآلات المختلفة ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وأن ذلك
ماكث في الأرض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والبئار
والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه
الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي

الزبد

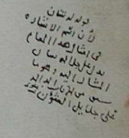
أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل

يرمي به ويزبد العلو بطفو فوقه اذا اذيب فان قلت لم نكرت الاودية قلت لان المطر لا ياتي الا
على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض فان قلت فما معنى قوله
بقدرها قلت بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله
واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا
عن المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف فان قلت فما فائدة قوله ابتغاء
حلية او متاع قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع
في قوله واما ما ينفع الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما
يوقد عليه منه وذكره وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية
او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما
هو هجيرا الملوك كوما جاء في ذكر الآجر اوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية اي
ومنه ينشا زبد مثل زبد الماء وللتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه
السيل جفاء يجفاه السيل اي يرمي به من جفأت القدر بزبدها واجفا السيل واجفل وفي قراءة
رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي حاتم لا تقرا بقراءة رؤبة لانه كان ياكل الفار وقرئ يوقدون
بالياء اي يوقد الناس للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين
الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر
استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدا في ذكر ما اعد لغير
المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام
مستانف والحسنى مبتدا خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين
لم يستجيبوا مبتدا خبره لو مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي انه كان يحاسب
الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء دخلت همزة الانكار على الفاء في قوله افمن يعلم لانكار
ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم انما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب
بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز
وانما يتذكر اولو الالباب الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا والذين
يوفون بعهد الله مبتدا واولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون
عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة لاولي الالباب والاول اوجه
وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم
وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص

ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وقرابة
المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم
والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام
عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران
والرفقاء في السفر وكل ما تعلق بينهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض ان جماعة
دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث
شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين
ويخشون ربهم اي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبوا انفسهم
قبل ان يحاسبوا صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف
ابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع
ولئلا يشمت الاعداء كقوله (شعر) وتجلدي للشامتين اريهم اني لريب الدهر لا اتضعضع
ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله (شعر) ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا
وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن ان ينوي منها ما كان حسنا عند الله والا لم يستحق به
ثوابا وكان فعلا كلا فعل مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله
سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة
ويدرؤون بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم
من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان
اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها
التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ
نعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن
العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرا ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح
اعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجرد عن الاعمال الصالحة وآبائهم جمع ابوي كل واحد منهم
فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم
او مسلمين فان قلت بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف وتقديره هذا بما صبرتم يعني
هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم
والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله (شعر) أرى الوحش ترعى اليوم في ساحة الحمى
بما قد ارى فيها اوانس بدنا وعن النبي صلى الله عليه انه كان ياتي قبور الشهداء على راس كل
حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم

والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من

ويكرمكم بعد كرمن بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل ان يريد سوء عاقبة الدنيا لانها في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وسوءها عذابها الله يبسط الرزق اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بالحيوة الدنيا وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم لم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الاخرة وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الاخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك فان قلت كيف طابق قولهم لولا انزل عليه اية من ربه قوله قل ان الله يضل من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الايات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقران وحده اية وراء كل اية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كان اية لم ينزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء من كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم من اناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير الذين امنوا بدل ممن اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وتطمئن بذكر الله لانه الدال على وحدانيته او تطمئن بالقران لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين امنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين امنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن ماب بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي اخر الامم وانت خاتم الانبياء لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القران المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم



... تتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين امنوا

قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرانا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتريد لضربتك والمعنى ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران وقيل معناه ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما امنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير لنا جبال مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث لنا رجلين او ثلاثة ممن قد مات من اناس منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وقرئ لو قطعت به الارض تشققت فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الايات التي اقترحتموها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل الياس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان الياس عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء

هذه والسوء به ما فيها من ريبة ويعنون بأن يعلموا أن لو يشاء ما سوى على أو لم ييئسوا عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين
آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء أعمالهم
قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم
وأولادهم وأموالهم أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم
شرارها ويتعدى إليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم أو القيامة وقيل ولا يزال كفار
مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لأن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم
أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو
فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك ولقد استهزئ الإملاء الإمهال وأن يترك ملاوة من الزمان في
خفض وأمن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على
رسول الله استهزاء به وتسلية له أفمن هو قائم احتجاج عليهم في إشراكهم بالله تعالى يعني أفالله
الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة وطالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه
كمن ليس كذلك ويجوز أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله أفمن
هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء قل
سموهم أي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم ثم قال أم تنبئونه على أم
المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف ومعناه بل أتنبئونه بشركاء لا
يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء
يتعلق به العلم والمراد نفي أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الأرض أم بظاهر من القول بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون
لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها
وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق أنه
ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه فتبارك الله أحسن الخالقين وقرئ أتنبئونه
بالتخفيف مكرهم كيدهم للإسلام بشركهم وصدوا قرئ بالحركات الثلاث وقرأ
ابن أبي إسحاق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه أنه لا يهتدي فما له
من هاد فما له من أحد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل
والأسر وسائر المحن ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله
من واق وما لهم من حافظ من عذابه أو ما لهم من جهته واق من رحمته مثل الجنة صفتها
التي هي مثل في الغرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه أي فيما قصصنا عليكم

مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الأنهار كما تقول صفة زيد أسمر وقال الزجاج معناه
مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ
علي رضي الله عنه أمثال الجنة على الجمع أي صفاتها أكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة
وظلها أي لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يريد من أسلم من اليهود
كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون
بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بأرض الحبشة يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب
يعني ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه بالعداوة نحو كعب بن
الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما من ينكر بعضه لأنهم
كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم
غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك
مما حرفوه وبدلوه من الشرائع فإن قلت كيف اتصل قوله قل إنما أمرت أن أعبد الله بما قبله
قلت هو جواب للمنكرين معناه قل إنما أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله ولا أشرك به فإنكاركم
له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله
وأن لا يشرك به قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا
نشرك به شيئا وقرأ نافع في رواية أبي خليد ولا أشرك به بالرفع على الاستئناف كأنه
قال وأنا لا أشرك به ويجوز أن يكون في موضع الحال على معنى وأمرت أن أعبد الله غير مشرك
به إليه أدعو خصوصا لا أدعو إلى غيره وإليه لا إلى غيره مرجعي وأنتم تقولون مثل ذلك
فلا معنى لإنكاركم وكذلك أنزلناه ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة
الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار إلى الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة
بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله إلى أمور يوافقهم عليها منها
أن يصلي إلى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن اتبعتهم على دين ما هو إلا أهواء وشبهة
بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر وأهلكك
فلا يقيك منه واق وهذا من باب الإلهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين
والتصلب فيه وأن لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة وإلا فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان كانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا
يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ
فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي أزواج وذرية وما كان لهم أن يأتوا بآيات
ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات فلكل وقت

وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه

قرأ ويثبت بالتخفيف ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب وابو حاتم

حكم على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم **يمحو الله ما يشاء** ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في هذا واسع المجال **وعنده ام الكتاب** اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت **وإما نرينك** وكيفما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم **او توفيناك** قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب **وعلينا** لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم **اولم يروا انا نأتي الارض** ارض الكفر **ننقصها من اطرافها** بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا يهمنك ما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر ويقرئ ننقصها بالتشديد **لا معقب لحكمه** لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس **وهو سريع الحساب** فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا فان **قلت** ما محل قوله لا معقب لحكمه **قلت** هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا **وقد مكر الذين من قبلهم** وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال **فلله المكر جميعا** ثم فسر ذلك بقوله **يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار** لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر **كفى بالله شهيدا** لما اظهر من الادلة على رسالتي **ومن عنده علم الكتاب** والذي عنده علم الكتاب القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد

بما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل وهو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على الجار وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب فان **قلت** بم ارتفع علم الكتاب **قلت** في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى **باذن ربهم** بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق **الى صراط العزيز الحميد** بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله **الله** عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي توله العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله **الويل** نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا **الذين يستحبون** مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليه

الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك

ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم

وافصل عند صاحب الايجاز وقرى الحسن ويصدون بضم اليا وكسر الصاد يقال صده عن كذا واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير المتعدي الى المتعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحا استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها عوجا فحذف الجار واوصل الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم يكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم يكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قام التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر من اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرى بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرى بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم

ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

وهم العرب فيؤدي الى ان الله تعالى انزل التورية من السما بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشا ويهدي من يشا كقوله فمنكم كافر ومنكم مومن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يومن ولا يهدي الا من يعلم انه يومن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سوا في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس نعماوه وبلاوه فاما نعماوه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاوه فاهلاك القرون لكل صبار شكور يصبر على بلا الله ويشكر له نعماه فاذا سمع بما انزل الله من البلا على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مومن لان الصبر والشكر من سجاياهم تنبيها عليهم اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وها هنا ويذبحون مع الواو قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس اخر فان قلت كيف كان فعل ال فرعون بلا من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلا من الله ووجه اخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجا وهو بلا عظيم والبلا يكون ابتلا بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير فابلاهما خير البلا الذي يبلو واذ تاذن

وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود

ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كأنه قيل
وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن
ربكم أذن ربكم ونظير تأذن وأذن توعد وأوعد وتفضل وأفضل
ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل وإذ أذن ربكم إيذانا بليغا تنتفي عنده
الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم أو أجري تأذن مجرى قال
لأنه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود وإذ قال ربكم لئن شكرتم أي لئن شكرتم يا بني
إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل
الصالح لأزيدنكم نعمة إلى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما أنعمت
به عليكم إن عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى إن تكفروا أنتم يا بني إسرائيل والناس
كلهم فإنما ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وأنتم إليه محاويج
والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة أنعمه وأياديه وإن لم يحمده الحامدون
والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جملة من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله وعن
ابن عباس بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود إذا قرأ
هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله علمها
عن العباد فردوا أيديهم في أفواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله
عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده
على فيه أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا بما أرسلتم
به أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطا لهم من التصديق ألا ترى إلى قوله فردوا
أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وهذا قول قوي أو وضعوها على
أفواههم يقولون للأنبياء أطبقوا أفواهكم واسكتوا أو ردوها في أفواه الأنبياء
يشيرون لهم إلى السكوت أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون
وقيل الأيدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الأيادي أي ردوا نعم الأنبياء التي هي أجل
النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم
لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث
جاءت منه على طريق المثل مما تدعوننا إليه من الإيمان بالله وقرئ تدعونا بإدغام
النون مريب موقع في الريبة أو ذي ريبة من أرابه وأراب الرجل وهو قلق النفس
وأن لا تطمئن إلى الأمر أفي الله شك أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام
ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها

والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب قالت رسلهم أفي الله

شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم

عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم أي يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم أو يدعوكم
لأجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال دعوت لما نابني
مسورا فلبى فلبى يدي مسور فإن قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت
ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم
يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله إلى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك
مما يقف عليه المستقرئ وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين
الفريقين في الميعاد وقيل أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين
العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه
إن لم تؤمنوا وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت إن أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل
بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله إلى البشر رسلا
لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم
بالبينات والحجج وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا إن نحن إلا
بشر مثلكم تسليم لقولهم وأنهم بشر مثلهم يعنون أنهم مثلهم في البشرية وحدها
فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا
على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لأنه قد علم أنه لا يختصهم بتلك
الكرامة إلا وهم أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم
إلا بإذن الله أرادوا أن الإتيان بالآية التي اقترحتموها ليس إلينا ولا في استطاعتنا وما
هو إلا أمر يتعلق بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون أمر منهم للمؤمنين كافة
بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا وأمروها به كأنهم قالوا ومن حقنا أن
نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم ألا ترى إلى
قوله وما لنا ألا نتوكل على الله ومعناه وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه وقد هدانا
وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي
يجب عليه سلوكه في الدين فإن قلت كيف كرر الأمر بالتوكل قلت الأول لاستحداث
التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من
توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدم لنخرجنكم أو لتعودن ليكونن أحد الأمرين
لا محالة إما إخراجكم وإما عودكم حالفين على ذلك فإن قلت كأنهم كانوا على ملتهم
حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب

بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن

كثيرة وماشية لا تكاد تسعهم يستعملون صبّارا ولكن عادا ما عبدت الاه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجرا الايحا مجرى القول لانه ضرب منه وقرا ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابنا خالي يترددون فيها يدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة الى ما قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيمة او على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسألوه القضا بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم ربهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه من بين يديه قال عنترة الكريه الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف فان قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه

دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان كان اسباب الموت واصنافه كلها قد تألبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجليه وقيل من اصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجا كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستانف منقطع عن حديث الرسل واممهم مثل الذين كفروا مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما نقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفدا الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنايعهم شبهها في حبوطها وذهابها هبا منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم اي هو القادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم وعلى انه يقدر على الشيء وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى الشيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض

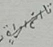
ويرد والله جميعا فقال الضعفا للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا
من عذاب الله من شي قالوا لو هدانا الله لهديناكم سوا علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص

دونه شي وهذه الايه بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطائهم في الكفر بالله
لوضوح اياته الشاهده له الداله على قدرته الباهره وحكمته البالغه وانه هو
الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزا **وبرزوا لله** ويبرزون
يوم القيمه وانما جي به بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان
ووجد ونحوه ونادا اصحاب الجنه ونادا اصحاب النار ونظاير له ومعنى بروزهم
لله والله تعالى لا يتوارا عنه شي حتى يبرز له انهم كانوا يستترون عن العيون
عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمه انكشفوا
لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافيه او خرجوا من قبورهم فبرزوا
لحساب الله وحكمه فان قلت لم كتب الضعفوا بواو قبل الهمزه قلت كتب على لفظ
من يفخم الالف قبل الهمزه فيميلها الى الواو ونظيره علموا بني اسرايل والضعفا الاتباع
والعوام والذين استكبروا سادتهم وكبراهم الذين استتبعوهم واستغووهم
وصدوهم عن الاستماع الى الانبيا واتباعهم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم
خادم وخدم وغايب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت اي فرق
بين من في عذاب الله وبينه في من شي قلت الاولى للتبيين والثانيه للتبعيض كانه
قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشي الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض معا
بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شي هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله فان قلت
فما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم قلت هو كلام الذي قال لهم الضعفا كان توبيخا
لهم وعتابا على استتباعهم واستغوايهم وقولهم **فهل انتم مغنون** من باب التبكيت
لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغنا عنهم واجابوهم معتذرين عما كان منهم
اليهم بان الله تعالى **لو هداهم** الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب
في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شا الله ما اشركنا
ولا اباونا لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي يقولون ذلك في الاخره كما كانوا
يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكايه عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شي الا انهم هم الكاذبون ويجوز
ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان
وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاه من العذاب لهديناكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا
بكم طريق النجاه كما سلكنا بكم سبيل الهلكه **سوا علينا اجزعنا ام صبرنا**
مستويان علينا الجزع والصبر والهمزه وام للتسويه ونحوه اصبروا او لا تصبروا سوا

عليه

وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم
ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت

عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمس مايه عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر
فيصبرون كذلك ثم يقولون سوا علينا اجزعنا فان قلت كيف اتصل قوله سوا علينا بما قبله
قلت اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سوا علينا اجزعنا ام
صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلاله التي كانوا مجتمعين فيها
يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فايده في الجزع كما لا فايده في الصبر والامر من ذلك
اطم او لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاه لاغنينا عنكم وانجيناكم اتبعوه الاقناط من النجاه
فقالوا ما لنا من محيص اي منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفا
والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سوا علينا اجزعنا ام صبرنا كقوله ذلك ليعلم
اني لم اخنه بالغيب والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف
ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد **لما قضي الامر** لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب
وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنه ودخول الاخر النار وروي ان الشيطان يقوم عند
ذلك خطيبا في الاشقيا من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو
البعث والجزا على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم
وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجيكم
اليها الا ان دعوتكم الا دعاي اياكم الى الضلاله بوسوستي وتزييني وليس الدعا من
جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب **فلا تلوموني ولوموا انفسكم**
حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان
الانسان هو الذي يختار الشقاوه او السعاده ويحصلها لنفسه وليس من الله الا
التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبره لقال فلا تلوموني
ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت قول الشيطان
باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر
انكاره على انه لا طايل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم
وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله
وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين **ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي** لا ينجي
بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثه وقري بمصرخي بكسر اليا
وهي ضعيفه واستشهدوا لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا في قالت له ما انت
بالمرضي وكانه قدر يا الاضافه ساكنه وقبلها يا ساكنه فحركها بالكسر لما عليه



بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام الم تر كيف ضرب الله

اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان يا الاضافه لا تكون الا مفتوحه حيث قبلها الف نحو عصاي فما بال لها وقبلها يا فان قلت جرت اليا الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها يا وقعت ساكنه بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزله الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات كما في بما اشركتمون ما مصدريه ومن قبل متعلق بما اشركتموني يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم في الدنيا كقوله ويوم القيمه يكفرون بشرككم ومعنا كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برءا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل متعلق بكفرت وما موصوله اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزه قلت اشركنيه فلان اي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عباده الاوثان وغيرها وهذا اخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله عز وجل ويحتمل ان يكون من جمله قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرا ابو حيوه بالياء على طريقه الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقرى الحسن وعمرو بن عبيد رحمه الله ورضوانه عليهما وادخل الذين امنوا على فعل المتكلم بمعنى وانا ادخلهم وهذا دليل على انه من قول الله عز وجل لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلهم الملائكه الجنه باذن الله وامره فان قلت فبم يتعلق في القراه الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراه ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكه يحيونهم باذن ربهم وقرى المرتين ساكنه الراء كما قرى من يتقوا فيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمه طيبه كشجره طيبه وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حله وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمه بضرب اي ضرب كلمه طيبه مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هي كشجره طيبه اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها ورأسها في السما ويجوز ان يريد

ما كلمه طيبه كشجره طيبه اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمه خبيثه كشجره خبيثه اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوه الدنيا وفي الاخره

وفروعها على الاكتفا بلفظ الجنس وقرا انس بن مالك كشجره طيبه ثابت اصلها فان قلت اي فرق بين القراتين قلت قراه الجماعه اقوى لان قراه انس اجريت الصفه على الشجره واذا قلت مررت برجل ابوه قايم فهو اقوى معنى من مررت برجل قايم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمه الطيبه كلمه التوحيد وقيل كل كلمه حسنه كالتسبيحه والتحميده والاستغفار والتوبه والدعوه وعن ابن عباس شهاده ان لا اله الا الله واما الشجره فكل شجره مثمره طيبه الثمار كالنخله وشجره التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلعم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المومن شجره فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخله فهبت رسول الله صلعم ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلعم الا انها النخله وعن ابن عباس شجره في الجنه وقوله في السما معناه في جهه العلو والصعود ولم يرد المظله كقولك في الجبل طويل في السما تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زياده افهام وتذكير وتصوير للمعاني كشجرة خبيثة كمثل شجره خبيثه اي صفتها كصفتها وقرى ومثل كلمه بالنصب عطفا على كلمه طيبه والكلمه الخبيثه كلمه الشرك وقيل كل كلمه قبيحه واما الشجره الخبيثه فكل شجره لا يطيب ثمرها كشجره الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابله قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استوصلت وحقيقه الاجتثاث اخذ الجثه كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشي قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجه فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتاده انه قيل لبعض العلما ما تقول في كلمه خبيثه فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السما مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم القيمه بالقول الثابت الذي ثبت بالحجه والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمانت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الاخره انهم اذا سيلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سوال القبر وعن البرا بن عازب



ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا
قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله
قل تمتعوا فان مصيركم الى النار

ان رسول الله صلى الله عليه [وسلم] ذكر قبض روح المومن فقال ثم تعاد روحه في جسده فياتيه
ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي
الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السما ان صدق عبدي فذلك قوله
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت **ويضل الله الظالمين** الذين لم يتمسكوا بحجة
في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون اباهم
فقالوا انا وجدنا اباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل
اقدامهم اول شي وهم في الاخرة اضل وازل ويفعل الله ما يشا اي توجبه الحكمة لان
مشية الله تابعة للحكمة من تثبيت المومنين وتاييدهم وعصمتهم عند ثباتهم
وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم
بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا
مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه اخر وهو
انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين
بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم
قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر
العظيم واصابهم الله بالنعمة في الرخا والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته
فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا
يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه
هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما
بنو امية **فمتعوا الى حين** وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا
قومهم من تابعهم على دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان
قرئ ليضلوا بفتح اليا وضمها فان قلت الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ
الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان
الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجي دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق
التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون
غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون
لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال
لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يريد الخذلان والتخلية ونحوه قل

الاخوان
اي ...

وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار
قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتي
يوم لا بيع فيه ولا خلال الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السما ما فاخرج به
من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار واتاكم من

مع بكرك قليلا انك من اصحاب النار المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره
قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوزوا ان
يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا
وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا
ابتدا بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب **سرا وعلانية** قلت على الحال اي ذوي
سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر
اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفا المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب
والخلال المخالة فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه
ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا
ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقا ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا
منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى فلا يفعله الا المومنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم **لا بيع فيه
ولا خلال** اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات
والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع
الله مبتدا والذي خلق خبره ومن **الثمرات** بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو الثمرات
ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر
من اخرج لانه في معنى رزق بامره بقوله كن **دائبين** يدابان في سيرهما وانارتهما ودرئهما
الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات **وسخر لكم الليل والنهار**
يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم **واتاكم من كل ما سألتموه** من للتبعيض اي اتاكم
بعض جميع ما سألتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله
النصب على الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان يكون ما موصولة
على واتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم
سألتموه او طلبتموه بلسان الحال **لا تحصوها** لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ
اخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه
الا الله **لظلوم** يظلم النعمة باغفال شكرها **كفار** شديد الكفران لها وقيل ظلوم
في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول
الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه **هذا البلد** يعني البلد الحرام زاده الله
امنا وكفاه كل باغ ظالم واجاب فيه دعوة خليله ابراهيم **امنا** ذا امن قلت

ولم يعملوا الصلوة ويسعوا
جواب الامر

وكفا انتم
وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار
واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد

اى فرق بين قوله اجعل هذا البلد امنا وبين قوله اجعل هذا البلد امنا قلت قد سال فى
الاول ان يجعله من جملة البلاد التى يامن اهلها ولا يخافون وفى الثانى ان يخرجه من
صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله
امنا واجنبنى وبنى واجنبنى وفيه ثلث لغات جنبه الشر جنبه واجنبه فاهل
الحجاز يقولون جنبنى شره بالتشديد واهل نجد جنبنى شره واجنبنى والمعنى ثبتنا
وادمنا على اجتناب عبادتها وبنى اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت
العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسماعيل صنما واحتج بقوله واجنبنى وبنى
ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما
نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت وكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب
ان يقال طاف بالبيت انهن اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمنى وبنى
من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما يقول
فتنتهم الدنيا وغرتهم اى افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعنى على ملتى وكان حنيفا
مسلما مثلى فانه منى اى هو بعضى لفرط اختصاصه بى وملابسته لى وكذلك قوله
من غشنا فليس منا اى ليس بعض المومنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم
ومن عصانى فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصيانى اذا بدا له فيه واستحدث
الطاعة لى وقيل معناه ومن عصانى فيما دون الشرك من ذريتى بعض اولادى وهم
اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادى مكة غير ذى زرع لا يكون فيه شىء من
زرع قط كقوله قرانا عربيا غير ذى عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة
لا غير عند بيتك المحرم الذى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما
لمكانه او لانه لم يزل ممنعا عزيزا تهابه كل جبار كالشىء المحرم الذى حقه ان يجتنب
او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اى منع منه
كما سمى عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلوة اللام متعلقة
باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادى الخلا البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا
ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك
ومتعبداتك متبركين بالبقعة التى شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم
متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين
الرحمة التى اثرت بها سكان حرمك افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن
للتبعيض ويدل عليه ما روى عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس

والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك والهند ويكون من
للابتدا كقولك القلب منى سقيم يريد قلبى فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف
اليه فى هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها فى الاية نكرة لتناول بعض الافئدة وقرى افدة
وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم ادر فى ادور والثانى
ان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة او جماعات يرحلون اليهم ويعجلون
نحوهم وقرى افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف
باخراجها بين بين وان تكون من افد تهوى اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا
من قوله يهوى مخارمها هوى الاجدل وقرى تهوى اليهم على البنا للمفعول من هوى
اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدى
تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شى منها بان تجلب اليهم
من البلاد لعلهم يشكرون النعمة فى ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة فى واد
يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما
امنا يجبى اليه ثمرات كل شى رزقا من لدنه ثم فضله فى وجود اصناف الثمار فيه
على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفى اى بلد من بلاد الشرق والغرب
ترى الاعجوبة التى يريكها الله بواد غير ذى زرع وهى اجتماع البواكير والفواكه
المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد وليس ذلك من ايات الله
بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت
دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم النداء المكرر دليل التضرع
واللجا الى الله انك تعلم ما نخفى وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه
لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا وما يفسد
بنا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعا والطلب وانما ندعوك
اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا
لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدى سيده رغبة فى اصابة
معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم
فاطال عليه الالحاح فقال اذا اذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة
عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفى
من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكا والدعا وقيل ما نخفى من كابة
الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من

الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب

تكلنا قال الى الله قالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شي من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلم كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شي في كل مكان ومن للاستغراق وكانه قيل وما يخفى على الله شي ما وعلى في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله إني على ما ترين من كبري اعلم من حيث توكل الكتف وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روي انه ولد له لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مايه وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت اية لابرهيم ان ربي لسميع الدعا كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر الله ما اكرمه من اجابته فان قلت الله تعالى يسمع كل دعا اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشي كاذنه لنبي يتغنى بالقران فان قلت ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعا قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعا وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعا الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد به سماع الله ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين وتقبل دعاي اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله في قراءة ابي ولابوي وقرى سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرى الحسن بن علي ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقري لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه ادم وحوى وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يوتسى فيه بابراهيم يوم يقوم الحساب اي يوم يثبت وهو مستعار

ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وانذر

من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سال فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد امنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس انه قال كان الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني اسكنت الاية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله غافلا وهو اعلم الناس به حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت ان كان خطابا لرسول الله ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر كما جاء في الامر يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شي وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سوال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه وقرى نوخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم الهوا الخلا الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هوا اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراة ويقال للاحمق ايضا قلبه هوا قال زهير من الظلمان جوجوه هوا لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان فانت مجوف نخب هوا وعن ابن جريج افئدتهم هوا صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم ياتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم

الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك

دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال

بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم
يسألون يومئذ ان يؤخرهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق اولم تكونوا
اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم
من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وما لكم
جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من
زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار
اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا
انفسهم لان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغني
فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما
قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمأنوا
طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون
من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار
والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم
الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل
ظالم وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله
مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند
الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول
على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من
حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم
وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وقيل ان بمعنى وان كان مكرهم
مستويا لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله
وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال
مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود
وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول
منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم مخلف
وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا قيل
مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا

وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام

يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار

لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه اخلاف
المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر
الرسل ونصب الوعد وهذا في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر
ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم
او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه
المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم
دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك
بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله
تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل
تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن
عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها
وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل يخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن
ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله
عنه تبدل الارض من فضة والسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء
كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون فان قلت كيف قال الواحد القهار
قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب
لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة
والشدة مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم
مغللين وقوله في الاصفاد اما يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق
به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد
لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد ويعض بساق
القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون
الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته
الجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به
وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل
وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم
واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكلما

ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

وعده الله او عدبه في الآخرة بينه وبين ما يشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما
عذبا منه اذا الانسان والسيئات ثمه فيكرمها الواسع يعود من سخطه ونسأله التو[فيق]
نهما نجيناس غدا به وقرئ من قطرآن والقطر النحاس والصفر المذاب والآني المتناهي
حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار
على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع
على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى وتتغشى اي تتغشى ليجزي الله كل نفس
مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم
علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة
يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف
اي لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له
وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى
يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة
ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير
القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كأنه
قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقرئ ربما وربتما بالتشديد وربما
وربما بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا
على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع في تحققه
فكأنه قيل ربما ود فان قلت متى يكون ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيامة
اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا
من الودادة فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك
ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعلت
ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم
مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون
من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من

ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين

الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه
فكيف وهم يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها
على لفظ الغيبة لانه مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو
كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين
فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا ذلك ذرهم يعني اقطع
طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة
وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم
لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء
صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه
لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى
اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان
يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة
في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل
وهذه همة اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق
الهالكين ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما
كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد
لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب
كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله
ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى
وقال يستأخرون بحذف عنه لانه معلوم وقرأ الاعمش يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان
هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم
للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم
بعذاب انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول
قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر لو ما ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع
الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض
قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري
والمعنى [illegible] هلا يأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا

ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون

كما كانت تأتي الامم المكذبة برسلها قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان يأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وعلا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب واذا جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذي بعث به جبريل الى محمد ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه كقوله والله يعصمك من الناس في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعناه ارسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم بالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم وقرئ يعرجون بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح

كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا

لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين

لهم بابا من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم ونحن الوارثون الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه في دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن

وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين

وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس

تأخر وقيل المستقدمين من صفوف الجماعة والمستأخرين وروي ان امرأة حسناء كانت
من المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها
وبعض يستأخر لينظر اليها فنزلت هو يحشرهم اي هو القادر وحده على حشرهم والعالم
بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة
واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء
الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت
في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف
صل اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب
المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل
المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما ولا يكون الا منتنا
من حمإ صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمإ وحق مسنون بمعنى مصور
ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى
اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان ابا الجن كآدم للناس وقيل هو
ابليس وهو قول الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجان بالهمز من نار السموم من نار الحر الشديد
النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان
واذ قال ربك واذكر وقت قوله فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها وهيأتها لنفخ الروح
فيها ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل
ما يحيى به فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود
فغلب اسم الملائكة ثم استثني بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا وابى
على تقدير قول قائل هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن
ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ما لك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى
اي غرض لك في ابائك السجود واي داع الى ابائك اللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا
يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب
او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد
من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او الى السماء او الى جملة الملائكة
ضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما
دامت السموات والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة
في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان يعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما

قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين

يعني الفنى معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن
خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى اليوم
الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر
الى آخر ايام التكليف بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى
اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود
لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع
والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء
من غيه ومن ارادته والرضى به ونحو قوله بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم
الا انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما
ويجوز ان لا يكون قسما ونقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك
لاغوائي اقسم لافعلن لهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي
واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور
كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لآدم والتزيين
له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد
لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازيننها في
اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا
اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم
ولا يقبلون منه اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان
على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف
والفضل لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها
للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس
والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى
الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير
للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جز بالتخفيف والتثقيل وقرأ
الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب
في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجري الوصل مجرى الوقف المتقي
على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه
اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها

ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم

على ارادة القول وقرئ الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم الملائكة
الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل
على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنهم ارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة
فقال له علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك
ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له رجل كلا الله اعدل من ان
يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وقيل معناه طهر الله
قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد
والتحاب اخوانا نصب على الحال على سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم
الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما اتم ذكر الوعد
والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس
غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب
بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده
ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون
خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت
وقرئ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل
من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استيناف
في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد انك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل يعني
ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في
العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه
قال فباي اعجوبة تبشرونني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة
فباي شيء تبشرون يعني لا تبشرون في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة
بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة للبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني
باي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة لا طريقة لها في العادة وقوله
بشرناك بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه
~~او بالحق وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني~~
بادغام نون الجمع او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه
قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ

قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين

تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني وبادغام نون الجمع في
نون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلث
في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون
كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا
من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله فان قلت قوله تعالى الا
آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو اما ان يكون استثناء من قوم فيكون
منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان واما ان يكون استثناء
من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط
وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى
لاختلاف الاستثنائين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم
الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط ومعنى
ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمي في انه في معنى التعذيب
والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل
فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء
وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه
الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء
جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان
كلاما مستانفا كان ابراهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا
لمنجوهم فان قلت فقوله الا امرأته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من
الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما
يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد
الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة
دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط
متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من
استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله
قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير
معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم
اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله ه

ولما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وآتيناك بالحق وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم

قيل لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة
الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا او الامر هو الملك لا هم وانما اظهروا بذلك
اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف منكرون اي تنكركم
نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه
يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك
من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك وآتيناك بالحق
باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها
من السرى وسرى واحد صاحب الاقليد قطع من الليل في طائفة من الليل والقطع في آخر الليل قال
افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم
وقيل هو بعد ما مضى شيء صالح من الليل فان قيل ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم
عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته
عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره
وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم
وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال
المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره
مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل
بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن
مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه
فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت
او يجعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف
لان من يتلفت لا بد له في ذلك من ادنى توقفة حيث تؤمرون وقيل هو مصر وعدي
وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك
الضمير في تؤمرون المحذوف وقيل الى وعدي قضينا بالى لانه ضمن معنى
اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء
مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ الاعمش ان بالكسر
على الاستئناف وكان في قراءة عبد الله وقلنا ان دابرهم ... ودابر هؤلاء
من مسعود وقلنا ان دابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا
يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم وهي الذي ضرب بقاضيها المثل في الجور

... واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين

فتغتبر من بالملكة لا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه وجاره فقد
اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم واتقوا الله ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من
الخزي وهو الهوان او ولا تخجلوني فيهم من الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن ان تجير منهم
احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان
يقوم عليه السلام بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم
تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا
نهوه ان يستضيف احدا قط هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها
رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا
بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال لا
تعلمون ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة
فيما احل الله لكم دون ما حرم لعمرك على ارادة القول اي قالت الملائكة
للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم
بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى
البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويلتفتون الى نصيحتك وقيل
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له
والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان
الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به
كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم الصيحة صيحة
جبريل مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين عليه
كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة
بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون
في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه
فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني آثارها
لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم تندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو
تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين اصحاب الايكة قوم
شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا
عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما
لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم لما يؤتم به فسمي به الطريق وخيط البناء ومطمر

ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون

والوح الذي يكتب فيه لأنها مما يؤتى به أصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة
والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لأن من كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم
جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير وأصحابه
وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين
ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم ثم
زجر رسول الله صلى الله عليه راحلته فأسرع حتى خلفها آمنين لوثاقة البيوت
واستحكامها من أن تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الأعداء وحوادث
الدهر أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون
من بناء البيوت الوثيقة والأموال والعدد إلا بالحق إلا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة
لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال وإن الساعة لآتية
وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم فإنه
ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك فاصفح فأعرض عنهم واحتمل
ما تلقى منهم إعراضا جميلا بحلم وإغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز أن
يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا إن ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم
وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم وإن
ربك هو الذي الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك
قطع الثياب وقطع الثوب والثياب سبعا سبع آيات وهي الفاتحة أو سبع
سور وهي الطول واختلف في السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنهما في حكم سورة
واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي آل حم
أو سبع صحائف وهي الأسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لأن الفاتحة
مما يكرر قراءتها في الصلوة وغيرها أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله
الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية وأما السور والأسباع فلما وقع فيها من تكرير
القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كأنها
تثني على الله بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن إما للبيان أو للتبعيض
إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطول وللبيان إذا أردت الأسباع ويجوز أن يكون
كتب الله كلها مثاني لأنها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون
القرآن بعضها فإن قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل
هو إلا عطف الشيء على نفسه قلت إذا عني بالسبع الفاتحة أو الطول فما وراءهن

وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل
إن ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم

لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين
وقل إني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين

ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى إلى قوله بما
أوحينا إليك هذا القرآن يعني سورة يوسف وإذا عنيت الأسباع فالمعنى ولقد
آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين النعتين
وهو الثناء أو التثنية والعظم لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له إلى ما
متعنا به أزواجا منهم أصنافا من الكفار فإن قلت كيف وصل هذا بما
قبله قلت يقول لرسوله قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت
فهي إليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك أن تستغني به ولا تمدن عينيك
إلى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبي بكر رضي الله عنه
من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا
وقيل وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز
والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا
بها ولأنفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل
السبع ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا فيتقوى
بمكانهم الإسلام ويتعزز بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين
وضعفائهم وطب نفسا عن إيمان الأغنياء والأقوياء وقل لهم إني أنا النذير المبين أنذركم
ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم فإن قلت بم تعلق قوله كما أنزلنا قلت فيه
~~وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك قلت فيه وجهان~~
أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب
وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه
حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه إلى حق وباطل وعضوه
وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة
آل عمران لي ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم
وأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الإنجيل
وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله عن صنيع قومه بالقرآن
وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره
من الكتب نحو فعلهم والثاني أن يتعلق بقوله وقل إني أنا النذير المبين أي
وأنذر قريشا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على
قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الإعجاز لأنه إخبار بما سيكون

فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون

وقد جاز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أي أنذر المعضين الذين يجزئون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم فإن قلت إذا علقت قوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن إلى آخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الأمر بأن يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى وقيل هي فعلة من عضهته إذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش ويقولون للساحر عاضه ولعن رسول الله صلى الله عليه العاضهة والمستعضهة نقصانها على الأول واو وعلى الثاني هاء لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن أبي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الإبانة وقيل فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بأمرك مصدر من المبني للمفعول وعن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو أسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام أمرت أن أكفيكهم فأومى إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات وأومى إلى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب فعمي وأشار إلى أنف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه في الشجرة ويضرب وجهه بالشوك

ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه

بما يقولون من أقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح فافزع فيما نابك إلى الله والفزع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين أي الموت أي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وعن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وآله

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم

وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم أتى أمر الله أي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روي أنها لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ يستعجلوه بالياء والتاء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ عز وجل عن أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء أو عن إشراكهم على أن ما موصولة أو مصدرية فإن قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالياء والتاء ينزل وقرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة أي تتنزل بالروح من أمره أي بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد أن أنذروا بدل من الروح أي ينزلهم بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أي بأن الشأن أقول لكم أنذروا أو تكون أن مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا أنه لا إله إلا أنا أعلموا بأن الأمر ذلك من نذرت بكذا إذا علمته والمعنى يقول لهم أعلموا الناس قولي لا إله إلا أنا فاتقون ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وخلق

سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون

خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون

الانسان وما يعطيه ولا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر
حاجاته وخلق ما لا تعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره
وقرئ تشركون بالياء والتاء فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق
مجادل عن نفسه كافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حس به
ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من
يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في
كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى
الله عليه فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم الانعام الازواج الثمانية
واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز
ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم ولمصالحكم
يا جنس الانسان والدفء اسم لما يدفأ به كما ان الملء اسم لما يملأ به وهو الدفاء من
لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء
ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت تقديم الظرف في قوله ومنها
تاكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل
الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد
البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم
تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تاكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون
نتاجها والبانها وجلودها من الله تعالى بالتجمل بها كما من الله تعالى بالانتفاع بها
لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي
وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء
انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه
والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة تواري سواتكم وريشا فان
قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت
ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ عكرمة حينا
تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه
وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي وقرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها
وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر
عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف كانه

وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم

والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب

ذهب نصف قوته بما ناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم
كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل
اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم
لم يكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت فكيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله
وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه قلت طباقه من حيث ان معناه
وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة
فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه
بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرءوف رحيم
حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير
عطف على الانعام اي وخلق هذه للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل
لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في
الانعام فان قلت بم انتصب وزينة قلت لانه مفعول له وهو معطوف على محل
لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان
الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة
بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا منها اي وخلقها لتركبوها
وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا يعلم
كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته
ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار
بذلك وان طوي عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار
مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف
اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد
يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك
لا يعدل عنه وعلى الله قصد السبيل اي هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة
عليه كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر
قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما
تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرئ
عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله
بريء منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء لكم متعلق بانزل او شراب خبر له

ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس

والشراب ما يشرب شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة
لا تأكلوا ثمن الشجر فإنه سحت يعني الكلأ **تسيمون** من سامت الماشية إذا
رعت فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي
علامات بالأرض وقرئ ينبت بالياء والنون فإن قلت لم قيل ومن كل الثمرات
قلت لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة
يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة
الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ أبي بن كعب **ينبت لكم به الزرع والزيتون
والنخيل والأعناب** بالرفع وقرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات أو على أن معنى
تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل **ويبتغون** من فضله بالنهار
ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكأنه
قيل ونفعكم بها في حال كونها **مسخرات** لما خلقن له بأمره ويجوز أن يكون المعنى
أنه سخرها أنواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك
سرحه الله مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره وقرئ بنصب الليل والنهار وحده
ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله
بالنصب وقال **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** فجمع الآية وذكر العقل لأن الآثار
العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة **وما ذرأ
لكم** معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك
مختلف الهيئات والمناظر **لحما طريا** هو السمك ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه
فيسارع إلى أكله خيفة الفساد عليه فإن قلت ما بال الفقهاء قالوا إذا حلف الرجل
لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت مبنى الأيمان
على العادة وعادة الناس إذا ذكر اللحم على الإطلاق أن لا يفهم منه السمك فإذا قال
الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالإنكار ومثاله
أن الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو
حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث **حلية** هي اللؤلؤ والمرجان
والمراد بلبسهم لبس نسائهم لأنهن من جملتهم ولأنهن إنما يتزين بها من أجلهم
فكأنها زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري
الفلك بالرياح **ولتبتغوا** من فضل التجارة **أن تميد بكم** كراهة أن تميل بكم
وتضطرب **والمائد** الذي يدار به إذا ركب البحر قيل خلق الله الأرض فجعلت

والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما

ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون

تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال
لم تدر الملائكة مم خلقت **وأنهارا** وجعل فيها أنهارا لأن ألقى فيه معنى جعل
ألا ترى إلى قوله ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا **وعلامات** هي معالم الطرق
وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد **بالنجم** الجنس كقولك
كثر الدرهم في أيدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش
والجدي وقرئ وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن
والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا فإن قلت قوله وبالنجم
هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم
خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كأنه أراد قريشا كان
لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم
فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا فإن قلت من لا يخلق أريد به
الأصنام فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم خاصة قلت فيه أوجه أحدها أنهم سموها
آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم ألا ترى إلى قوله على أثره **والذين يدعون
من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون** والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق
والثالث أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم
عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعني أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم
أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة
لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا فإن قلت هو إلزام للذين عبدوا
الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق
الإلزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته
باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات
وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق **لا تحصوها** لا تضبطوا
عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك
ما عدد من نعمه تنبيها على أن وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد **إن الله لغفور رحيم**
حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم
ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها **والله يعلم ما تسرون وما تعلنون** من
أعمالكم وهو وعيد **والذين يدعون** والآلهة الذين يدعوهم الكفار **من دون
الله** وقرئ بالتاء وقرئ تُدعون على البناء للمفعول نفي عنهم خصائص الإلهية بنفي

وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون

لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون إلهكم إله واحد
فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون

كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم
مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على
الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وأمرهم
على العكس من ذلك والضمير في يشعرون للداعين أي لا يشعرون متى تبعث
عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم
وقت جزائهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف
ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون
على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها غير أحياء يعني أن من
الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا وأجساد الحيوان
التي تبعث بعد موتها فأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في
موتها وما يشعرون أيان يبعثون أي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تهكما
بحالها لأن شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي إلا الحي القيوم سبحانه
ووجه ثالث وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم
أموات أي لا بد لهم من الموت غير أحياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت
بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة إلهكم إله واحد يعني أنه قد ثبت بما تقدم
من إبطال أن يكون الإلهية لغيره وأنها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة
ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وأن قلوبهم منكرة للوحدانية
وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها لا جرم حقا أن الله يعلم سرهم وعلانيتهم
فيجازيهم وهو وعيد إنه لا يحب المستكبرين يجوز أن يريد المستكبرين عن
التوحيد يعني المشركين وأن يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت
عمومه ماذا منصوب بأنزل بمعنى أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع بالابتداء بمعنى
أي شيء أنزله ربكم فإذا نصبت فمعنى أساطير الأولين ما يدعون نزوله أساطير الأولين
وإذا رفعته فالمعنى المنزل أساطير الأولين كقولك ماذا ينفقون قل العفو فيمن
رفع فإن قلت هو كلام متناقض لأنه لا يكون منزل ربهم وأساطير الأولين قلت
هو على السخرية كقوله إن رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض أو قول المسلمين
لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله
إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم
ليحملوا أوزارهم أي قالوا ذلك إضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا

وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين
ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم

ألا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف
من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين

أوزارهم إضلالا لهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال
لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان الوزر
ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر
بغير علم حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وإنما وصف بالضلال
واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز
بين المحق والمبطل القواعد أساطين البناء التي تعمده وقيل الأساس وهذا تمثيل يعني أنهم
سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات
كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين فأتي البنيان من الأساطين بأن ضعضعت
فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل
هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان
فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى إتيان الله إتيان أمره من القواعد
من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ
فأتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا إنك من
تدخل النار فقد أخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة شركائي على الإضافة
إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون
وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني
لأن مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله قال الذين أوتوا العلم هم الأنبياء والعلماء
من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون
عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون
لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة وقرئ يتوفاهم بالياء والتاء وقرئ الذين توفاهم
بإدغام التاء في التاء فألقوا السلم فسالموا وأخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في
الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم
من الكفر والعدوان فرد عليهم أولوا العلم إن الله عليم بما كنتم تعملون فهو
يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك فادخلوا أبواب جهنم خيرا
أنزل خيرا فإن قلت لم نصب هذا ورفع الأول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب
الجاحد يعني أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال
بينا مكشوفا مفعولا للإنزال فقالوا خيرا أي أنزل خيرا وأولئك عدلوا بالجواب
عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين وليس من الإنزال في شيء وروي أن أحياء

كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة
ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين
وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا

العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد كفّه
المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا إن لم تلقه كان خيرا لك فيقول أنا شر وافد
إن رجعت إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب رسول الله
فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين أحسنوا وما
بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أي قالوا هذا القول فقدم عليه تسمية
خيرا ثم حكاه ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين وجعل قولهم من جملة
إحسانهم وحمدوا عليه حسنة مكافأة في الدنيا بإحسانهم ولهم في الآخرة ما هو
خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار
المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره جنات عدن خبر مبتدأ
محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر
والمعاصي لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم يقولون سلام عليكم قيل إذا أشرف العبد
المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام
ويبشره بالجنة تأتيهم الملائكة وقرئ بالتاء والياء فيما يعني أن تأتيهم لقبض الأرواح أو يأتي أمر
ربك العذاب المستأصل أو القيامة كذلك أي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب
فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون لأنهم
فعلوا ما استوجبوا به التدمير فأصابهم سيئات ما عملوا جزاء سيئات أعمالهم أو هو كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من أصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله
وإنكار وحدانيته بعد قيام الحجج وإنكار البعث واستعجاله استهزاء منهم به
وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني أنهم أشركوا
بالله وحرموا ما أحل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا
لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم أي أشركوا
وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل إلا
أن يبلغوا الحق وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على
بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من أفعال العباد وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم
واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم
عليه ولقد أمد إبطال قدر السوء ومشيئة الشر بأنه ما من أمة إلا وقد بعث فيهم
رسولا يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادة الله تعالى وباجتناب الشر الذي هو
طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله أي لطف به لأنه عرفه من أهل اللطف

ومنهم من حقت عليه الضلالة أي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لأنه عرفه
مصمما على الكفر لا يأتي منه خير فسيروا في الأرض فانظروا ما فعلت بالمكذبين
حتى لا يبقى لكم شبهة في أني لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث أفعل ما أفعل بالأشرار ثم ذكر
عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمانهم وعرفه أنهم من قسم من حقت
عليه الضلالة وأنه لا يهدي من يضل أي لا يلطف بمن يخذل لأنه عبث والله متعال
عن العبث لأنه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى أي لا يقدر أحد ولا أحد
على هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان
الذي هو نقيض النصرة ويجوز أن يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى
وفي قراءة أبي فإن الله لا هادي لمن يضل ولمن أضل وهي معاضدة لمن قرأ لا يهدى
على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله لا يهدي بإدغام التاء ... وهي معاضدة
للأولى وقرئ يضل بالفتح وقرأ النخعي إن تحرص بفتح الراء وهي لغة وأقسموا بالله
معطوف على وقال الذين أشركوا إيذانا بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان
بأن تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشيئة الله تعالى وإنكارهم البعث مقسمين
عليه بلى إثبات لما بعد النفي أي بلى يبعثهم ووعدا مصدر مؤكد لما دل عليه
بلى لأن يبعث موعد من الله وبين أن الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة
ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب على الله تعالى لأنهم
يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم
متعلق بما دل عليه بلى أي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين
الذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين في قولهم لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز أن يتعلق
بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وأنهم
كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب قولنا مبتدأ وأن نقول
خبره كن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود إذا أردنا وجود شيء فليس
إلا أن نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لأن مرادا
لا يمتنع عليه وأن وجوده عند إرادته غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر
الآمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى أن إيجاد
كل مقدور على الله عز وجل بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من
شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا هم رسول الله وأصحابه

وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون افامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او ياخذهم

ظلمهم اهل مكة فرّوا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما خرجوا اتبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لاهل مكة اني رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف وقد خلقها فما ظنك به لنبوئنهم صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا اي هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملائكة فاسالوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحى اي يوحى اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسالوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة

واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم يعني ما انزل الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتاملوا مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته قال زهير

تخوف الرحل منها تامكا قردا … كما تخوف عود النبعة السفن

اي ياخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم لرؤوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم وقرئ اولم يروا وتتفيؤا بالياء والتاء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤا ظلاله واليمين بمعنى الايمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى او لم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها الله له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود

في تقلبهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف فان ربكم لرءوف رحيم اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة

المكلفين طاعتهم وعبادتهم ويسجد غيرهم انقياده لارادة الله تعالى وانها غير ممتنعة
عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما
بلفظ واحد فان قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم
قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة
فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير
في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا
له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه
يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون
ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه
دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر
المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما
وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن
الدلالة على العدد الخاص واما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما
دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله
الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية
والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه
الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى
انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا
الوحدانية واياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغالب
هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبون
ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف
والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم
عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك
سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب
وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه
تجارون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال
الاعشى يصف راهبا: يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا
وقرئ تجارون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرئ قتادة كاشف الضر على

فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة فان قلت
فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله
وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون للمشركين
ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون
فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم
من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا
فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا
ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام
لام الامر لما لا يعلمون اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون
فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر
ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير موصوفة
بالعلم اي لا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون
لهم ذلك تقربا اليهم لتسالن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها
آلهة وانها اهل للتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه
تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني
البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على
البنات اي جعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور ظل بمعنى صار كما يستعمل
بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل
فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا
على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل سوء المبشر به ومن
اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسكه ما بشر به على هون على هوان وذل ام يدسه
في التراب ام يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التانيث وقرئ على هوان
الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم
من هو على عكس هذا الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور
وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ
ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو
الجواد الكريم بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة

ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم
النار وانهم مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم

قط ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع
رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت
في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك
في جحره بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس رضي الله عنه من دابة من
مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم تكن الابناء ويجعلون لله ما
يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم
والتهاون برسالاتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف
السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي
عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم
القيمة اذا قال الله هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب
والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق
وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك الموقف وقرئ هذه الآية وعن مجاهد رضي الله
عنه ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب
وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون قرئ بفتح الراء ومكسورها
مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا
وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي
اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط
في الطاعات وما يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم
الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا
ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الآتية
وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر
لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار
قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف
اي فهو ولي امثالهم اليوم وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا
على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين
لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل
المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد

فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا
فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في
ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا

الطلب واشباهها من التحريم والتحليل والانكار والاقرار لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر
لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف
في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير
اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في
الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا
مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه
يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع وقرئ
نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين
فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما
برزخ من قدرة الله تعالى لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص
من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان
اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة
تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش فسبحان الله
ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز
العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين الفرث والدم سائغا سهل المرور في الحلق
ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين
فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في
بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث
والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته
من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي
كائنا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له
وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى
ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية وانه ليس بمستنكر
ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا
فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره
ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم
قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او يتعلق بتتخذون
ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون

خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون

وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل
الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء

صفة موصوف محذوف كقوله جادت بكفي كان من أرمى البشر تقديره ومن ثمرات
النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون
من بعضها السكر فإن قلت فالام يرجع الضمير في منه إذا جعلته ظرفا مكررا قلت
إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى أو هم قائلون إلى الأهل
المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا
وجاؤونا بهم سكر علينا فأجلى اليوم والسكران صاح وفيه وجهان أحدهما
أن تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني أن يجمع بين العتاب
والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب
ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي حنيفة رحمه الله إلى حد السكر ويحتج بهذه الآية
وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة ولقد صنف شيخنا
أبو علي الجبائي غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شاخ وأخذت منه السن العالية قيل له لو شربت
منه ما تتقوى به فأبى فقيل له قد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة
فتسمج في المروة وقيل السكر الطعم وأنشد: جعلت أعراض الكرام سكرا
أي تنقلت بأعراضهم وقيل هو من الخمر وأنه إذا ابترك في أعراض الناس فكأنه تخمر بها والرزق
الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز أن يجعل السكر رزقا حسنا كأنه
قال تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن وأوحى إلى النحل ألهمها والقذف في قلوبها
وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه وإلا فنيقتها في صنعتها
ولطفها في تدبير أمرها وإصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على أن الله تعالى
أودعها علما بذلك وفطنها كما أولى العقول عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب النحل
بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتأنيثه على المعنى أن اتخذي هي المفسرة لأن الإيحاء
فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء لأجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون
من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي
تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فإن قلت فما معنى من في قوله أن اتخذي من
الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت أريد معنى
البعضية وأن لا تبني بيوتها في كل جبل وفي كل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان
منها من كل الثمرات إحاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد أكلها أي
ثم كلي أكل ثمرة تشتهيها فإذا أكلتها فاسلكي سبل ربك أي الطرق التي ألهمك
الله وأفهمك في عمل العسل أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك أي مسالكه

لكل ثمر ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل
العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض في الرزق

الزهر

التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك ومنافذ مأكلك أو إذا أكلت الثمار
في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر
عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر إلى البلد
البعيد في طلب النجعة وأراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في
طلبها في مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لأن الله تعالى
ذللها لها ووطأها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا أو من الضمير
في فاسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل لأنه
مما يشرب مختلف ألوانه منه أبيض وأصفر وأحمر وأسود فيه شفاء للناس لأنه من
جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر
الأطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك
وتنكيره إما لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن
النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا جاء إليه فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل
فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله
وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كأنما أنشط من عقال وعن عبد الله
بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين
القرآن والعسل ومن بدع الرافضة أن المراد بالنحل علي كرم الله وجهه وقومه وعن بعضهم
أنه قال عند المهدي إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله
طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه
أضحوكة من أضاحيكهم إلى أرذل العمر إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة عن
علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لأنه لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم لكيلا
يعلم بعد علم شيئا ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وأن يعلم شيئا ثم يسرع
في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الأول شيئا وقيل لئلا
يعلم زيادة علم على علمه أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق
مماليككم وهم بشر مثلكم وإخوانكم فكان ينبغي أن تردوا فضل ما
رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن أبي ذر أنه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما هم إخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم
مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من
غير تفاوت أفبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو

فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون

والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون

مثل ضربه للذين جعلوا له شركا فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركا فلا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركا وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سوا فلا تحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرئ تجحدون بالتاء والياء من انفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حوا من ضلع آدم والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال

حفد الولائد بينهن واسلمت بأكفهن ازمة الاجمال

واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المراه من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شي معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فاذا اردت المصدر نصبت به شيئا كقوله او اطعام يتيما على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الالهة بعدما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احيا متصرفون اولو الباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله ولا يملك وهل هما الا شي واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم مطلقا

ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون

وضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون

موات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذي جركم اليه وجراكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شا فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شي وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شي فليجعله غير مكاتب ولا مأذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الاحرار والعبيد الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيث ما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لا يأت بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنياوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجه الق سعدا اضرب لمن تلقاها لشرابه شكرا وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه اينما يوجه على البنا للمفعول ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشي الذي تستقربونه هو كلمح البصر

وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شي وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شي قدير

والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون الم يروا الى الطير مسخرات في جو السما ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا

او هو اقرب اذا الحكم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله
وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم
بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحيا واحيا الاموات من الاولين والآخرين
يكون في اقرب وقت واوحاه ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم
الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال
امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امهات كما زيدت في اراق فقيل
اهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا
موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم
وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب
فيكم هذه الاشيا الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم
والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم
والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع
الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جا شسوع في جمع شسع لا غير
فجرت ذلك المجرى الم يروا بالتاء والياء مسخرات مذللات للطيران بما خلق الله
لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك في جو الهوا المتباعد من الارض
في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن
ووقوفهن الا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية
وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت
او الف بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة
المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون
خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها
او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت اثاثا
ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان تبلى او الى
ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات اكنانا
جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف
وسرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم
الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا
محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم

تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا

سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون

يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون
اي تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة
اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من
الجراح بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعدما اديت ما
وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمت
الله التي عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم
بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من
آبائنا وقيل قولهم لولا فلان لما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو
هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم
الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا
يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما
معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة
ان يعترف لا ان ينكر شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب
ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة
لهم ولا عذر وكذا عن الحسن رضي الله عنه ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون
اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت
معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبيا عليهم بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون
الكلام فلا يؤذن لهم في القا معذرة ولا ادلا بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره
واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا رأوا العذاب
عذابهم وثقل عليهم ولا هم ينظرون ... بغتة فتبهتهم ... ان ارادوا
بالشركا آلهتهم ... شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركا وان ارادوا الشياطين
فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي ندعوا نعبد فان قلت لم قالوا
انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم
فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة بل كانوا يعبدون الجن يعني
ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم
شركا وآلهة تنزيها لله تعالى من الشرك وان اريد بالشركا الشياطين جاز ان
يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما
اشركتمون من قبل والقوا يعني الذين ظلموا الى الله السلم الاستسلام لامر الله وحكمه

واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم

بعد الإباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من
ان لله عز وجل شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا
منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم
كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال
البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من
النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم
مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه
كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك
تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن
فان قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور
الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع
غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وآله لامته اتباع اصحابه والاقتداء
بآثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطأوا
طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة
الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء العدل هو الواجب لان الله
عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب
وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت فقال
افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه
استقيموا ولن تحصوا فلا ينبغي ان تترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفحشاء
ما جاوز حد الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين
اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين رضوان الله عليه اقيمت هذه
الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها
غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن
مظعون عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وآله على الاسلام ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا ايمان البيعة بعد توكيدها
بعد توثقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة

بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا
في نقض الايمان كالمرأة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته
انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت
خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت
تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال
ودخلا احد مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي
مفسدة ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش اربى من
امة هي اربى ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به
الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر
اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة
لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم
وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة حنيفية مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن
الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه
ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار
وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي
لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كان هو
المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان
دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يرتكب منه فتزل قدم بعد ثبوتها
فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم
عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان
البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم
في الآخرة كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة
قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا
من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله فثبتهم الله ولا تشتروا ولا
تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت
قريش تعدهم وتمنيهم ان رجعوا ان ما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم

ومن ثواب الآخرة خير لكم ما عندكم من أعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ لنجزين بالنون والياء الذين صبروا على أذى المشركين ومشاق الإسلام فإن قلت لم وحّدت القدم ونكّرت قلت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن تثبت عليه فكيف بأقدام كثيرة فإن قلت من متناول بنفسه للذكر والأنثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح على الإطلاق للنوعين إلا أنه إذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر وأنثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا إن كان موسرا فلا مقال فيه وإن كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضى بقسمة الله عز وجل وأما الفاجر فأمره على العكس إن كان معسرا فلا إشكال في أمره وإن كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وعن ابن عباس رضي الله عنه الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن رضي الله عنه القناعة وعن قتادة رضي الله عنه يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله إيذانا بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقوله إذا أكلت فسم الله تعالى فإن قلت لم عبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل قلت لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان أي تسلط وولاية على أولياء الله تعالى يعني أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته إنما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير يرجع إلى ربهم ويجوز أن يرجع إلى الشيطان على معنى بسببه تبديلا لآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع

بالشرائع لأنها مصالح وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عز وجل عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون إن محمدا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ويأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الأشق بالأهون والأهون بالأشق والأهون بالأهون والأشق بالأشق لأن الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة فإن قلت هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن القرآن إنما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والإجماع والقياس قلت فيه أن قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على أن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في إيجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله وأما الإجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها فيما ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح إشارة إلى أن التبديل من باب المصالح كالتنزيل وأن ترك النسخ بمنزلة إنزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة روح القدس جبريل صلوات الله عليه أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال أي نزله ملتبسا بالحكمة يعني أن النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على أن الله تعالى حكيم فلا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وإرشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف أرادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وكان صلى الله عليه إذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لأحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي لسان اللغة ويقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود إذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه

أعجمي وهذا لسان عربي مبين إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله
ولهم عذاب أليم إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون

ثم استعمل لكل إمالة عن استقامته فقالوا ألحد فلان في قوله وألحد في دينه ومنه
الملحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله عن دين إلى دين والمعنى لسان
الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان **أعجمي** غير بين **وهذا** القرآن **لسان عربي**
مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وإبطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح اليا
والحا وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون إليه بتعريف اللسان فإن قلت الجملة
التي هي قوله لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ما محلها قلت لا محل لها لأنها مستأنفة
جواب لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله وإذا جاءتهم
آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله **إن الذين لا يؤمنون بآيات الله**
أي يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون **لا يهديهم الله** تعالى لا يلطف بهم لأنهم من
أهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من أهل اللطف والثواب **إنما**
يفتري الكذب ردا لقولهم إنما أنت مفتر يعني إنما يليق افتراء الكذب
بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقابا **وأولئك** إشارة إلى قريش **هم الكاذبون** أي
هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون أو إلى الذين لا يؤمنون أي أولئك هم
الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم
الكذب أو أولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا
تحجبهم عنه مروة ولا دين أو أولئك هم الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر **من**
كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون
اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى إنما يفتري الكذب من كفر بالله من
بعد إيمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال **ولكن**
من شرح بالكفر صدرا أي طاب به نفسا واعتقده **فعليهم غضب من الله**
ويجوز أن يكون بدلا من المبتدأ الذي هو أولئك على تقدير من كفر بالله بعد
إيمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذي هو الكاذبون على تقدير وأولئك هم
من كفر بالله من بعد إيمانه ويجوز أن ينتصب على الذم وقد جوزوا أن يكون
من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لأن جواب من شرح دال عليه كأنه
قيل من كفر بالله فعليهم غضب إلا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا
فعليهم غضب روي أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الإسلام بعد
دخولهم فيه وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد
للإيمان منهم عمار وأبواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فأما

من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم

ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين
أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم

سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا إنك أسلمت من أجل الرجال
فقتلت وقتل ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا
بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله إن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا
من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وآله
وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه يمسح عينيه وقال ما لك إن عادوا لك
فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي أكرهه سيده فكفر ثم أسلم مولاه وأسلم وحسن
إسلامهما وهاجرا فإن قلت أي الأمرين أفضل فعل عمار أم فعل أبويه قلت
فعل أبويه لأن في ترك التقية والصبر على القتل إعزازا للإسلام وقد روي أن مسيلمة أخذ
رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنت
أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال
أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له **ذلك**
إشارة إلى الوعيد وأن الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا
على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله تعالى بكفرهم **وأولئك هم** الغافلون
الكاملون في الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي
غاية الغفلة ومنتهاها **ثم إن ربك** دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك
وهم عمار وأصحابه ومعنى إن ربك لهم أنه لهم لا عليهم بمعنى أنه وليهم وناصرهم
لا عدوهم وخاذلهم كما يكون للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور
من بعد ما فتنوا بالعذاب والإكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل أي
بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي وأشباهه من بعدها من بعد هذه الأفعال
وهي الهجرة والجهاد والصبر **يوم تأتي** منصوب برحيم أو بإضمار اذكر فإن قلت
ما معنى النفس المضافة إلى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي
نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الأولى هي الجملة والثانية عينها
وذاتها فكأنه قيل يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل
يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا
ما كنا مشركين ونحو ذلك **وضرب الله مثلا قرية** أي جعل القرية التي هذه
حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وأنزل الله
تعالى بهم نقمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى

أنهم في الآخرة هم الخاسرون ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم
يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة

مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه

الا ولي قريه كانت هذه حالها ضربها الله مثلا لمكه انذارا من مثل عاقبتها
مطمئنه لا يزعجها خوف لان الطمانينه مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف
رغدا واسعا والانعم جمع نعمه على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع
نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم
بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقه واللباس استعارتان
فما وجه صحتهما والاذاقه المستعاره موقعه على اللباس المستعار فما وجه
صحه ايقاعها عليه قلت اما الاذاقه فقد جرت عندهم مجرى الحقيقه لشيوعها
في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه
العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما
اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض
الحوادث واما ايقاع الاذاقه على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عباره عما
يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم
في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطه بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما
احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير
غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف
لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف
المعروف والنوال لا صفه الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه
الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر
اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار
ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي
الرداء اذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين
تتوفاهم الملائكه ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاه النقمه والموت على
الغفله وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامه المضاف
اليه مقامه واصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال
القريه وما ابتليت به من كفرها وسوء صنيعها وصل به الفاء في قوله فكلوا
صدهم عن افعال الجاهليه ومذاهبهم الفاسده التي كانوا عليها بان امرهم
باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه

فأخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله
إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير

وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ولا تقولوا
لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب

تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعباده الالهه لانها
شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم
وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا
على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمه في قولكم
ما في بطون هذه الانعام خالصه لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد
ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا
تقولوا لما احل الله تعالى هو حرام وقولك هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب
ويجوز ان يتعلق بتصف على اراده القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه
السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل
ما مصدريه وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال
وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحلوا لاجل قول تنطق به
السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجه وبينه ولكن قول ساذج ودعوى
فارغه فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت هو من فصيح الكلام
وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حليت
الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها
تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفه لما المصدريه كانه قيل لوصفها الكذب
بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم
بالحل والحرمه وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفه للالسنه وبالنصب على
الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او جمع الكذاب من قولك كذب كذابا
ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل
خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهليه منفعه قليله وعقابها
عظيم ما قصصنا عليك يعني في سوره الانعام بجهاله في موضع الحال اي
عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبه لغلبه
الشهوه عليهم من بعدها من بعد التوبه كان امه فيه وجهان احدهما انه
كان وحده امه من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله
وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد رضي الله عنه
كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امه بمعنى مأموم يعني
يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحله والنخبه وما اشبه
اي يؤمه

إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم وعلى الذين هادوا حرمنا
ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم إن ربك للذين
عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم إن إبراهيم كان أمة

ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما

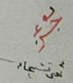
ذلك مما جاء في فُعْلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابراهيم صلوات الله عليه فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو الخير والقانت القائم بما امره الله به والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم **شاكرا لانعمه** روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم **اجتباه** اختصه واصطفاه للنبوة **وهداه الى صراط مستقيم** الى ملة الاسلام **وآتيناه في الدنيا حسنة** عن قتادة رضي الله عنه هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم **وانه في الآخرة لمن الصالحين** لمن اهل الجنة **ثم اوحينا اليك** في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابراهيم عليه السلام من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله تعالى عليه بها **السبت** مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله تعالى عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو انذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته فان قلت ما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلافهم في

كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله انا انزلنا السبت **ادع الى سبيل ربك** الى الاسلام **بالحكمة** بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة **والموعظة الحسنة** وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة **وجادلهم بالتي هي احسن** بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف **ان ربك هو اعلم** بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ **وان عاقبتم** فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم وروي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد ووصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وعلا فمن عفى واصلح فاجره

ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين

واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عم واصبر انت فعزم عليه الصبر
وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك ولا تحزن
عليهم اي على الكفرين كقوله فلا تأس على القوم الكفرين او على المؤمنين وما
فعل بهم الكفرون ولا تك في ضيق وقرى ولا تكن في ضيق اي ولا تكن
في ضيق اي ولا تضيق صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق
ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين
اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن
هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي
اوصيكم بخواتم سورة النحل وعن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة النحل لم
يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من
الاجر كالذي مات واحسن الوصية



سورة بني اسرايل مكية وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره
اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه من
جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله تعالى واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على
الظرف فان قلت الاسرى لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد
بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرى وانه اسرى به في بعض الليل من مكة
الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية
ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به
يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد
الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه بينا انا في المسجد الحرام في
الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل اسري به من
دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به
وعن ابن عباس رضي الله عنه الحرم كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت
ام هاني بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هاني
وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هاني بثوبه

الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا

فقال مالك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج
فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه بحديث الاسرى فقال ابو جهل
يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا
وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال
ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي
الصديق وفيهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس وطفق ينظر
اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم
بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا
يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال
اخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا
ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت
المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت
المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسرى فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن
انس والحسن رضي الله عنهما انه كان قبل البعث واختلفوا في انه كان في اليقظة
ام في المنام فعن عايشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى
الله عليه ولكن عرج بروحه وعن الحسن رضي الله عنه كان في المنام رؤيا رآها واكثر
الاقاويل بخلاف ذلك الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن وراءه مسجد
باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط
الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقرى الحسن ليريه بالياء ولقد
تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة
الحسن ثم من آياتنا انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو
السميع لاقوال محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه
ويقربه على حسب ذلك الا تتخذوا وقرى بالياء على لئلا يتخذوا واي التي لا تتخذوا
كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من
حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرى لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا
لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية
من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا
الملئكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وذرية

من حملنا بالرفع بدلا من واو يتخذوا وقرئ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي
عنه انه فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء ابائهم من الغرق
انه اي نوحا كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي
اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني
واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال
الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني
اذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه
على من امن به فان وجده محتاجا اثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا
ما وجه ملائمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا
بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه
اسوتكم كما جعله اباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم
والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح عليه السلام فهم متصلون به فاستاهلوا
لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد
وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون
في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوراة لتفسدن
جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن
جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن
بفتح التاء من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم
سخط الله والاخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عبادا لنا وقرئ
عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بخت
نصر وعن ابن عباس رضي الله عنه جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا
المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة
على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم
على ان الله تعالى اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم
واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق
التوراة من جملة الجوس المسند اليهم وقرئ فحاسوا بالحاء وقرئ وجوسوا
وخلل الديار فان قلت ما معنى وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما

وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم
الكرة اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت
نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت
اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز
اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي
رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد المرة الاخرة بعثناهم
ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية
اثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله
عز وجل او للوعد او للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن
وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو بعثناهم
ليدخلوا وليسوءن جواب اذا جاء والمفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه
واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم
توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا
فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن رحمه الله عادوا
فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة رضي
الله عنه ثم كان اخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في
عذاب الى يوم القيامة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن رضي الله
عنه بساطا كما يبسط الحصير المرمول للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات
واشدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده
مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف
فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس
حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك
قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه
بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان
الذين لا يؤمنون معذبون اي ويدعو الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه واهله
وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير
وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني
المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل

فقال لهم ما لك كاد تشكى الى القيد فأرخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب
فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعى به فاعلم بشانه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها
فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان تقطع الله تعالى يديها فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب
كما يغضب البشر فلترد سودة يديها او يكون ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو
بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعوا بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا
يعني ان العذاب اتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنه هو النضر
الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب له فضربت عنقه صبرا
فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار ايتان في انفسهما فتكون الاضافة في اية
الليل واية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الاية التي هي الليل وجعلنا
الاية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين يريد الشمس
والقمر فمحونا اية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء لطموسه مظلما لا يستبان فيه شي
كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشيا وتستبان او
فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشيا رؤية
بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوءها كل شي لتبتغوا فضلا من ربكم
لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف
الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك
لما علم احد حساب الاوقات ولتعطلت الامور وكل شي مما تفتقرون اليه في
دينكم ودنياكم فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم
حجة علينا طائره عمله وقد جمعنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك
طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم
القلادة او الغل لا ينفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم
الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا ابن ادم بسطت لك صحيفة اذا
بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ نخرج بالنون
ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البنا للمفعول ومن خرج والضمير للطائر
اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد
مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا
حال من يلقاه اقرأ على ارادة القول وعن قتادة رضي الله عنه يقرأ ذلك اليوم

من لم يكن في الدنيا قارئا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب
القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب
عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان
الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد
والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى
بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتاول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وعن
الحسن رضي الله عنه اذا قراها قال يا ابن ادم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك
كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما
صح منا صحة تدعوا اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا
فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لان معهم ادلة العقل
التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب
لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفالهم الشرائع التي لا
سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول من
جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا
بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاك
قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا
والامر مجاز لان حقيقته امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون
فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة
الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه
وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر
كما خلقهم اصحا اقويا واقدرهم على الخير والشر وطلب ايثار الطاعة على
المعصية فاثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب
فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف
ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور
به انما حذف لان ففسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته
فقرأ لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت
من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم على هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري
لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان

وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد
العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا

محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام غير
مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مأمورا به وكأنه
يقول كان مني امر فلم يكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر
وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله تعالى لا يأمر
بالفحشاء وانما يأمر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك
لان قوله ففسقوا يدافعه فكأنك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان
صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه
الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك
تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد
دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك
الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد
فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فأمر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي
الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا
من المشركين قال لرسول الله اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلام انه سيأمر اي
سيكثر وقرئ آمرنا من أمر وأمره غيره وأمّرنا بمعنى امرنا او من الامارة
وامّره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم وكم اهلكنا من القرون
بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك
كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب
الهلكة لا غير وانه عالم بها ومعاقب عليها من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها
كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر
تقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون
ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع
عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة
فما يبالي اوتي حظا من الدنيا او لم يؤت فان اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا
له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان
الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق
اذا بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد
من الدهماء مما يريده الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي

ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد
هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض

والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال فمن كانت هجرته الى الله
ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه مدحورا
مطرودا من رحمة الله تعالى سعيها حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة
اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همه ويتجافى
عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن
بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب
وتلا هذه الآية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين
عوض من المضاف اليه نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف
لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء
ربك محظورا اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف
جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي ذلك دليل على انهم في الآخرة اشد تفاوتا واكثر لانها ثواب واعواض
وتفضل وكلها متفاوتة وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر
رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو
انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطأنا وهذا
باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم
في الجنة اكثر وقرئ واكثر تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع في مجالس الدنيا
اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل فتقعد من قولهم
شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك
الذم وما يتبعه من الهلاك من إلهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته
شريكا له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا الا اياه أن مفسرة ولا
تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا وبالوالدين احسانا او بان تحسنوا
بالوالدين احسانا وقرئ واوصى وعن ابن عباس رضي الله عنه ووصى وعن بعض
ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان
المصدر لا يتقدم عليه صلته اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولهذا
ادخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن
زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه واحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان
بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا
فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا

وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما

اذ كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل
من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا اه

فما لك زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم
في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت ما لو جعلته توكيدا مع كون
المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل
كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل
الاول أف صوت يدل على تضجر وقرئ **أف** بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على
اصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ فان قلت ما معنى عندك
قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده
في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا
يتوليان منه في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وطاة الخلق ولين الجانب
والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما أف فضلا
عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في هذه التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان
اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى
لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال
لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة **ولا تنهرهما** ولا تزجرهما عما يتعاطيانه
مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات **وقل لهما** بدل التافيف والنهر **قولا**
كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروءة وقيل هو ان تقول يا اباه
يا اماه كما قال ابرهيم عليه السلام لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من
الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار قالوا ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة
رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا وقرئ **جناح الذل** والذل بالضم والكسر فان قلت
ما معنى قوله جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض
لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل
كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثاني
ان تجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما
مبالغة في التذلل والتواضع لهما **من الرحمة** من فرط رحمتك لهما وعطفك
عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا
تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله ان يرحمهما رحمته الباقية
واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان قلت
الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين قلت واذا كانا كافرين فله ان يسترحم

لهما بشرط الايمان وان يدعو الله تعالى لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال
الدعاء للكافر جائز ما لم ينسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل
ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم
الله به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي
يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل
الجنة وروي سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما
قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد
موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ
يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت
لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي
بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك
لابيك انت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة
الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك
حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت ليلها واظمأت نهارها
قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة وعن
ابن عمر رضي الله عنه انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول ان لها المطية
لا تذعر اذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتني اكثر الله ربي ذو
الجلال الاكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر قال لا ولا زفرة واحدة وعنه عليه السلام
اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد
ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله
رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله
فعل ولا يناوله الخمر وياخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي يوسف رحمه الله اذا
امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة انه استأذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يله غيرك وسئل
الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل
بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة

منك في ظاهر ولا باطن وان يترحم عليهما ما عاشا ويدعو لهما اذا ماتا ويقوم بعد موته
او دائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه
بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من
التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند
حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم انبتم
الى الله واستغفرتم منها فانه كان للاوابين للتوابين غفورا وعن سعيد بن جبير
رضي الله عنه هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد
بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما
لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته
لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية
بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين
عن الكسب وكان الرجل موسرا عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي لا يرى النفقة الا على الولد
والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم
بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك
والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على
ان المراد بما تؤتى ذوي القربى من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقرباء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تبذر تبذيرا التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف
وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر
ذلك في اشعارها فامر الله تعالى بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن
عبد الله هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد رضي الله عنه لو انفق مدا في باطل
كان تبذيرا ولقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في
السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد
وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد فقال أوفي الوضوء سرف قال نعم وان
كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة
لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم
به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه
كفورا فما ينبغي ان يطاع لانه لا يدعو الا الى مثل فعله وذكر الحسن رضي الله عنه
اخوان الشيطان وان اعرض عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء

الرد

الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا سئل وليس عنده شيء اعرض عن السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك
اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا
رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها
برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من
ربك ترجو ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع
الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع
المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم
ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية
بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل
سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله
على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه
يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف
والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند
الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة
وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من
حسره السفر اذا اثر فيه وحسره بالمسألة وعن جابر رضي الله عنه بينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم جالس اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد
الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل
داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال رضي الله عنه وانتظر فلم
يخرج للصلاة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس
بن مرداس وانشأ يقول

اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه
ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة
والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هو من امر الله الذي الخزائن

ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا

واما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وجل بسط لعباده او قبض فانه
يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه
فاستنوا بسنته قتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم وكانوا يئدونهن خشية
الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله تعالى وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر
الخاء وقرئ خطئا وهو الاثم يقال خطئ خطئا كأثم إثما وخطأ وهو ضد الصواب
اسم من اخطئ وقيل هو والخطء كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد
وخطأ بالفتح وخطأ بالفتح والسكون وعن الحسن رضي الله عنه خطاء بالفتح والمد
كالخطء وعن ابي رجا بكسر الخاء غير مهموز فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح
وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك امرأته او اخته او ابنته
من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله الا بالحق الا باحدى ثلث
الاثلاث بكفر او بقتل مؤمنا عمدا او بزني محصنا بعد احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن
لوليه الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن ولي فالسلطان
وليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبتها عليه فلا يسرف الضمير
للولي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل
منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع
نعل كليب وقال كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون
غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة
فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد
رضي الله عنه ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل
المظلوم وفي قراءة ابي رضي الله عنه فلا تسرفوا ردّه على ولا تقتلوا انه كان منصورا
الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على
ذلك وبان الله قد نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق
فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب له القصاص بقتله وينصره
في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب
القصاص على المسرف بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه
عليه وتثميره ان العهد كان مسؤولا اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه
ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك
تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب

العهد

فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك

العهد كان مسؤولا وقرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل
ميزان صغيرا او كبيرا من موازين الدراهم وغيرها واحسن تأويلا واحسن عاقبة
وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا
تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك
من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال
والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن
التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية
شهادة الزور وعن الحسن رضي الله عنه لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول
هذا يفعل كذا ورأيته يفعل كذا وسمعته ولم تره ولم تسمع وقيل القفو
شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في
ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وانشد ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحياء
لا يشعن التقافيا اي التقاذف وقال الكميت
ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا
وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع
غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد
كقوله والعيش بعد اولئك الايام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية
اي كل واحد منها كان مسؤولا عنه فمسؤول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب
في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه
ولم نظرت ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه وقرئ
والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب
مع الفتح مرحا حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على
اسم الفاعل لما فيه من التأكيد لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك
وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو
تهكم بالمختال وقرئ سيئة وسيئه على اضافة سيئ الى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف
وسيئات وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان شأنه فان قلت كيف قيل
سيئة مع قوله مكروها قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال
عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة وسيئا
الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها

ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها

ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا
أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما
ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون

المذكورة فإن قلت فهلا ذكرت الخصال بعضها سيئة وبعضها حسن ولذلك
قرأ من قرأ سيئه بالإضافة فما وجه من قرأ سيئة قلت كل ذلك إحاطة بما نهي
عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة وذلك إشارة إلى ما تقدم من قوله ولا تجعل
مع الله إلها آخر إلى هذه الغاية وسماه حكمة لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد
بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى
عليه السلام أولها لا تجعل مع الله إلها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل
شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ولقد جعل الله عز وعلا فاتحتها وخاتمتها
النهي عن الشرك لأن التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه
حكمه وعلومه وإن بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة
أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم أفأصفاكم ربكم خطاب للذين قالوا
الملائكة بنات الله والهمزة للإنكار يعني أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء
بأفضل الأولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ أدونهم وهي
البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فإن العبيد لا يؤثرون
بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أردؤها وأدونها للسادات إنكم
لتقولون قولا عظيما بإضافتكم إليه الأولاد وهي خاصة بالأجسام ثم
بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة
وهم أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق الله وهم الإناث ولقد صرفنا في هذا
القرآن يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات لأنه مما صرفه
وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وأوقعنا التصريف فيه وجعلناه
مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير
لأنه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا ومخففا
أي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم إلا نفورا
عن الحق وقلة طمأنينة إليه وعن سفيان رضي الله عنه كان إذا قرأها قال زادني لك
خضوعا ما زاد أعداءك نفورا وقرئ كما تقولون بالياء والتاء وإذا دالة على أن ما بعدها
وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا إلى ذي العرش
سبيلا لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم
مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل لتقربوا إليه كقوله

إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع
والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
إنه كان حليما غفورا

أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة
من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد
مما وصفوه والمراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته
وحكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء
وغيرها فإن قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفهوم
معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات
والأرض قالوا الله إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم لم ينظروا
ولم يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه
فإذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فإن قلت من فيهن يسبحون
على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والأرض فما وجهه
قلت التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه وإلا كانت الكلمة
الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز إنه كان حليما غفورا
حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم
حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو إفعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو
مستور ويجوز أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب
يستر أن يبصر فكيف يبصر المحتجب وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا
قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
كأنه قال وإذا قرأت القرآن جعلنا على قلوبهم أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه أو لأن
قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة فيه معنى المنع من الفقه فكأنه قيل ومنعناهم
أن يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده
من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد
الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية
أو جمع نافر كقاعد وقعود أي يحبون أن تذكر معه آلهتهم لأنهم مشركون
فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن
ومن اللغو كان يقوم عن يمينه إذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم
عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار به في موضع الحال كما
تقول يستمعون بالهزء أي هازئين وإذ يستمعون نصب بأعلم أي أعلم وقت
استماعهم بما به يستمعون وإذ هم نجوى وبما يتناجون به إذ هم ذوو نجوى

وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة
أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا
نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى

اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال
فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا

اذ يقول بدل من اذ هم نجوى اسحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة اي هو
بشر مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون
فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه
فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع لما قالوا ائذا كنا عظاما قل لهم كونوا
حجارة او حديدا افرد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او
حديدا او لا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون
ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما
كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى
عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم
ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي من جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة
يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم
الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن
قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر فهو
الموت وقيل السموات والارض فسينغضون فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء
والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون منقادين
لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث
كقولك لمن تامره بركوب ما يشق عليه ستاتي به وتمتنع فتركبه وانت
حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى كانك تلين لين المسمح الراغب فيه
الحامد عليه وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ينفضون التراب عن رؤسهم
ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون
مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة رضي الله عنه
تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الاخرة وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا
للمشركين الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي
احسن وفسر التي هي بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم
يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم
معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان
ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم
المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكلا اليك امرهم

او تكونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة
فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده
وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم

ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك
عليهم وكيلا وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا
قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى

تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول اية السيف
وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء
المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي
احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرا طلحة رضي الله عنه ينزغ بالكسر
وهما لغتان لا كما يحرشون ويعرشون هو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم
ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال
وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك
اعلم بمن في السموات والارض باحوالهم وبمقاديرهم وبما يستاهل كل واحد
منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم
الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد صلى الله عليه وسلم
وامته فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور
قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد
وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمى بعض القران قرانا هم
الملائكة وقيل عيسى بن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن
ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض
او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه اولئك مبتدأ والذين
يدعون صفته يبتغون خبره يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة
وهي القربة الى الله عز وجل ايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي
من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن
يبتغون معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله تعالى
وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم
من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان حقيقا بان
يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم نحن مهلكوها
بالموت والاستئصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة

ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا

وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا
وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا

والعذاب للطالحة. وعن مجاهد وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها أما
مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك
والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في
الكتاب في اللوح المحفوظ. واستعير المنع لترك إرسال الآيات من أجل صارف
الحكمة وأن الأولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديرها وما منعنا إرسال
الآيات إلا تكذيب الأولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا
ذهبا ومن إحياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب
إليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى وما صرفنا عن إرسال ما يقترحونه
من الآيات إلا أن كذب بها الأولون الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم
كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وقالوا هذا
سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا
أن نؤخر أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها
الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لأن آثار هلاكهم
ببلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ
مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالآيات إن أراد بها الآيات
المقترحة فالمعنى لا نرسلها إلا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة
والمقدمة فإن لم يخافوا وقع عليهم وإن أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من
الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفا وإنذارا بعذاب الآخرة وإذ قلنا
لك إن ربك أحاط بالناس واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش يعني بشرناك
بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كأن قد كان ووجد فقال
أحاط بالناس على عادته في إخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في العريش مع أبي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم
إني أسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول
سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه فقد
كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم وهو يومئ
إلى الأرض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما
أوحي إلى رسول الله من أمر بدر وما أري في منامه من مصارعهم فكانوا

إلى ... والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا

يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله إن شجرة الزقوم طعام
الأثيم جعلوها سخرية وقالوا إن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر
وما قدروا الله حق قدره إذ لا ينكر قادر ذلك وما أنكروا أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله
النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل إذا اتسخت طرحت
في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبلع الجمر وقطع
الحديد المحمى كالجمر بإحماء النار فلا يضرها ثم أقرب من ذلك أنه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها
فما أنكروا أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى أن الآيات إنما نرسلها تخويفا للعباد وهؤلاء
قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما أريناك منه في منامك بعد الوحي إليك إلا
فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال
ونخوفهم أي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا كبيرا فكيف
يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الإسراء وبه تعلق من
يقول كان الإسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل إنما سماها رؤيا
على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل إليك استبعادا منهم
كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ إلى آلهتهم أين شركائي ذق إنك أنت
العزيز الكريم وقيل هي رؤياه أنه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون
منبره كما يتداول الصبيان الكرة فإن قلت أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن
قلت لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لأن الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن
على الحقيقة وإنما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لأن اللعن
الإبعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب
لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون
القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل في الشراب وقيل
هي الشيطان وقيل أبو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على أنها مبتدأ محذوف الخبر كأنه
قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك طينا حال إما من الموصوف والعامل فيه
أأسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين أو من الراجع إليه من الصلة على أأسجد لمن كان
في وقت خلقه طينا أرأيتك الكاف للخطاب هذا مفعول به والمعنى
أخبرني عن هذا الذي كرمته علي أي فضلته لم كرمته علي وأنا خير منه فاختصر الكلام
بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن أخرتني إلى يوم القيامة واللام موطئة للقسم المحذوف
لأحتنكن ذريته لأستأصلنهم بالإغواء من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها

الذي كرمت علي لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا

أكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أي آكلهما فإن قلت
من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت إما أن سمعه من الملائكة وقد أخبرهم الله
عليهم وقد أخبرهم الله به أو خرجه من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
أو نظر إليه فتوسم في مخايله أنه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته في
آدم والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو
نقيض المجيء وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء
اختياره في قوله فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا كما قال موسى عليه السلام للسامري
اذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس فإن قلت أما كان من حق الضمير
في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فإن
جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز أن يكون للتابعين على
طريق الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو بإضمار
تجازون أو على الحال لأن الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه
فرة استفزز استخفه والفز الخفيف وأجلب من الجلبة وهو الصياح والخيل الخيالة ومنه قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ
ورجلك على أن فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه
أيضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس وأخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ
ورجالك ورجالك فإن قلت ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله
قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع
على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب
عليهم بجنده من خياله ورجاله حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه إلى الشر وخيله
ورجله كل راكب وماش من أهل العيث وقيل يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال
وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا
والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق في الفسوق والإسراف ومنع
الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد لغير سبب والتسمية
بعبد العزى وعبد الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والأعمال
المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة
على الله بالأنساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة
وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد أن صاروا حمما وإيثار العاجل

على الآجل إن عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان أي لا تقدر أن تغويهم وكفى بربك
وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله إلا عبادك منهم المخلصين فإن
قلت كيف جاز أن يأمر الله تعالى إبليس بأن يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا
إلى الشر صادا عن الخير قلت هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة
اعملوا ما شئتم يزجي يجري ويسير الضر خوف الغرق ضل من تدعون إلا إياه ذهب عن
أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه
ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم أن غيره
يقدر على إغاثتكم أو لم يهتد لإنقاذكم أحد من غيره من سائر المدعوين ويجوز أن يراد
ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده
على الاستثناء المنقطع أفأمنتم الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم
فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض فإن قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف
مفعولا به كالأرض في قوله فخسفنا به وبداره الأرض بكم حال والمعنى أن يخسف
جانب البر أي يقلبه وأنتم عليه فإن قلت فما معنى ذكر الجانب قلت معناه أن الجوانب
والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان أو بحرا سبب مرصد من أسباب
الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا به بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه تغييب تحت التراب
كما أن الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في
البحر فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان أو يرسل عليكم
حاصبا وهي الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء يعني أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم
بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون
أشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم أم أمنتم
أن يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم
فينتقم منكم بأن يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد
كأنها تتقصف أي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء إلا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء
أي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم بالياء والنون التبيع المطالب
من قوله فاتباع بالمعروف أي مطالبة قال الشماخ

غزالك لاذ من حجر الغزالة ... كما لاذ الغريم من التبيع

يقال فلان على فلان تبيع بحقه أي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى أنا نفعل
ما نفعل بهم ثم لا تجد أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا

ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه أعمى
فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا

وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد إغراقهم جزاء لهم
قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة
والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الأرض
وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا
بالملاعق وعنده أبو يوسف رحمه الله فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد
كرمنا بني آدم وجعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه
على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا
أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا
في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الإنسان
على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله تعالى أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم
وعلموا أين أسكنهم وأنى قربهم وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم ثم جرهم
فرط التعصب عليهم إلى أن لفقوا أقوالا وأخبارا منها قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت
بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال
وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن أبي
هريرة رضي الله عنه أنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم
أنهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة
قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على أن معنى قولهم على جميع ممن خلقنا أشجى لحلوقهم
وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر إلى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة
في عداوة الملأ الأعلى كأن جبريل غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة
لا تنحل عن قلوبهم وقرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل أناس على البناء للمفعول
وقرأ الحسن رضي الله عنه يدعو كل أناس على قلب الألف واوا في لغة من يقول أفعو
والظرف نصب بإضمار اذكر ويجوز أن يقال إنها علامة الجمع كما في وأسروا النجوى
الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لأنها غير ضمير
ليست إلا علامة بإمامهم بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال
يا أتباع فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب
كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن رضي الله عنه بكتابهم ومن
بدع التفاسير أن الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن
الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى وإظهار شرف الحسن والحسين

ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا

عليهم وأن لا يفتضح أولاد الزنا وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته فمن أوتي
من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم قيل أولئك لأن من أوتي
في معنى الجمع فإن قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرءون
كتابهم قلت بلى ولكن إذا اطلعوا على ما في كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء
على جناياته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال
وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن إقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية
القول فكان قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم
أنهم يقرءون كتابهم أحسن قراءة وأبينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ
لأهل المحشر هاؤم اقرءوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء كقوله
ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما معناه ومن كان في الدنيا أعمى فهو في الآخرة
أعمى كذلك وأضل سبيلا من الأعمى والعمى مستعار لمن لا يدرك المضار لفساد
حاسته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر وأما في الآخرة فلأنه
لا ينفعه الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ
أبو عمرو الأول ممالا والثاني مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه
في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك أعمالكم وأما الأول فلم يتعلق به
شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة وروي أن ثقيفا قالت للنبي صلعم
لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا
نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا
باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وجا
فعضد شجره فإذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني به وجاءوا
بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون
ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلعم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون
والكاتب ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فسل سيفه وقال أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم نارا
فقالوا لسنا نكلمك إنما نكلم محمدا فنزلت وروي أن قريشا قالوا اجعل لنا
آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وإن كادوا ليفتنونك إن مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى أن الشأن قاربوا أن يفتنوك أي
يخدعوك فاتنين عن الذي أوحينا إليك من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا

لتفتري علينا لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما اراده عليك من تبديل الوعد وعيدا والوعيد
وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله ما لم ينزل عليه **واذا لاتخذوك**
لو اتبعت مرادهم لاتخذوك **خليلا** ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي **ولولا ان**
ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا **لقد كدت تركن اليهم** لقاربت ان تميل
الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين
لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة **لاذقناك ضعف الحيوة وضعف**
الممات اي لاذقناك عذاب الاخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف
حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان
العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الاخرة وهو
عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فاتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى
مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات
ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة
الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم
الممات ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب
الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة
الدنيا وما نوخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد
الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم
شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة
المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة
للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن
اذا تلا هذه الآية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر
فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت
كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين **وان كادوا** وان كاد اهل
مكة **ليستفزونك** ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم **من الارض** من ارض مكة
واذا لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك الا زمنا قليلا فان الله مهلكهم وكان
كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا
عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب المدينة
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه

منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة
وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك
من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه
الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت
فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه القرائتين
قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في
خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي اذن لا يلبثوا عطف
على جملة قوله ليستفزونك وقرئ خلافك قال عفت الديار خلافهم فكأنما بسط
الشواطب بينهن حصيرا اي بعدهم **سنة** من قد ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من
بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله
ذلك سنة **لدلوك** الشمس لغروبها وقيل لزوالها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني
جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان
الانسان يدلك عينيه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة
للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة
وهو وقت صلوة العشاء **وقران الفجر** صلوة الفجر سميت قرانا وهي القراءة لانها ركن
كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة
ليست بركن **مشهودا** يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء
فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة
او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقران الفجر
حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القران فيكثر
الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة **ومن الليل** وعليك بعض الليل
فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التأثم والتحرج ويقال ايضا في النوم
تهجد **نافلة لك** عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس ووضع نافلة موضع
تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكأن التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد
والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات الخمس المفروضة فريضة عليك خاصة
دون غيرك لانه تطوع لهم **مقاما محمودا** نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم
القيامة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن **يبعثك** معنى يقيمك ويجوز ان يكون

وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق

المقام

حالا يعني ان يبعثك ذا مقام محمودا ومعنى المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من
رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي
نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضي الله عنه مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون
وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة رضي الله
عنه يجمع الناس في صعيد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك
وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا
ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب هذا البيت قال فهذا
قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اي **مدخل** ومخرج بالضم والفتح بمعنى
المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل دخول صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا
مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة
آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال
المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه
منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما
حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل
الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان **سلطانا** حجة
تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له فاجيبت
دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين
كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه
صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك
على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن
الصلاة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول
الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم
اني رأيت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب
فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين
على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير كان حول البيت ثلاثمائة وستون
صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لقبائل العرب يحجون
اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله تعالى فقال اي رب حتى متى تعبد

حتى متى تعبد

وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم

الاصنام حولي دونك فاوحى الله تعالى الى البيت اني ساحدث لك توبة جديدة فاملأك
خدودا سجدا يرفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم
عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الاية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء
الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق
الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا اسحر من
محمد وسكاية البيت والوحي تمثيل وتخييل **وزهق الباطل** ذهب وهلك من قولهم
زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك **كان زهوقا** كان
مضمحلا غير ثابت في كل وقت **وننزل** قرئ بالتخفيف والتشديد **من القران** من للتبيين
كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القران فهو شفاء للمؤمنين يزدادون
به ايمانا ويصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرض وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اي نقصانا
لتكذيبهم به وكفرهم فزادهم رجسا الى رجسهم **واذا انعمنا على الانسان** بالصحة
والسعة **اعرض** عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه **ونأى بجانبه**
تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه
ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين **واذا مسه**
الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل **كان يؤسا** شديد الياس من روح الله
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم الالف على الهمزة كقولهم راء في رأى
الفعل ويجوز ان يكون من معنى نهض **قل كل يعمل على شاكلته** اي على مذهبه وطريقته
التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي
تتشعب منه والدليل عليه قوله **فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا** اي اسد مذهبا وطريقة
ويسألونك عن الروح الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله
مما استأثر بعلمه وعن ابي بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو
خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل هو جبريل وقيل القران **من امر ربي** اي
من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان
اجاب عن بعض وسكت عن البعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح

اعلم بمن هو اهدى سبيلا ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا

ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك
ان فضله كان عليك كبيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

وهو منهم في التوريه فقد وافق على سوالهم **وما اوتيتم** الخطاب عام وروي ان رسول
الله صلى الله عليه لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت
معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم تؤتوا من العلم **الا قليلا** فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول
ومن يؤت الحكمه فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القله والكثره يدوران مع الاضافه
فيوصف الشي بالقله مضافا الى ما فوقه وبالكثره مضافا الى ما تحته فالحكمه
التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله تعالى فهي قليله
وقيل هو خطاب لليهود خاصه لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله قد اوتينا التوريه
وفيها الحكمه وقد تلوت ومن يؤت الحكمه فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان
علم التوريه قليل في جنب علم الله تعالى **لنذهبن** جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزا
الشرط واللام الداخله على ان موطئه للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه
عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا
تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا
الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه
بالرد او يكون على الاستثنا المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب
به وهذا امتنان من الله سبحانه ببقا القران محفوظا بعد المنة العظيمه في تنزيله
وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما
وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقا المحفوظ وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانه واخر ما تفقدون
منه الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القران تصبحون يوما وما فيكم
منه شي فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه
ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقرا ترفع المصاحف
وينزع ما في القلوب **لا يأتون** جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئه لجاز ان تكون
جوابا للشرط كقوله يقول لا غايب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا
على ان يأتوا بمثل هذا القران في بلاغته وحسن نظمه وتاليفه وفيهم العرب العاربه
ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القران
قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون المعجز حيث تكون القدره فيقال الله قادر
على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدره

ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط
السما كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء

كتابا نقرؤه

ولا يدخل تحت القدره كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز
وصف الله تعالى بالعجز لانه لا يوصف بالقدره على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو
قادر على المحال فان راس مالهم المكابره وقلب الحقايق **ولقد صرفنا** رددنا وكررنا
من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه **والكفور** الجحود فان قلت كيف
جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متاول بالنفي
كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين اعجاز القران وانضمت اليه المعجزات
الاخر والبينات ولزمتهم الحجه وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات فعل المبهوت
المحجوج المتحير في امره **فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر** وبالتخفيف كوفي
من الارض يعنون ارض مكه **ينبوعا** عينا غزيره من شانها ان تنبع بالما لا تنقطع
يفعول من نبع الما كيعبوب من عب الما **كما زعمت** يعنون قول الله ان نشا نخسف
بهم الارض **او نسقط عليهم كسفا من السما** وقرئ كسفا بسكون السين جمع
كسفه كسدره وسدر وبفتحها **قبيلا** كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى
او تاتي بالله قبيلا **وبالملائكه** قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا واني وقيار بها
لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكه او نرى
ربنا او جماعه حالا من الملائكه **من زخرف** من ذهب **في السما** في معارج السما
فحذف المضاف يقال رقي في السلم ~~...~~ وفي الدرجه **ولن نؤمن لرقيك**
ولن نؤمن لاجل رقيك **حتى تنزل علينا كتابا من السما** فيه تصديقك عن ابن
عباس رضي الله عنه قال عبد الله بن ابي اميه لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السما سلما
ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معه اربعه من الملايكه
يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا
العناد واللجاج **ولو جاتهم** كل ايه لقالوا هذا سحر كما قال الله عز وجل
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون
وحين انكروا الايه الباقيه التي هي القران وساير الايات وليست بدون ما
اقترحوا بل هي اعظم لم يكن الى تبصرهم سبيل **قل سبحان ربي** وقرئ قال سبحان ربي اي قال
الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه **هل كنت الا بشرا رسولا** كساير
الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الايات
وليس امر الايات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي ان الاولى نصب مفعول
ثان بالمنع والناس رفع فاعله والهدى الوحي اي **وما منعهم** الايمان بالقران

ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس

ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيمة

وبنبوة محمد صلى الله عليه [وسلم] الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر
والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله تعالى
لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء عليهم السلام ثم
قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون ~~مطمئنين~~ على اقدامهم
كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السما فيسمعوا من اهلها ويعلموا
ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا
يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل
الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان
قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه
حسن والمعنى له اجوب شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم
كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو
مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة شهيدا تمييز
ومن يهدي الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتدي لانه لا يلطف الا بمن
عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اوليا انصارا على
وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان
يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون
ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الاخرة كذلك لا يبصرون
ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم
ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ويجوز ان يحشروا مؤفي
الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع اخر انهم يقرؤون
ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهيبها
بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافنا
جعل الله تعالى جزاهم ان يسلط النار على اجزائهم باكلها وتفنيها ثم تعيدها
لا يزالون على الافنا والاعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث
ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى
قوله ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا
قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق

على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم
كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله

الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا
قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا
ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا

السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا
منهن كما قال انتم اشد خلقا ام السما وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت
او القيمة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا لو انتم لو حقها ان تدخل على الافعال دون
الاسما فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك
اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل
وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ وهو تملك فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون
تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان
انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه
قول حاتم ٭ لو ذات سوار لطمتني ٭ وقول المتلمس ٭
ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي ٭ وذلك لان الفعل الاول لما سقط
لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر ورحمة الله رزقه وساير نعمه على خلقه
ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة
الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزاين
الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل تقدر لامسكتم مفعول
قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك تسع ايات عن ابن عباس هي
العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه
على بني اسرائيل وعن الحسن رضي الله عنه الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان
الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه سال محمد بن كعب
فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام
ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم
وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل
لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا
بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا
محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فاسال فقلنا
له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن
ايمانهم وعن احوال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم
معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي
فقال

قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا

بغيرهم وهي لغة قريش وقيل فسئل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه عن الآيات ليزداد يقينا وطمأنينة قلب لأن الأدلة إذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت كقول إبراهيم ولكن ليطمئن قلبي فإن قلت بم تعلق إذ جاءهم قلت أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف أي فقلنا له سلهم حين جاءهم أو بسال في القراءة الثانية وأما على الآخر فبآتينا أو بإضمار اذكر أو يخبروك ومعنى إذ جاءهم آباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك لقد علمت ما أنزل هؤلاء الآيات إلا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى أني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الأمر وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والأرض ثم قارع ظنه بظنه كأنه قال إن ظننتني مسحورا فأنا أظنك مثبورا هالكا وظني أصح من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك مع علمك بصحة أمري إني لأظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك وقرئ أبي بن كعب رضي الله عنه وإن أخالك يا فرعون لمثبورا على إن المخففة واللام الفارقة فأراد فرعون أن يستفز موسى وقومه من أرض مصر ويخرجهم منها أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه مع قبطه اسكنوا الأرض التي أراد فرعون أن يستفزكم منها فإذا جاء وعد الآخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفا جميعا مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما أرسلناك إلا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس إليك وراء ذلك من إكراه على الدين أو نحو ذلك وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرئ أبي فرقناه بالتشديد أي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأه مشددا وقال لم ينزل في يومين أو ثلاثة بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة يعني أن فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت

قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى

ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به أو لا تؤمنوا أمر بالإعراض عنهم واحتقارهم وأن لا يكترث بهم وبإيمانهم وبامتناعهم عنه وأنهم إن لم يدخلوا في الإيمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك فإن خيرا منهم وأفضل وهم العلماء الذين قرأوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم فإذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله إن كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا أي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فإن قلت إن الذين أوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز أن يكون تعليلا لقوله آمنوا به أو لا تؤمنوا وأن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كأنه قيل تسل عن إيمان الجهلة بإيمان العلماء وعلى الأول إن لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فإن قلت ما معنى الخرور للذقن قلت السقوط على الوجه وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لأن الساجد أول ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن فإن قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لأن اللام للاختصاص فإن قلت لم كرر يخرون للأذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وفي حال كونهم باكين عن ابن عباس سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر وقيل إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى إلى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم تترك أحدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى وأو للتخيير بمعنى ادعوا الله أو ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم أو بهذا أو اذكروا إما هذا وإما هذا والتنوين في أيا عوض من المضاف وما صلة للإبهام المؤكد لما في أي أي أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الأسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع إلى أحد الاسمين المذكورين ولكن إلى مسماهما وهو ذاته عز وجل لأن التسمية للذات لا للاسم والمعنى أيا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الأسماء الحسنى لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا يلبس من قبل أن الجهر والمخافتة

ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا

صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلوة افعال واذكار فكان رسول الله صلى الله عليه والسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعوا المشركون لغوا وسبّوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروى ان ابا بكر رضى الله عنه كان يخفى صوته بالقراءة في صلوته ويقول اناجى ربى وقد علم حاجتى وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فأمر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة ولي من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان من هذا وصفه هو الذى يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذى يستحق الحمد وكان رسول الله صلى الله عليه والسلم اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الاية عن رسول الله صلى الله عليه والسلم من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية والله اعلم

سورة الكهف مكية وهى مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه والسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا لم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعانى كالعوج في الاعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شىء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذى الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفى العوج واثبات الاستقامة وفى احدهما غنى

قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة

عن الاخر قلت فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله تعالى بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم اقتصر على احد مفعولى انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم اى بالولد او باتخاذه يعنى ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للاباء وقد اشتملته اباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشىء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به وقرئ كبرت كلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشوّرا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير في كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها كلمة شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقته احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على اثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اى قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرئ ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقران اسفا مفعول له لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعنى ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه

تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت ان اصحاب الكهف

ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا
ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم
اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى

الرؤية صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معجبة في
ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات
والاشجار ونحو ذلك ذكر من الايات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس
التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم
من قصة اصحاب الكهف وانهم يحيون مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل.
والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاوره
وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم
جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي
الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا اية عجبا من اياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب
من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء
وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه
راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك اسدا فضربنا على
اذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها
الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول
الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات
عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا
الا ساعة من نهار وقال الزجاج رضي الله عنه اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج
ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد اي يتضمن معنى الاستفهام فتعلق عنه لنعلم فلم
يعمل فيه وترك لنعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد نعلم اليه
وفاعل نعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة
لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما
لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الفريقين المختلفين من غيرهم واحصى
فعل ماض اي ايهم اضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله من
افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد
ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في
غير القران ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل

وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا

فادلا ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم
مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال

واما ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه
احصى كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد
ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره
واضماره فان قلت كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على
اذانهم قلت الله عز وجل لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر
لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم واية بينة لكفاره
وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر
الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق
والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به
حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض شططا
قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشطى
السوم وفي غيره هؤلاء مبتدا وقومنا عطف بيان واتخذوا خبره وهو اخبار في معنى
انكار لولا ياتون عليهم هلا ياتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين وهو
تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد
وانه لا بد في الدين من حجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه
واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم
وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبودهم الا الله يجوز ان
يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالله ويشركون معه كما اهل مكة
وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم
يعبدوا غير الله مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع اما
ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان اخبرهم به نبي في عصرهم
تزاور قرئ بالتخفيف والتشديد وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل
عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم
لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة
الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس
وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم
الشمس في طلوعها ولا في غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس
لولا ان الله تعالى يحجبها عنهم وقيل في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء
وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من ايات الله اي ما صنعه الله بهم

وهم في فجوة منه ذلك من ايات الله

من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم

من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة انه من آياته يعني ان ما كان في ذلك
السمت تغيبه الشمس وتستره اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف
شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان
شأنهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا
في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية
والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو
الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه
ويرشده بعد خذلان الله تعالى وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد
والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر
لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة
في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقيل وتقلبهم على المصدر
منصوبا بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد
تقلبهم وقرأ جعفر الصادق وكالبهم اي وصاحبهم باسط ذراعيه حكاية
حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف
حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية بالوصيد
الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي
بها غير منكر ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء
ورعبا بالضم والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملأه وذلك لما
البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل
لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو
كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك
ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا
فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا
ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاخرجتهم وكذلك لو اطلعت نظرا
وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا
بقدرتنا على الانامة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم
وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا
يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم

قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة

جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب
وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكارا عليهم
من بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله
ان المدة متطاولة وان مقدارها لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف غدوة
وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم
واشعارهم قالوا ذلك قال كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذكر حديث المبعوث
كأنهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم
والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم
الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ انفا من ذهب
وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم
بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن رحمه الله انه كسر الواو
واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي
المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات
ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك
نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق
حج بيت الله وكان يقول لمن ذلك فكان مياسير اهل بلده كلما عزموا على
حج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد ربهم لولا الكم
انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على
الرحمن ايها اي اهلها بحذف الاهل كما في قوله واسأل القرية ازكى طعاما احل
واطيب او اكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره
من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا
يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه لهم لانه
سبب فيه انهم الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث
القتلة وهو الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يصيروكم في ملتهم
بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود بمعنى الصيرورة كثير في كلامهم
يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم
في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة
اطلعنا عليهم ليعلموا الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث

واذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة

لم حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث واذ يتنازعون متعلق
باعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث
فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد
مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها
كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على
باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت
تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم
وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون
ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امرهم
اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الآية فيهم او يتنازعون بينهم
تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا
ابنوا على باب كهفهم بنيانا وروي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت
ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس
فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان
والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله
فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه
كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله
على آذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل
مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس
مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله تعالى في نفس رجل من
رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من
بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه
وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة
معه وابصروهم وحمدوا الله تعالى على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية
للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم
فتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب
فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف
مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا في

رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل

الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا
ربهم اعلم بهم او من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في ذلك من اولئك
المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل
الكتاب سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر
الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم
وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنه
انا من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا
عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا
ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم
كلبهم قال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين
وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام وعن
علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشليتيا ومشلينيا هؤلاء
اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان
يستشيرهم هؤلاء الستة في امره والسابع اسم الراعي
الذي وافقهم لما هربوا من ملكهم دقيانوس واسم
مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير فان قيل لم جاء بسين الاستقبال
في الاول دون الاخيرين قلت فيه وجهان ان يدخل الاخرين في حكم السين كما
تقول قد اكرم وانعم تريد التوقع في الفعلين جميعا وان تريد بيفعل معنى الاستقبال
الذي هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب
اي يأتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا
ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين
الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلث
رابعهم بادغام الثاء في التاء ثلاثة خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلاثة وكذلك
خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة
وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فان قيل فما هذه الواو الداخلة في
الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة
الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة كقولك جاءني رجل

فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا
الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا

ومعه اخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وجل وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم وفائدتها تاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة
على اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم
كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم والدليل
عليه ان الله تعالى اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله
ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت
العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم
على القطع والثبات وقيل **الا قليل** من اهل الكتاب والضمير فيه سيقولون على
اهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا
في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين **فلا تمار فيهم** فلا تجادل اهل الكتاب في شان
اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله
اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف لهم في الرد عليهم كما قال
وجادلهم بالتي هي احسن **ولا تستفت** ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال
متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت
به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك
قصتهم **ولا تقولن لشيء** ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه **اني فاعل ذلك الشيء غدا**
اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة **الا ان يشاء الله** متعلق بالنهي
لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان
تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على
وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك
فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشيئته وهو في موضع الحال يعني
الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان
شاء الله في معنى كلمة تاكيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه
قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لم يشاء
الله وهذا نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح
وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم
يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش **واذكر ربك** اي مشيئة
ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى **اذا نسيت** كلمة

ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض
ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا

الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة
ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس
هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة
غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه
بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر
عليه فقال ابو حنيفة هذا يرجع عليك لانك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا
من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون
بمعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في
البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره
اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها
وهذا اشارة الى نبا اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على
اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبا اصحاب الكهف وقد فعل
ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل
والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه
ان تقول **عسى ربي ان يهديني** لشيء اخر بدل هذا المنسي **اقرب منه** رشدا وادنى
خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نات بخير منها **ولبثوا في
كهفهم ثلث مائة سنين** يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم هذه المدة وهو
بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله
قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به
وعن قتادة رضي الله عنه انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم
وقال في حرف عبد الله وقالوا ولبثوا وسنين عطف بيان لثلاثمائة وقرئ ثلثمائة
سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا
وفي قراءة ابي ثلث مائة سنة **تسعا** تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر
اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها
وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات
للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين
لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما
ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر **ما لهم** الضمير لاهل السموات والارض

من ولي من متولي لأمورهم ولا يشرك في حكمه احدا في قضائه احدا منهم وقرأ الحسن
ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل
له واتل ما أوحي إليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل ولا
مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك
هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا اي ملجأ تعدل
اليه ان هممت بذلك قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نح هؤلاء
الموالي الذين كأن ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم
من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الأرذلون
فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع

بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ
بالغدوة وبالغداة اجود لأن غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تأويل
التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه
اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمين
عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به
فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك ولا تعل عيناك
عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ
ألا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم
ونحوه قوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها آكلين لها وقرئ
ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه
قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لأن معناه فعد همك عما ترى نهى رسول
الله صلى الله عليه وآله ان يزدري بفقراء المؤمنين وان تنبو عيناه عن رثاثة
زيهم طموحا الى زي الأغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال
من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه
كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها
غفلا من السمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان وقد
ابطل الله تعالى توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد
الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا

فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل وقل
الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم
لانفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الأمر
والتخيير لأنه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من
النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط
وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل
حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله فأعتبوا بالصيلم وفيه تهكم
والمهل ما اذيب من جواهر الأرض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم
ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه هو كعكر الزيت فاذا قرب
اليه سقط فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ
من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء
الا ان يكون من قوله اني ارقت فبت الليل مرتفقا
كأن عيني فيها الصاب مذبوح اولئك خبر ان وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل
انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستأنفا بيانا للأجر المبهم
فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فأين الضمير الراجع منه الى المبتدأ قلت
من احسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من
احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان
بدرهم من الأولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لإبهام امرها في
الحسن وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ
منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم
واضرب لهم مثلا رجلين اي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا
اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا
وقيل هما المذكوران في سورة الصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي
قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا
بألف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بألف دينار وانا اشتري منك
ارضا في الجنة بألف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بألف فقال اللهم اني اشتري
منك دارا في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج اخوه امرأة بألف فقال اللهم
اني جعلت ألفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بألف فقال اللهم

وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن

او ابتزت منكم الولدان المعلقين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لأخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد **جنتين من اعناب** بساتين من كروم **وحففناهما بنخل** وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته به اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به **وجعلنا بينهما زرعا** جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو النهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف **ولم تظلم** ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ **وفجرنا** على التخفيف وقرأ عبد الله كل الجنتين آتى اكله رد الضمير على كل **وكان له ثمر** اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما وكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء **واعز نفرا** يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث **يحاوره** يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسأل الله فما احار كلمة تعني فطروس اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه فان **قلت** لم افرد الجنة بعد التثنية **قلت** معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما **وهو ظالم لنفسه** وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله تعالى وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه **ولئن رددت الى**

أخوين

متشابكة

آتتا

ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها

سبحانا قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا

ربي اقسم منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اينما توجه كقوله ان لي عنده للحسنى **لأوتين مالا وولدا** وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين **منقلبا** مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية **خلقك من تراب** اي خلق اصلك لان خلق اصله سببا في خلقه فكان خلقه خلقا له **سواك** عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا **لكنا هو الله ربي** اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرأ ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لأخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرو حاضر **ما شاء الله** يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت **لا قوة الا بالله** اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته وتأييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج من قرأ اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله **وولدا** نصرة لمن فسر النفر بالاولاد

وفي قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني اعز منك فانا اتوقع من صنع الله تعالى ان
يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك
لكفرك نعمته ويخرب بستانك **والحسبان** مصدر كالغفران والبطلان بمعنى
الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها قال الزجاج عذاب
حسبان وذلك الحسبان حسبان ما كسبت يداك وقيل
حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق **صعيدا زلقا** ارضا بيضاء يزلق
عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر **ويقلب كفيه** كناية عن
الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف
والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم
على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها **وهي خاوية على عروشها** يعني ان كرومها المعرشة
سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها نارا
فاكلتها **يا ليتني** تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى
لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما
على ما كان منه ودخولا في الايمان وقرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل **ينصرونه** على
المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم فان قلت
ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي
هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو
استيجابه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله **الولاية**
بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى **هنالك**
اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها
احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان
والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله تعالى
ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها
فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك
الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من
اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي ان
يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا
وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية
لاوليائه

وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا

لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو
بن عبيد بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله **الحق** لا الباطل قال الزمخشري
حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد رضي الله عنه من افصح الناس وانصحهم وقرئ
عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة **فاختلط به
نبات الارض** فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء
فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط
بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة
صاحبه **هشيما** يابسا متكسرا الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس
تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك
والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن
وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء **مقتدرا والباقيات الصالحات**
اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ
الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر وعن قتادة رضي الله عنه كل ما اريد به وجه الله **خير ثوابا** اي ما يتعلق بها
من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ونصيبه
في الاخرة وقرئ **نسير** من سيرت وتسير من سيرنا وتسير من سارت اي تسير في
الجو او يذهب بها بان تجعلها هباء منبثا وقرئ **وترى الارض** على البناء للمفعول **بارزة**
ليس عليها ما يسترها مما كان عليها **وحشرناهم** وجمعناهم الى الموقف وقرئ **فلم
نغادر** بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدير ترك الوفاء
والغدير ما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان **صفا**
مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا **لقد جئتمونا**
اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان
ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة
وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم **كما خلقناكم** اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى
فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم
قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كانه قيل وحشرناهم
قبل ذلك **موعدا** وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور
الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال **يا ويلتنا** ينادون هلكتهم التي هلكوها

صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته

خاملة من بين المهلكات **صغيرة ولا كبيرة** هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي **الا احصاه** اي احصاها كلها كما يقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد واما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس رضي الله عنه الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر **الا احصاها** الا ضبطها وحصرها **ووجدوا ما عملوا حاضرا** في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا **ولا يظلم ربك احدا** فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم **كان من الجن** كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كأن قائلا قال ماله لم يسجد فقيل كان من الجن **ففسق عن امر ربه** والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن امر الله تعالى لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وجل لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد القول بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائرا او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم **افتتخذونه** الهمزة للانكار والتعجب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه **وذريته اولياء من دوني** وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته **ما اشهدتهم** وقرئ اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم **خلق السموات والارض** لاعتضد بهم في خلقها **ولا خلق انفسهم** اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم **وما كنت متخذ المضلين عضدا** اي اعوانا وضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا

اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا

ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن

عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرئ علي رضي الله عنه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرئ الحسن بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بفتح العين وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه **يقول** بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم ... **موبقا** المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن رضي الله عنه **موبقا** عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء رضي الله عنه البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى بن مريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان **فظنوا** فايقنوا انهم **مواقعوها** مخالطوها واقعون فيها **مصرفا** معدلا قال زهير أزهير هل عن شيبة من مصرف **اكثر شيء جدلا** اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب **جدلا** على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره **وما منع الناس** الايمان والاستغفار الا انتظار ان تأتيهم **سنة الاولين** وهو الاهلاك والاستئصال او يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة **قبلا** عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا **ليدحضوا** ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها **وما انذروا** يجوز ان يكون موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ **هزؤا** بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك **بآيات ربه** بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه **فاعرض عنها** فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان

للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها

المثنى والمحسن لابد لهما من جزائهم علل اعراضهم ونسيانهم بانه مطبوع على قلوبهم
وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا اذا فلا يكون منهم اهتدا
البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها واذا
جزاء وجواب فدل على انتفا اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنا انهم جعلوا ما يجب
ان يكون سبب وجود الاهتدا سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير
قوله تعالى ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا
والغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك
بترك مواخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله
بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجا يقال وال
اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك القرى اي قرى الاولين من ثمود وقوم لوط
وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفته لان اسما الاشارة
توصف باسما الاجناس واهلكناهم خبره ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار
اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا
مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما
لا يستاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته
وقرى لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم اي
وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر لفتاه لعبده وفي الحديث وليقل
احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون فانه قيل
فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم واذ قال
لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة
لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلابد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال
وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه اما الحال فلانها كانت
حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضمرة وبدله فلا
بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه اخر وهو ان
يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم انقلب الفعل عن لفظ الغائب الى
لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون
المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا

العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا
واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما

حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا

افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي
وعد فيه موسى عليه السلام لقاء الخضر عليه السلام وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق
وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر عليهما السلام
لانهما كانا بحرين في العلم وقرى مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل
كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون
سنة روي انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك
القبط امره الله تعالى ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة
الله تعالى وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس
اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله تعالى فاوحى اليه بل اعلم
منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل
موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى
سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي
عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي
يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال
ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين
اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في
مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني
فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغدا
طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه
فسلم عليه فقال واني بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم
علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة
جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم
الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره
وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه
ونسي موسى ان يامره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع
حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام
موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وقيل انهما اكلا منها
وقيل توضا يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء سربا

فلما جاوزا قال لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارأيت
اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره

امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة
لموسى او للخضر فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت
وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر وقيل
سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع
حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا
اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه
امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة
المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل
الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد
وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت قلت قد شغله الشيطان
بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه
ضري بمشاهدة امثاله عند موسى من العجائب واستأنس باخواته فاعان
الالف على قلة الاهتمام ارأيت بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه التئام هذا الكلام
فان كل واحد من ارأيت واذ اوينا فاني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب
موسى عليه السلام الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش
وطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال ارأيت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة
فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره
بدل من الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله
ان اذكركه واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو
كونه شبيه السرب او قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك
العجيبة ونسيانه لها او مما رأى من المعجزتين وقوله وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب
موسى وليس بذاك قال ذلك ما كنا نبغ نطلب
لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن
وهو قراءة ابي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا للخط المصحف
فارتدا فرجعا على آثارهما قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا
او فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا علما مما يختص
بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب رشدا ... علما

قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا
ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا

ذا رشد ارشد به في ديني فان قلت اما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده انه
كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه
وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي
مثله وانما يغض منه ان يأخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان
نوفا ابن امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال
كذب عدو الله قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح
ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح
فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا رأى ذلك ويأخذ
في الانكار وخبرا تمييز اي لم تحط به خبرك او لانه لم يحط به بمعنى لم تخبره فنصبه
نصب المصدر ولا اعصي في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص
الخضر عن حقيقة الامر فوعد الصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الامر
وصعوبته وان الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا
مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس
العلم منه بريء من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره
من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم وقرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني فمن
شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه
صحته فحميت وانكرت في نفسك الا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون
انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا
على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما
بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير
نول فلما لججوا اخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها
مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها
وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع لقد جئت شيئا امرا
اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال ذاهية امرا انها بسبب بالذي
نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اياها اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي او اخرج
الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره
في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى
الغرض كقول ابراهيم عليه السلام هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك

واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا
آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن

ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم
اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا

اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه
اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها
علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فقتله قيل كان قتله فتل عنقه
وقيل ضرب براسه الحايط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان
قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فا وحتى اذا لقيا غلاما فقتله
بالفا قلت جعل خرقها جزا للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزا قال
اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد
تعقب القتل لقا الغلام وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها
طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه
عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من
الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيا
انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهنا لا سبيل
الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب
على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها بعد هذه الكرة
او المسالة فلا تصاحبني فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ
فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تصحبني اياك ولا تصحبني ولا تجعلني صاحبك من لدني
عذرا قد اعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون
كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيا
فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب
الاعاجيب اهل قرية هي انطاكية وقيل الايلة وهي ابعد ارض الله من السما ان يضيفوهما
وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم
عن الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لياما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف
فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة
كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه قلقت به هاماتها
قلق الفووس اذا اردن نصولا وقال يريد الرمح صدر ابي برا ويعدل عن دما بني عقيل

ماله حقيقة وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان
وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفا وطلب ان يطفا واذا كان القول
والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والابا والعزة
والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال
اذا قالت الانساع للبطن الحقي تقول سني للنواة طني لا ينطق اللهو حتى ينطق
العود فا وهي جماد في ولما سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز الابلق
ولبعضهم يابى على اجفانه اغفاءه هم اذا انقاد الهموم تمردا
ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا
قالت انيا طا بقيت ولعب بعض الحروريين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير
للخضر لان ما كان فيه من ابو الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادنى
منزلة فتمحل لبرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز
كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطاير وهو انفعل
مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من
النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة
منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده
فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان
طول الجدار في السما مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى
المطعم وقد لزتهما الحاجة الى اخر كسب المرء وهو المسالة فلم يجدا مواسيا فلما
اقام الجدار لم يتمالك موسى عليه السلام لما راى من الحرمان ومساس الحاجة
ان قال لو شيت لاتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى نستدفع
به الضرورة وقرئ لتخذت والتا في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع
من تبع وليس من الاخذ في شي فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق
بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سالتك عن شي بعدها
فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا
يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السوال الثالث اي
هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرئ به
ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به لمساكين قيل
كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر ورا هم امامهم كقوله

وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا
فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان
لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا

من ورائهم يرجع وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم
خبر فأعلم الله به الخضر وهو جلندى فان قلت قوله فأردت أن أعيبها مسبب
عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية
به التأخير وإنما قدم للعناية ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن
مع كونها للمساكين فكانت بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وفي أنك فصلت
بين المبتدأ والخبر بقولك ظني وكذلك فصلت بين السببين تذكر المسبب وقيل
في قراءة أبي وعبد الله كل سفينة صالحة وقرأ الجحدري فكان أبواه مؤمنان على
أن كان فيه ضمير الشأن فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا أن يغشى الوالدين
المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا
وبلاء أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر
أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان وإنما
خشي الخضر صلوات الله عليه منه ذلك لأن الله تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره
وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة أبي فخاف ربك
والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره ويجوز أن يكون قوله
فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لأهب لك وقرئ
يبدلهما بالتشديد والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف
فروي أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الأمم
وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما قيل اسما الغلامين أصرم وصريم
والغلام المقتول اسمه الحيسور واختلف في الكنز فقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت
لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل
صحف فيها علم والظاهر لإطلاقه أنه مال وعن قتادة رضي الله عنه أحل الكنز
لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا أراد قوله والذين
يكنزون الذهب والفضة الآية وكان أبوهما صالحا اعتداد بصلاح
أبيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد عليه السلام كان بين الغلامين وبين الأب
الذي حفظا فيه سبعة آباء
وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما
أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح

ابيهما

فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري
ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه

أبيهما قال فأبي وجدي خير منه قال قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون رحمة مفعول
له أو مصدر منصوب بأراد ربك لأنه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما
رأيت عن أمري عن اجتهادي ورأيي وإنما فعلته بأمر الله ذو القرنين هو الإسكندر
الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود
وبختنصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله
الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فإذا
سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا
من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم
غفرا أما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة وعن علي رضي الله
عنه سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال أحبه الله
فأحبه وسأله ابن الكواء ما ذو القرنين أملك أم نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان
عبدا صالحا ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه
الأيسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم إلى التوحيد
فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا
يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته
قرنان من الناس وعن وهب لأنه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه
كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه ما
يشبه القرنين ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه
ينطح أقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود
سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله أبو جهل وأشياعه والخطاب في عليكم
لأحد الفريقين من كل شيء أي من أسباب كل شيء أراده من أغراضه ومقاصده
في ملكه سببا طريقا موصلا إليه والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم
أو قدرة أو آلة فأراد بلوغ المغرب فأتبع سببا يوصله إليه حتى بلغ وكذلك
أراد المشرق فأتبع سببا وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا وقرئ فاتبع سببا
قرئ حمئة من حمئت البئر إذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن أبي
ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه على جمل فرأى الشمس حين غابت
فقال أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال تغرب في عين
حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس رضي الله عنه

ذكرا إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس
وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب
وإما أن تتخذ فيهم حسنا [illegible]

واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا

حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة
فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه
الى كعب الاحبار فقال كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده
في التوراة ويروى في ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد
قول تبع فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثأط حرمد اي في
ماء وطين وحمأ اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجاز ان تكون العين
جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله تعالى بين ان يعذبهم بالقتل او
يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من ظلم
فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك وذلك هو المعذب في الدارين
وأما من آمن وعمل صالحا بما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين القتل
والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله ان تجازى المثوبة
الحسنى او فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى
فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة رضي الله عنه كان يطبخ من كفر بالقدور
وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا نأمره
بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغيرهما وتقديره
ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر
والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كأن مجر الرامسات ذيولها عليه
كان آثار مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب
ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها
فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين
فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش
اذنه الواحدة ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا جئتنا تنظر كيف
تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم
افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت
فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك
ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد رضي الله عنه من لا
يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض
كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا

قوله والعارب ... بلغ المشارق ... اسباب ... وما بها ...

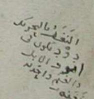
تمامه عليه قضيم نمقته الصوانع ... الرامسات ... الرياح ... والقضيم الجلد الابيض ... الكتاب ...

حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى اذا

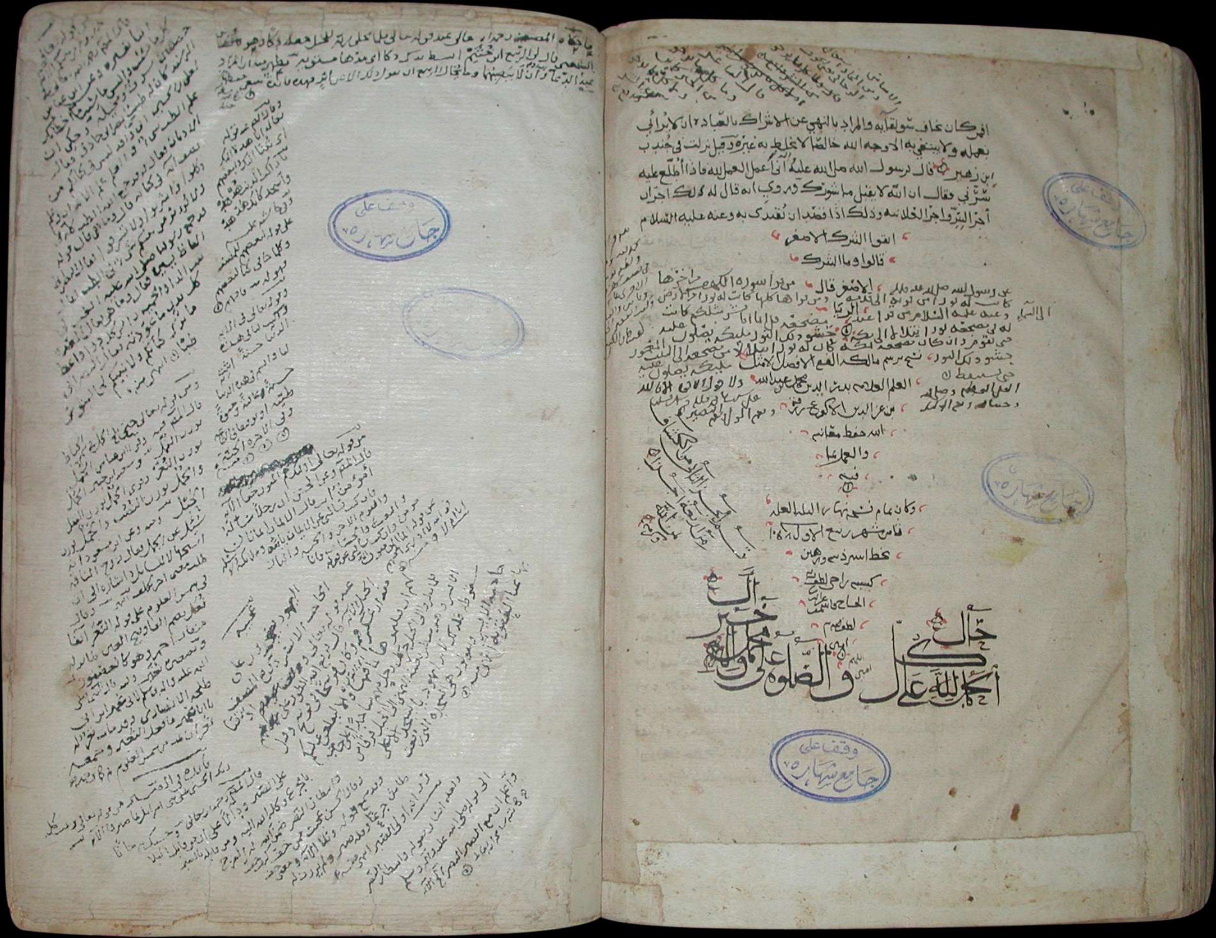
بما لديه من الجنود والآلات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل
لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون
والابنية والاكنان من كل جنس والثياب كل صنف وقيل بلغ مطلع
الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل
الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمه فيهم مثل حكمه فيهم في تعذيبه
لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم بين السدين بين الجبلين
وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما وقرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق
الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم
فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله تعالى وخلقه والسد بالفتح مصدر
حدث تحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة
في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من
الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما
يلي المشرق ومن دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون
يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة وترجمان ونحوهما كما يفهم البكم
وقرئ يفقهون اي يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم مجهولة
ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة
آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل
والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون
ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا
يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه في صفتهم
لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل
هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر وقرئ خرجا
وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا
بالفتح والضم ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار
خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي اليه كما قال سليمان صلوات الله عليه
فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ بالادغام وبفكه فاعينوني بقوة بفعلة
وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم
اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع وقيل حفر للاساس حتى

بلغ الما وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما
الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى صار كالنار
فصب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار
جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوّى وسُوِّي وعن
رسول الله صلى الله عليه أن رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر
طريقة سودا وطريقة حمرا قال قد رايته والصدفان بمعنى جانبا الجبلين
لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصُّدُفين بضمتين والصُّدْفين بضمة وسكون
والصَّدُفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب بافرغ
وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال
ائتوني اي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التا للخفة لان التا قريبة المخرج من الطا
وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرا بادغام التا في الطا فقد جمع
بين ساكنين على غير حده ان يظهروه اي يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود
لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته هذا اشارة الى السد اي
هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته
فاذا جا وعد ربي يعني فاذا دنا مجي يوم القيمة وشارف ان ياتي جعله دكا
اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك
ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكّا اي ارضا مستوية وكان
وعد ربي حقا اخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم بعض
الخلق يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز
ان يكون الضمير لياجوج وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون من ورا السد
مزدحمين في البلاد ويروى ياتون البحر فيشربون ماه وياكلون دوابه ثم ياكلون
الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة
والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله تعالى نغفا في اقفائهم فيدخل اذانهم
فيموتون وعرضنا جهنم وابرزناها لهم فراوها وشاهدوها عن ذكري
عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القران وتامل معانيه وتبصرها
ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا
انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهولا كانهم اصمت اسماعهم
فلا استطاعة لهم للسمع عبادي من دوني اوليا هم الملائكة يعني انهم لا





يكونون لهم اوليا كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرا ابن مسعود
افظن الذين كفروا وقراة علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا اي افكافيهم
ان يتخذوهم اوليا على الابتدا والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد
على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا
يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراة محكمة جيدة النزل ما
يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم سعيهم ضاع وبطل وهم
الرهبان عن علي رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد رضي الله عنه
اهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه ان ابن الكوا ساله عنهم فقال منهم اهل
حروراء وعن ابي سعيد الخدري ياتي ناس باعمال يوم القيمة وهي عندهم في
العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري
بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان
انما وضع لاهل الحسنات والسيات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء قلت
الذين ضل سعيهم في اي محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على الذين ضل
سعيهم لانه جواب عن السوال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل
جهنم عطف بيان لقوله جزاوهم حولا التحول يقال حال من مكانه حولا
كقولك عاد في حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع
لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان
فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود
المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما تمد به السراج من السليط ويقال
السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا
لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثله البحر مددا لنفد
ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد
مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس رضي الله عنه بمثله مدادا وقرا
الاعرج مِددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به
وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يوت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني
ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو لقا
ربه فمن كان يامل حسن لقا ربه وان يلقاه لقا رضى وقبول وقد فسرنا اللقا



امن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي
بعمله ولا يبتغي به الا وجه الله خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب
ابن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه انا اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه
سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له لك اجران
اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام

اتقوا الشرك الاصغر

قالوا وما الشرك

الاصغر قال الرياء

وكان تمام نسخها ... العلية
في شهر ربيع الاول ١٠٤٨
بخط اسير ذنبه ...
الحاج ...

الحمد لله على كل حال والصلوة على محمد وآله خير آل

